الجامعة الإسلامية – غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

" قضايا الأمة وعلاجها في القصص القرآني"

"دراسة موضوعية"

إعداد

الطالب: عبد اللطيف رجب القانوع

إشراف

الدكتور: وليد محمد العمودي

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

1432هـ - 2011م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإهـــــــــــــــداء

إلى والدّي الكريمين ...

هذا ثمرة دعائكما وعطائكما الذي لا ينقطع

إلى التي لازمتني فترة الدراسة وشاركتني لحظة بلحظة زوجتي المخلصة الوفيّة

إلى عمي الكريم ... هذا شيئٌ من أحلامك

إلى أخي العزيز ... الذي بث في نفسي حب الطموح والإرادة

إلى أخواتي الكريمات

إلى كل الأحبة جميعاً

وإلى كل مخلص غيور على أمته ودعوته

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وتقدير

قال تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾(النمل40) وقال النبي ﷺ: [من لا يشكر الله لا يشكر الناس]. [1]

أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من أسهم، أو ساعد في هذا البحث، أو أسدى إلي نصيحة، أو توجيهاً.

وأخص بالذكر أستاذي المشرف على هذه الرسالة، الدكتور: وليد محمد العمودي، الذي منحني من جهده ووقته الكثير، وجاد عليَّ بنصائحه النافعة؛ فأسأل الله تعالى أن يجزيه عني خير الجزاء.

كما وأتقدم بالشكر والتقدير إلى أستاذيَّ الكريمين الفاضلين، عضوي لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور: زكريا الزميلي والدكتور: محمود هاشم عنبر لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، ليثرياها بتوجيهاتهما النافعة.

وأتوجه بالشكر والعرفان للجامعة الإسلامية – بغزة – والقائمين عليها عامَّة، وكلية أصول الدين خاصة، وعلى رأسهم عميد كلية أصول الدين، الدكتور/ محمد بخيت، وأساتذة قسم التفسير وعلوم القرآن، والمكتبة المركزية عامة وعلى رأسها عميد المكتبات الدكتور وليد العمودي.

ولا أنسى أن أتوجه بالشكر إلى زملائي الطلاب الذين رافقوني في دراستي، وقدموا لي النصح والإرشاد، وأخص منهم الشيخ ناصر معروف، والأخ أبو بكر "خميس" الذي قدم بعضا من جهوده الكريمة.

فجزاهم الله خيراً

الباحث

[1]) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، ج4، ص255، ح 4811 ، صححه الألباني.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدمة

الحمد لله، الذي يقول الحق وهو يهدي السبيل، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

إن الأمة الإسلامية لا تزال تمر في منعطفات خطرة، وتعاني من مشاكل جسيمة، وتتعرض لمؤامرات من أعدائها تستهدف عقيدتنا، وأركان إسلامنا الحنيف، الأمر الذي لم يجعل لها قراراً أو هيبة بين الأمم، وجعلها في ذيل القافلة .

لقد ذكر الله – سبحانه وتعالى– لنا في القرآن قصصاً كثيرة، وهذه القصص جاءت متنوعة متكررة، بل ربما تكررت القصة الواحدة مرات عديدة، وفي مواضع متعددة، بعضها بشكل إجمالي، وبعضه تفصيلي، والقصص لم ترد في القرآن إلا لتدبرها، والوقوف عندها، وكثير منها يعالج قضايا الأمة ومشاكلها، ويعالج ما يستجد في حياة الناس من قضايا وأحداث ومشاكل ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف:111) .

إن هذا القرآن ليس مجرد كلام يتلى، ولا آيات تُحفظ وتردد، وقصصه لم تسرد من أجل تحقيق متعة، أو تسلية، وإنما للتدبر والتفكر، وليكون دستوراً للتربية، كما هو منهج الحياة، ومن ثم فقد تضمن القرآن الكريم عرض تجارب السابقين بصورة حية، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا تناولها، ولو هرع أهل الإسلام إلى قرآنهم وقصصه لوجدوه غضاً طرياً كأنما أنزل البارحة في أحداثهم وشؤونهم.

ولهذا يتنوع القصص في كتاب الله، ويكثر ضرب الأمثال للقياس والاعتبار، ولهذا المعنى تجد في سرد القصص القرآني متعة إيمانية، وحقائق وجودية، تتكرر في الأمم والأجيال. ولن ننتفع بهذا القرآن حتى نقرأه ونتدبره، لنتلمس عنده توجيهات حياتنا المعاصرة في يومنا وغدنا، كما كانت الصحابة الكرام تتلقاه، وحين نقرأ القرآن بهذا الوعي سنجد عنده ما نريد، وسنجد فيه عجائب لا تخطر على بال، سنجد كلماتِه وعباراتِه، وتوجيهاته، وقصصه، حية نابضة، تنبض وتتحرك وتشير إلى طريق الأمة الإسلامية وخلاصها ونجاتها.

لذلك فقد وفقني الله – سبحانه وتعالى – أن أختار عنوان بحثي هذا، وسميته:

قضايا الأمة وعلاجها في القصص القرآني "دراسة موضوعية"

والذي تناولت فيه عدداً من القضايا الرئيسة التي تعاني منها الأمة الإسلامية، وخاصة القضايا الدينية والاجتماعية والسياسية، وقضيتي الحصار والنصر والتمكين، وأجتهدت في طرح علاجها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من خلال القصص القرآني.

أهمية البحث:

لأنه القرآن الكريم المعجزة الخالدة، وكتاب الهداية الإلهية، فقد وجب على المسلمين عامة، وأهل العلم خاصة، أن يبذلوا كل ما في وسعهم للحفاظ عليه، والتمعن في سوره وآياته، وقصصه العظيمة، لا سيما أن القرآن الكريم كتاب الله الخالد الذي يعالج مشاكل الأمة، ويضع لها الحلول والبدائل، فكل آية في القرآن لها حكايتها الخاصة، وكل قصه في القرآن لها مشهد عظيم .

إن بعض قضايا الأمة في هذا الزمان، تتطلب الرجوع والعودة إلى القرآن الكريم، لعلاجها وتصويب أخطائها، وخاصة في القصص القرآني؛ لأن كثيراً من القصص القرآني يحاكي الواقع الذي نعيش، ويعالج هموم الحياة التي نعاني، ويتوافق أيضاً مع بعض المشاهد والمواقف لأمتنا، ومن هنا تكمن أهمية هذا الموضوع.

أسباب اختيار البحث:

لقد كان لاختيار هذا البحث أسباب كثيرة أذكر منها:

1- زيادة العناية بكتاب الله، لأنه مصدر التشريع الأول ويصلح لكل زمان ومكان.
2- حالة الضعف والترهل التي وصلت إليها أمة سيد الأنام، بسبب البعد عن القرآن.
3- القرآن الكريم هو السبيل الوحيد لعلاج كثير من مشاكل الأمة وهمومها وأحزانها.
4- تشجيع أستاذي الفاضل د. وليد العامودي ود. زكريا الزميلي على تناول هذا الموضوع؛ كونه يبحث في موضوع له علاقة بالواقع المعاش وقضايا الأمة المعاصرة.
5- حاجة المكتبة الإسلامية إلى بحث علمي محكم، يتناول هذا الموضوع من جوانبه المختلفة.

أهداف البحث:

1- ابتغاء مرضات الله سبحانه وتعالى، فهو أهم هدف وأسمى غاية أرجوها من كتابة هذا البحث.
2- التنبيه على أسلوب القصص القرآني الذي يعالج قضايا الأمة المعاصرة.
3- تثبيت قلوب أبناء الأمة الإسلامية على دين الله- سبحانه وتعالى.
4- تقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده، وخذلان الباطل وأهله.
5- حث المؤمنين بالثبات على القرآن ؛ لأن نجاة المؤمنين وانتصارهم لم يكن إلا به
6- النجاة من المآزق والكروب التي تتعرض لها أمتنا في الوقت الحالي.

7- تثبيت القرآن الكريم في عقول الناس، وترسيخه في قلوبهم من خلال ربطه بواقعهم وقضاياهم.
8- العودة بالأمة إلى كتاب الله- سبحانه وتعالى – لحل قضاياها وتفكيك مشاكلها التي تواجهها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدراسات السابقة:

بعد محاولاتي المتكررة في البحث عن دراسات سابقة في هذا الموضوع، من خلال مراسلة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، والكشف في المكتبة الإلكترونية بالجامعة الإسلامية –غزة – وكذلك كتاب " الكشاف عن رسائل الماجستير بالجامعة" ، لم أقع على أي رسالة علمية تناولت هذا الموضوع من جميع جوانبه، غير أني وجدت فيما وقع في يدي في أثناء مطالعاتي المتواضعة، بعضا من مفردات هذا البحث شذرات تناثرت في ثنايا كتب التفسير وعلوم القرآن، وبالطبع فهي لاترقى لأن تكون بحثا متكاملا كالذي أردناه هنا.

منهج البحث:

لقد اعتمدت في بحثي هذا المنهج الاستقرائي التحليلي، وهو منهج يصلح لهذا النوع من الدراسات، وخطوت في بحثي الخطوات التالية:

1. جمعت الآيات وكتابتها بالرسم العثماني.
2. صنفت كل مجموعة من الآيات تحت عنوان مناسب لها.
3. اعتمدت كتابة الآيات القرآنية بالخط العثماني برواية حفص عن عاصم.
4. عدت إلى تفسير الآيات إلى أمهات التفسير، وكذلك الاستعانة بالتفاسير كلما دعت الحاجة.
5. عزوت الآيات التي وردت في هذا البحث إلى سورها، ذاكرا اسم السورة مع رقم الآية بعد نهاية الآية المنقولة مباشرة، وليس في الحاشية منعاً للبس وتجنباً لإثقال الحواشي.
6. استشهدت بالأحاديث النبوية، والآثار التي تخدم البحث، وعزوتها إلى مصادرها مع تخريجها، وابتدأت بالصحيحين، ثم مصادر السنة المشهورة التي أوردتها، مع ذكر حكم العلماء المشهورين في الحديث عليها ما أمكن.
7. اعتمدت توثيق النصوص المنقولة في الهامش، مبتدئا بذكر اسم الكتاب، فاسم المؤلف مختصراً، مع إثبات الاسم كاملا والبيانات التفصيلية في فهرس المراجع.
8. قمت بإعداد الفهارس اللازمة للآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والمصادر والمراجع والموضوعات، وذلك لتسهيل الوصول إلى أي معلومة يراد الاطلاع عليها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتحقيقاً لأهداف البحث التي أثبتها، فقد جعلت خطة هذا البحث تشتمل على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وفهارس وذلك على النحو التالي:

الفصل التمهيدي

القصة القرآنية: أهدافها وسماتها وبناؤها

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف القصة وأهميتها وأنواعها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: القصة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أهمية القصة في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: أنواع القصص في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: أهداف القصة القرآنية وسماتها والتكرار

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أهداف القصة القرآنية.

المطلب الثاني: السمات البارزة في القصة القرآنية.

المطلب الثالث: التكرار في القصة القرآنية.

المبحث الثالث: بناء القصص القرآني

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: البناء الفني للقصة القرآنية.

المطلب الثاني: بين القصة القرآنية والقصة الأدبية.

الفصل الأول

أبرز قضايا الأمة وسُبل علاجها في القصص القرآني

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القضايا العَقَدَية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التوحيد.

المطلب الثاني: الشرك.

المطلب الثالث: النفاق.

المطلب الرابع: التكفير

المبحث الثاني: القضايا السياسية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الشورى.

المطلب الثاني: الحرية.

المطلب الثالث: حق الأمة في اختيار الحاكم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث: قضايا اجتماعية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: العدل.

المطلب الثاني: العنف.

المطلب الثالث: الإشاعة.

المطلب الرابع: المرأة.

الفصل الثاني
ابتلاءات ومحن الأنبياء في القصص القرآني

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإخراج من الأوطان

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : تعريف الإخراج لغة واصطلاحاً

أولاً: الإخراج لغة.

ثانياً: الإخراج اصطلاحاً.

ثالثاً: نظائر الإخراج في القرآن.

المطلب الثاني: نماذج من الأنبياء المخرجين

أولاً: قصة إخراج سيدنا موسى – عليه السلام.

ثانياً: قصة إخراج شعيب –عليه السلام.

رابعاً: قصة إخراج لوط –عليه السلام.

خامساً: قصة إخراج النبي ﷺ.

المبحث الثاني: الحصار

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الحصار لغة واصطلاحاً.

أولاً: الحصار لغة.

ثانياً: الحصار اصطلاحاً

ثالثاً: نظائر الحصار في القرآن.

المطلب الثاني: حصار النبي ﷺ.

أولاً: الحصار الاجتماعي .

ثانياً: الحصار الاقتصادي.

ثالثاً: الحصار العسكري.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث: التهديد بالقتل

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تهديد إبراهيم عليه السلام بالقتل.

المطلب الثاني: تهديد فرعون لموسى عليه السلام بالقتل.

المطلب الثالث: محاولة قتل النبي ﷺ.

الفصـــل الثالث

عوامل النصر والتمكين في القصص القرآني

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عوامل فردية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قوة الإيمان بالله.

المطلب الثاني سعة العلم.

المطلب الثالث: مواصفات المجاهد.

المبحث الثاني: عوامل جماعية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قوة الجماعة.

المطلب الثاني: استقلال الجماعة وعدم التبعية.

المطلب الثالث: انفتاح الجماعة ومرونتها.

المبحث الثالث: عوامل تربوية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإدارة والتخطيط.

المطلب الثاني: الدعوة والحوار.

المطلب الثالث: الإعلام المقاوم.

الخاتمة

موجز الرسالة وأهم نتائجها

الفهارس

أولاً: فهارس الآيات القرآنية

ثانياً: فهارس الأحاديث النبوية

ثالثاً: فهرس المصادر والمراجع

رابعاً: فهرس الموضوعات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل التمهيدي

القصة القرآنية: أهدافها وسماتها وبناؤها

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : تعريف القصة وأهميتها.

المبحث الثاني: أهداف القصة القرآنية وسماتها.

المبحث الثالث: بناء القصص القرآني.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

تعريف القصة وأهميتها وأنواعها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : القصة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أهمية القصة في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: أنواع القصص في القرآن الكريم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

تعريف القصة وأهميتها وأنواعها

قال تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف176) لقد امتن الله على رسوله ﷺ بما أوحى إليه هذا القرآن، وقص عليه من القصص، فالقصص القرآني لم يسق مساق التسلي وتجديد النشاط، وليس ما يحصل من استغراب مبلغ تلك الحوادث من خير أو شر؛ إنما غرض القرآن أسمى وأعلى من كل هذا ، وهو جدير بالتفضيل على كل جنس القصص؛[1] لذلك آثر الباحث أن يقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: القصة لغة واصطلاحاً.

أولاً: القصة لغة:

القصة: "الخبر، وهو القَصَص، وقصَّ عليّ خبره يقصه قصاً: أورده" [2]، ومنه: "القصُّ وهو تتبع الأثر، والقَصص: الأثر، والقصص: الأخبار المتتبعة " [3]

والقَصَص: جمع للأخبار المقصوصة، بالفتح، وُضِع موضعَ المصدر حتى صار أغلب عليه، والقِصص، بكسر القاف: جمع القِصة التي تكتب.[4]

ثانياً: القصة اصطلاحاً:

القصة: هي الخبر الطويل الذي يتبع بعضُه بعضاً، حتى يتناول الأمر من جميع جوانبه.[5] لكننا نجد أن تعريف القصة القرآنية هي: أخبار الأمم الماضية والنبوات السابقة والحوادث التي حدثت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

([1]) انظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ج1 ص 64

([2]) لسان العرب، لابن منظور، ج7 ، ص 74.

([3]) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص 671.

([4]) انظر: لسان العرب لابن منظور، ج7، ص 73- 74.

([5]) انظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص430.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: أهمية القصة في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً ﴾(النساء:87) أخبر الله تعالى بأن حديثه وأخباره وأقواله في أعلى مراتب الصدق، فكل ما قيل في العقائد والعلوم والأعمال مما يناقض ما أخبر الله به، فهو باطل لمناقضته للخبر الصادق اليقين، فلا يمكن أن يكون حقًّا.[1] ومن هنا تكمن أهمية قصص القرآن في كونها:

1- أنفع القصص لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف:111)

2- أصدق القصص لقوله تعالى:﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً ﴾النساء:87 وذلك لأنها من عند الله تعالى، ولمطابقتها الواقع، إضافة إلى أنها أحسن القصص لقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ (يوسف:3) وذلك لاشتمالها أعلى درجات الكمال في البلاغة والمعاني والتعبير

3- القصة القرآنية هي كلام الله سبحانه وتعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾(يوسف: 3)

4- أن الله سبحانه وتعالى أمر النبي ﷺ أن يقص على الناس ما أوحي إليه: ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: 176)

5- القصة القرآنية مَعلم بارز وواضح من معالم القرآن الكريم لتوضيح الحقائق وإزالة الشبهات ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (النمل: 76)

6- من مهمات الرسل – عليهم الصلاة والسلام – القصُّ ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾(الأنعام: 130)

7- أَغلب حياة الأنبياء – عليهم السلام – كانت القصص محاورها وهم القدوة الحسنة لنا ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾(الأنعام: 90).

([1]) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن السعدي ج1، ص191 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث : أنواع القصص في القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾(يوسف: 3) أحسن القصص بوحينا إليك هذا القرآن، فنخبرك فيه عن الأخبار الماضية، وأنباء الأمم السالفة والكتب التي أنزلناها في العصور الخالية، وكذلك أخبار عن واقع أنت تعيش فيه لا تعلمه، وكذلك بضرب الأمثال، وإن كنت من قبل أن نقص عليك ذلك لمن الغافلين عن تلك الأشياء.[1] لقد استخدم القرآن الكريم كل أنواع القصة، وعرضها في أحسن صورة. [2] والقصة في القرآن الكريم على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: القصة التاريخية:

وقد تضمنت دعوة الأنبياء لأقوامهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها، وعاقبة المؤمنين والمكذبين، مثل قصة نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، وبني إسرائيل، وصالح وثمود، وهود وعاد، وشعيب ومدين، ولوط وقريته، ومحمد ﷺ ، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأزكى التسليم[3] والقصة التاريخية – كما تتمثل في قصص الأنبياء– من أهم العوامل النفسية التي لجأ إليها القرآن في الجدال مع مخالفيه ، وفي التبشير برضوان الله، والتحذير من معصيته، وفي شرح مبادئ الدعوة الإسلامية وأهدافها ، وفي تثبيت قلب النبي ومن اتبعه، وفي الدلالة على صدق نبوة محمد ﷺ وإنه مبلغ عن ربه[4]

النوع الثاني : القصة الواقعية

والمقصود بها رصد الواقع ، وإبراز أحداث تتسم بطابع الكلية ، وإبراز شخصيات تأخذ شكل نماذج بشرية ، فعلى سبيل المثال: المنافقون الذين أعلنوا الإسلام وتظاهروا بالمحبة الصافية ، لكن قلوبهم تنطوي على المرض والحقد والغدر والمكر، فهؤلاء لم يقولوا كلمة الإسلام بصدق لينتظموا في عقد الأنصار،! بل كانوا أشد ضررا، وأبلغ في الأذى، وفي هذا المعنى يقول جل شأنه : ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾(البقرة : 14) والمعنى: أن المنافقين يقولون للمؤمنين المصدِّقين بالله وكتابه ورسوله– بألسنتهم: آمنا وصدَّقنا بمحمد وبما جاء به من عند الله، خِداعًا عن دمائهم وأموالهم وذَرَاريهم، ودرءًا لهم عنها، وأنهم إذا خَلَوْا إلى مَرَدَتهم وأهل العُتُوّ والشر والخُبث منهم ومن سائر أهل الشرك الذين هم على مثل الذي هم عليه من الكُفر بالله وبكتابه ورسوله – وهم شياطينهم، وقد دللنا فيما مضى من كتابنا على أن شياطينَ كل شيء مَرَدَتُه – قالوا لهم:"إنا

([1]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري، ج15 ، ص551

([2]) منهج الفن الإسلامي، لمحمد قطب، ص 157 .

([3]) مباحث في علوم القرآن الكريم ، لمناع القطان، ص 306 .

([4]) مع الأنبياء في القرآن الكريم، لعفيف عبد الفتاح طبارة، ص 24.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معكم"، أي إنا معكم على دينكم، وظُهراؤكم على من خالفكُم فيه، وأولياؤكم دون أصحاب محمد ﷺ،"إنما نحن مستهزِئون" بالله وبكتابه ورسوله وأصحابه.[1]

كذلك التكذيب والكفر اللذان كانا من أقوام الأنبياء مثل كفر ابن نوح، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (هود: 28) فمن الآية الكريمة يتبين أنه كان كافراً يعمل عمل الكافرين والكفر بقطع الولاية بين المؤمنين والكافرين من الأقربين ويوجب براءة بعضهم من بعض. [2]

كما نجد مثالاً للعالم الذي استخدم قدرته في التضليل كالسامري الذي بصر بما لم يبصر به قومه، فصنع لهم العجل ، وفي هذا المعنى يقول تعالى : ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ * قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ (طه 95-96).

أما ما جرى على يد العبد الصالح الذي صحبه موسى من خرقه للسفينة، وما وراء ذلك من غاية يحدث مثله كل يوم بأن يصاب مال إنسان أو عقاره، وذلك حماية من الله أن تمتد إليه يد طامع، ومثله قتل الغلام فكم من حادث يقع كل يوم، أو حالة وفاة لسبب من الأسباب فيها من الحكمة ما كان في قتل الغلام، ومثل هذا يقال في إصلاح الجدار القائم على كنز الغلامين ، مما يوحي بتيسير الله في حفظ ذرية الرجل الصالح بوسيلة من الوسائل، ومن ذلك ما وقع للأمم السابقة من أنواع العذاب، من الإغراق، أو إرسال الريح، أو الزلزلة، أو الخسف، فنجد مثله يتكرر في بقاع شتى من الأرض، في أعاصير وبراكين وزلزال، وفي آفات زراعية تهلك الزرع.[3] ففي قصص القرآن الكريم أحداثاً واقعية متجددة حتى في بعض ما هو معجز أو خرق للمألوف .

النوع الثالث: القصة المضروبة للتمثيل:

ويقصد بها كل قصة بدأت بما ينبئ أنها مثل مضروب لمشابهة حال المخاطبين لأحداثها، أو كانت غير منسوبة إلى أشخاص معينين ودلت أحداثها على أماكن وقوعها، فعلى سبيل المثال يقول جل وعلا في سورة الكهف: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً ،كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَراً ، وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً ،هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً﴾ (الكهف 32-44)

([1]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ج1 ، ص296.

([2]) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، ج 10 ، ص84.

([3]) خصائص القصة الإسلامية، لمأمون جرار ، ص 82 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن هذه القصة بما تضمنته من تفصيل تضرب مثلاً للقيم الزائلة والقيم الباقية، وترسم نموذجين واضحين للنفس المعتزة بزينة الحياة، والنفس المعتزة بالله، وكلاهما نموذج إنساني لطائفة من الناس.

وفي قصة أصحاب الجنة ، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ، وَلَا يَسْتَثْنُونَ، فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ، فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (القلم 17-28) وهذه القصة قد تكون متداولة ومعروفة ولكن السياق القرآني يكشف عما وراء حوادثها من فعل الله وقدرته ، ومن ابتلاء وجزاء لبعض عباده ، وفيها أيضاً ضرب الله مثلاً لكفار مكة ، حيث ابتلاهم بالجوع والقحط بدعوة رسول الله ﷺ، والمعنى: أعطيناهم الأموال ليشكروا لا ليبطروا فلما بطروا ابتليناهم بالجوع والقحط ، وذلك أن هذه الجنة كانت بأرض اليمن لرجل يؤدي حق الله منها، فمات وصارت إلى أولاده فمنعوا الناس خيرها ، وبخلوا بحق الله فيها، فصارت عاقبتهم إلى ما قص الله في كتابه [1]

كذلك جعل الله سبحانه وتعالى لأهل مكة مثلاً يعتبرون به هو : قصة قرية من القرى ، يقول جل شأنه: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (النحل 112) ويتبين من الآية الكريمة أن أهل هذه القرية كانوا في أمن من العدو، وطمأنينة من ضيق العيش، يأتيهم رزقهم واسعاً من كل مكان، فجحدوا نعم الله عليهم، ولم يشكروه بطاعته وامتثال أمره، فعاقبهم الله بالمصائب التي أحاطت بهم من كل جانب، وذاقوا مرارة الجوع والخوف بعد الغنى والأمن، وذلك بسبب تماديهم في الكفر والمعاصي.

وفي قصة امرأة فرعون ضرب الله للمؤمنين مثلاً، أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم، وفي هذا الشأن يقول الله تعالى : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (التحريم :11)
والمعنى: قال قتادة كان فرعون أعتى أهل الأرض وأكفرهم ، فو الله ما ضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها ليعلموا أن الله تعالى حكم عدل لا يؤاخذ أحدا إلا بذنبه، [2] ومن هذه القصة تتضح العبرة المتجددة التي يراها الإنسان كلما تأمل في شخصية امرأة فرعون، حيث كانت أقرب الناس من فرعون، ومع ذلك كانت روحها أبعد ما تكون عنه.

([1]) انظر: فتح القدير، الشوكاني. ج5، ص 271 .

([2]) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج4، ص 393 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

أهداف القصة القرآنية وسماتها

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: أهداف القصة القرآنية.

المطلب الثاني: الخصائص البارزة في القصة القرآنية.

المطلب الثالث: التكرار في القصة القرآنية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

أهداف القصة القرآنية وسماتها

قال تعالى: ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(الأعراف:176) " أبصر أهل العلم أن ليس الغرض من سوق القصة قاصرا على حصول العبرة والموعظة مما تضمنته القصة من عواقب الخير أو الشر، ولا على حصول التنويه بأصحاب تلك القصص في عناية الله بهم، أو التشويه بأصحابها فيما لقوه من غضب الله عليهم؛ كما تقف عنده أفهام القانعين بظواهر الأشياء وأوائلها، بل الغرض من ذلك أسمى وأجل. إن في تلك القصص لعبرا جمة وفوائد للأمة؛ ولذلك نرى القرآن يأخذ من كل قصة أشرف مواضيعها ويعرض عما عداه ليكون تعرضه للقصص منزها عن قصد التفكه بها. من أجل ذلك كله لم تأت القصص في القرآن متتالية متعاقبة في سورة أو سور كما يكون كتاب تاريخ، بل كانت مفرقة موزعة على مقامات تناسبها "،[1] من هنا كان لا بد أن نتعرض لأهم أهداف القصة وسماتها، وقد رأى الباحث أن يقسم هذا المبحث إلى ثلاث مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول : أهداف القصة القرآنية

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف:111)

1- إن في حكاية القصص أسلوب التوصيف والمحاورة وهذا الأسلوب لم يكن معهودا للعرب، فكان مجيئه في القرآن ابتكاراً جديداً في البلاغة العربية، شديد التأثير في نفوس أهل اللسان، وهو من إعجاز القرآن؛ إذ لا ينكرون أنه أسلوب بديع ولا يستطيعون الإتيان بمثله إذ لم يعتادوه، انظر إلى حكاية أحوال الناس في سورة الأعراف، فالعرب بتوغل الأمية والجهل فيهم أصبحوا لا تهتدي عقولهم إلا بما يقع تحت الحس، أو ما ينتزع منه، ففقدوا فائدة الاتعاظ بأحوال الأمم الماضية وجهلوا معظمها، وجهلوا أحوال البعض الذي علموا أسماءه، فأعقبهم ذلك إعراضا عن السعي لإصلاح أحوالهم، بتطهيرها مما كان سبب هلاك من قبلهم، فكان في ذكر قصص الأمم توسيع لعلم المسلمين بإحاطتهم بوجود الأمم ومعظم أحوالها ، والقرآن أشار إلى غفلتهم فقال: ﴿

([1]) التحرير والتنوير، ج1 ،ص 64.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ ﴾(إبراهيم:45)[1].

2- تعويد المسلمين على معرفة سعة العالم وعظمة الأمم والاعتراف لها بمزاياها؛ حتى تدفع عنهم وصمة الغرور، كما وعظهم قوله تعالى عن قوم عاد ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ (فصلت:15)، فإذا علمت الأمة جوامع الخيرات وأحوال حياة الناس، تطلبت كل ما ينقصها مما يتوقف عليه كمال حياتها وعظمتها .

3- ينشئ في المسلمين همة السعي إلى سيادة العالم؛ كما سادته أمم من قبلهم ليخرجوا من الخمول الذي كان عليه العرب؛ إذ رضوا من العزة باغتيال بعضهم بعضا، فكان منتهى السيد منهم أن يغنم ، ومنتهى أمل العامي أن يرعى غنيمة، وتقاصرت هممهم عن تطلب السيادة؛ حتى آل بهم الحال إلى أن فقدوا عزتهم، فأصبحوا أتباعا للفرس والروم، فالعراق كله واليمن كله وبلاد البحرين تبع لسيادة الفرس، والشام ومشارفه تبع لسيادة الروم، وبقي الحجاز ونجد لا غنى لهم عن الاعتزاز بملوك العجم والروم في رحلاتهم وتجارتهم فجاء القرآن ليعلمهم أن قوة الله تعالى فوق كل قوة ، وأن الله ينصر من ينصره، وأنهم إن أخذوا بوسيلتي البقاء: من الاستعداد والاعتماد؛ سلموا من تسلط غيرهم عليهم، وذكر العواقب الصالحة لأهل الخير، وكيف ينصرهم الله تعالى كما في قوله: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾(الأنبياء:87)[2]

4- غاية القصة القرآنية تتمثل في الوظيفة الاجتماعية التي تؤديها ، والتي أدتها للمجتمع الإسلامي بمختلف نحله ومشاربه، فالقصة القرآنية وهي تحكي حال الرسل والأنبياء السابقين وحال الذين أتبعوهم وكيف نصرهم الله لصبرهم وتمسكهم بعقيدتهم ، أثرت أيما أثر في نفوس المسلمين الذين آمنوا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ورفعت روحهم المعنوية وزادت ثقتهم بالمستقبل، بل ودفعتهم ــ كما تؤكد بعض الدراسات ــ إلى نشر الدعوة وتحمل

([1]) انظر: التحرير والتنوير، ج1 ،ص66 بتصرف

([2]) انظر: التحرير والتنوير، ج1 ،ص67 بتصرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الألم والأذى في سبيلها والتمسك بكل القيم التي دعا إليها هذا الدين، والإيمان بها، والدعوة إليها، والدفاع عنها، والوقوف ضد كل القوى المعادية لها مادية كانت أم بشرية. [1]

5- لم يقتصر تأثير القصة القرآنية على المسلمين بحسب، وإنما امتد تأثيرها إلى الكفار أيضا ، والقصة القرآنية وهي تروي ما آل إليه حال الكفار في الأزمنة السابقة من هزيمة ونكبات وابتلاءات وأمراض، وقد كانوا يملكون قوى لا يملكها من آمن بالأنبياء والرسل ضعضعت نفوس الكفار الذين آذوا النبي ﷺ وثبت في قلوبهم الوهن والضعف والخذلان، الأمر الذي جعلهم في قلق خشية أن يصيبهم ما أصاب أسلافهم، وآيات القرآن التي تتحدث في هذا المعنى أكثر من أن تحصى، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (الحج: 72). وقوله تعالى :﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ، وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ **(التوبة124-125)**.

"والسياق القرآني كما نرى يطوى الزمان والمكان، ويترك فجوات بين مشاهد القصص، تعلم من السياق ليصل مباشرة إلى المواقف الحية الموحية ذات الأثر في سير القصص وفي وجدان الناس". [2]

الأغراض الفرعية للقصة القرآنية[3]

1- إثبات الوحي والرسالة : والقصة القرآنية بما تحويه من أحداث حقيقية وقعت في التاريخ تشهد بأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – وهو الذي لم يعرف القراءة والكتابة ولم يكن له اتصال بأحبار اليهود والنصارى ولم يكن له سابق اطلاع على أي كتب سماوية يوحى إليه وهكذا تثبت القصة القرآنية صدق الوحي والرسالة.

2- إثبات الأساس الواحد لكل الشرائع: الإيمان بالله سبحانه وتعالى إسلام، نصرانية، يهودية ـــإفراد الله بالوحدانية وهذا ما أشار إليه قصص الأنبياء والمرسلين .

3- إثبات أن أساليب الدعوة واحدة: فلقد كانت أساليب الأنبياء والرسل في تبليغ الدعوة واستقبال أقوامهم لها واحدة كما يتضح ذلك من القصص القرآني.

([1]) انظر الفن القصصي في القرآن الكريم، لمحمد أحمد خلف الله ،ص212.

([2]) انظر في ظلال القرآن، لسيد قطب ،ج 4 ،ص2336 .

([3]) المرجع السابق ص120 – 128 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4- إثبات أن الاتصال بين دين محمد صلى الله عليه وسلم وإبراهيم عليهما السلام بصفة خاصة: وأديان بني إسرائيل عامة، أشد من الاتصال بين الأديان الأخرى بعضها ببعض.

5- إثبات أن النصر للأنبياء: فكل القصص أشار إلى نصر الله أنبياءه وإهلاك أعدائهم. وهذه الإشارات تثبت الرسول- صلى الله عليه وسلم- وتؤثر في الراغبين لاستجابة دعوته .

6- التنبيه إلى غواية الشيطان: حذر القصص القرآني الإنسان من دعوة الشيطان والابتعاد عنها.

الخلاصة

تتضح الغاية من ذكر القصص القرآني وهي: أن يتخذ الناس والمصلحون من سيرتهم العطرة نبراساً يستضيئون بضيائه، ويهتدون بهديه، وأن يسيروا على نهجهم فيجعلوهم قدوتهم في جميع التصرفات والأعمال، وأن يكون أمامهم المثل الأعلى من حياة هؤلاء الرسل الكرام عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام، وليس الهدف من ذكر القصص في القرآن الكريم التسلية أو الترفيه عن النفس، وإنما الهدف هو العظة والعبرة [1] وهذا ما أشارت إليه الآية الكريم يقول جلا وعلا: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف: 111) كما أشارت الآية الأخرى إلى ضرورة الاستفادة من قصص القرآن بالتفكير والتدبير والسير على منهاج الأنبياء، والمرسلين يقول جل شأنه: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف 176) وخاصة بالنسبة إلى مقام الدعاة ، فإن الهدف من ذكر قصص الأنبياء لهم تثبيتهم على الدعوة ، وتقوية عزائمهم باطلاعهم على سيرة الأنبياء الأطهار وما تحملوه من أذى في سبيل الله ، كما قال سبحانه وتعالى لسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (هود: 120) فجملة: "وجاءك في هذه الحق" إشارة إلى أن القرآن الكريم أتى بوقائع صحيحة من التاريخ ليبين لأتباع الأديان القول الفصل في القضايا التي اختلفوا فيها حول حقيقة الأنبياء ورسالتهم ، والدفاع عما ألصق ببعضهم من تهم وأباطيل، والقصص القرآني أيضا وسيلة لتربية الفرد والجماعة، فالقصص القرآني حينما يذكر الأقوام السابقة مبيناً عتوهم وظلمهم وكفرهم وطغيانهم ثم يتبع ذلك بما كانت عليه نهايتهم مثل قوم نوح، وقوم فرعون وجنوده، وقوم لوط تارة ومبيناً ــ تارة أخرى ــ ما كان عليه حال الصالحين من هذه الأقوام ومصائرهم السعيدة، فهو يبصرهم بالطريق الذي يبلغهم تحقيق هدف الوجود وهو عمارة الأرض وتحقيق خلافتهم لله .

([1]) النبوة والأنبياء، لمحمد على الصابوني ،.ص 100 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: السمات البارزة في القصة القرآنية

قال تعالى: ﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً ﴾(النساء:164) " قصة الرسل والرسالات وحقيقتها في مواجهة الجاهلية، وعاقبة المكذبين بها على اختلاف الزمان والمكان، وكأن الرسول راوية، حيث يبدأ القرآن بالإشارة إلى أحداث الرواية الكبرى، ثم يدع أبطالها يتحدثون بعد ذلك ويتصرفون، وهي طريقة من طرق العرض للقصة في القرآن، تحول القصة المحكية إلى رواية حية كما أسلفنا، وهنا نشهد الرسل الكرام في موكب الإيمان، يواجهون البشرية متجمعة في جاهليتها، حيث تتوارى الفواصل بين أجيالها وأقوامها، وتبرز الحقائق الكبرى مجردة عن الزمان والمكان، كما هي في حقيقة الوجود خلف حواجز الزمان والمكان "،[1] تلك إذن سمة القصص القرآني في تركيبه، وهي سمة تغري بمزيد من البحث والتأمل والتدقيق.

قال تعالى: ﴿ صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ ﴾ (البقرة: 138) نقف هنا عند سمة من سمات التعبير القرآني ذات الدلالة العميقة، لتقوم عليها وحدة إنسانية واسعة الآفاق، لا تعصب فيها ولا حقد، ولا أجناس فيها ولا ألوان. [2] فلقد انفردت القصة القرآنية بمميزات لا توجد في أي نوع آخر من القصص ومن هذه المميزات ما يلي:

1- القصة القرآنية قصة واقعية

إن المتأمل في قصص القرآن الكريم يجد الواقعية أساساً مستوعباً لعقيدته وتشريعه ومسلكه في حياة البشر لأن القصص القرآني يحكي الواقع ولم يأت عبثاً ولا لتسلية وترويح عن النفس وإنما أتى لأهداف تربوية سامية هي خلق القيم التربوية وتنميتها لأنه ذو مغزى إعجازي عظيم ويقول الله تعالى: ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَـذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (هود: 120)

2- القصة القرآنية توقظ انتباه القارئ

إن المتأمل في القصة القرآنية يجد أنها ذات أسلوب مشوق، تشد القارئ وتوقظ انتباهه دون توان أو تراخ، يتابع أحداثها بتأمل دائم في معانيها وتتبع مواقفها، والتأثر بشخصياتها وموضوعاتها حتى آخر كلمة فيها، ذلك أن القمة القرآنية تبدأ غالباً بالتنويه بمطلب أو وعد، أو الإنذار بخطر، أو نحو ذلك مما يسمي عقدة القصة، وقد تتراكم قبل الوصول إلى حل هذه العقدة، مطالب أو مصاعب أخرى تزيد القصة حبكاً، كما تزيد القارئ أو السامع تشوقاً وانتباها

([1]) في ظلال القرآن ج4، ص391، بتصرف يسير .

([2]) انظر في ظلال القرآن، ج1 ص92

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتلهفا على الحل أو النتيجة[1] ففي مطلع قصة يوسف –عليه السلام– مثلا، تعرض على القارئ رؤيا يوسف التي رآها في المنام بصحبها وعد من الله على لسان أبيه، فأوصاه أن يكتم ذلك في صدره ويحفظه سراً بينه وبين نفسه، ولا يحدث بذلك أخوته، ولهذا نجد أن المصائب تتابع على بطل القصة – يوسف عليه السلام، ويتابع القارئ اهتمامه وينتظر تحقيق وعد الله ليوسف مترقباً انتهاء هذه المشكلات والمصائب بتلهف وشوق،[2] كذلك نجد قصة ابني آدم في سورة المائدة، تصور فظاعة الحسد والحقد والعدوان عند أحد الأخوين كما تصور الرحمة والتسامح عند الأخ الآخر، ونجد أيضاً أنها تنتهي بصغر نفس الأخ الحاسد، يقول الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: 27)

3– القصة القرآنية تتعامل مع النفس البشرية:

يدرك أي متأمل أن القصة القرآنية تتعامل مع النفس البشرية في واقعيتها الكاملة متمثلة في أهم النماذج التي يريد القرآن الكريم إبرازها للكائن البشري، ويوجه الاهتمام إلى كل نموذج بحسب أهميته، فيعرض عرضاً صادقاً يليق بالمقام، ويحقق الهدف التربوي من عرضه، ذلك أن من أهم غايات القصة القرآنية التربية الخلقية عن طريق علاج النفس البشرية علاجاً واقعياً .

فالقصة القرآنية ليست غريبة عن الطبيعة البشرية، لأنها إنما جاءت علاجاً لواقع البشر، وعلاج الواقع البشري لا يتم إلا بذكر جانب الضعف والخطأ على طبيعته، ثم بوصف الجانب الآخر الواقعي المتسامي الذي يمثل الرسل والمؤمنون، والذي تؤول إليه القصة بعد الصراع والمكايدة والجهاد والمرابطة؛ أو الذي ينتهي عنده المطاف لعلاج ذلك الضعف والنقص، والتردي البشري في مهاوي الشرور والرذيلة علاجاً ينهض بالهمم، ويدفع بالنفس للسمو ما استطاعت إلى أعلى القمم، حيث تنتهي القصة بانتصار الدعوة الإلهية، ووصف النهاية الخاسرة للمشركين الذين استسلموا إلى الضعف والنقص، ولم يستجيبوا لنداء ربهم، فيزكوا أنفسهم، ويهذبوا أخلاقهم.[3]

4– القصة القرآنية تثير العواطف والانفعالات[4]

أ. عن طريق إثارة الانفعالات: مثل الخوف والترقب والرضا والارتياح والحب والكره، كل ذلك يثار في طيات القصة بما فيها من وصف رائع، ووقائع مصطفاه، فقصة يوسف مثلاً تربي

([1]) انظر: أصول التربية الإسلامية واساليبها، لعبد الرحمن النحلاوي ص210 ، 211 .

([2]) انظر: يوسف عليه السلام وامرأة العزيز، لمحمد قطب ، ص55 .

([3]) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، لعبد الرحمن النحلاوي، ص212 .

([4]) انظر: المرجع السابق، ص213 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإنسان المسلم على الصبر والثقة بالله ، والأمل في نصره بعد إثارة انفعال الخوف على يوسف عليه السلام ، ثم الارتياح إلى استلامه منصب الوزارة .

ب. وعن طريق توجيه جميع هذه الانفعالات حتى تلتقي عند نتيجة واحدة هي : النتيجة التي تنتهي إليها القصة ، فتوجه مثلاً حماسة قارئ القصة نحو يوسف وأبيه، حتى يلتقيا في شكر الله في آخر القصة ويوجه بغض الشر الذي صدر عن أخوة يوسف حتى يعترفوا بخطئهم ، ويستغفر لهم أبوهم في آخر القصة .

ج. وعن طريق المشاركة الوجدانية، حيث يندمج القارئ مع الجو العاطفي للقصة، حتى يعيش بانفعالاته مع شخصياتها، ففي قصة يوسف عليه السلام ، وعلى سبيل المثال يعتري القارئ خوف أو قلق عندما يراد قتل يوسف وإلقاؤه في الجب، ثم تنشرح العواطف قليلاً مع انفراج الكربة عنه، ثم يعود القارئ إلى الترقب عندما يدخل يوسف عليه السلام دار العزيز.

وعلى هذا يعيش القارئ مع يوسف عليه السلام في سجنه، وهو يدعو إلى الله حتى يفرح بإنقاذه ثم بتوليه وزارة مصر، وبنجاة أبيه من الحزن وهو في ذلك رسول الله والداعية إلى دينه، ومن هذا المنطلق يتبين أن يوسف عليه السلام أمام صنوف المحن، وأنواع الابتلاء المختلفة، وقد صبر وزاول دعوته إلى الإسلام وهو في أحلك صنوف الابتلاء، وخرج منها كلها متجردا خالصاً منيباً إلى ربه كما يصوره القرآن الكريم.

5- القصة القرآنية تمتاز بالإقناع الفكري[1]

أ- عن طريق الأثر النفسي: فلولا صدق إيمان يوسف عليه السلام لما صبر في الجب على الوحشة، ولما ثبت في دار امرأة العزيز على محاربة الفاحشة والبعد عن الزلل، مثل هذه المواقف الرائعة توحي للإنسان بأهمية مبادئ بطل القصة وصحتها، وتستهويه صفات هذا البطل وانتصاره بعد صبر ومصابرة طويلة، لذا فإن يوسف عليه السلام كان النموذج الأعظم لتلك المنهجية الإسلامية الخالصة ذلك أن ما ابتلى به يوسف عليه السلام متنوع ومتعدد سواء في طبيعته أو اتجاهاته ابتلاء بالشدة وابتلاء بالرخاء، وابتلاء بفتنة الشهوة وفتنة السلطان، ابتلاء بانفعالات المشاعر أمام مختلف المواقف ومختلف الشخصيات، والنتيجة أمام تلك الاختبارات هي الاتجاه إلى الله سبحانه وتعالى اتجاه العبد المنيب الذي يرجو رحمة الله ويخشى عذابه .

ب- عن طريق التفكير والتأمل: فالقصص القرآني لا يخلو من محاورات فكرية ينتصر فيها الحق، ويدفع فيها الباطل، ويصبح مرموقا محفوفاً بالحوادث والنتائج التي تثبت صحته وعظمته في النفس، وأثره في المجتمع، وتأييد الله له.

([1]) انظر: القصص في القرآن، لإسلام دربالة، ص9

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث: التكرار من منهج القصة

قال تعالى: ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(الأعراف:176) وذلك في ضرب الأمثال، وفي العبر والآيات، فإذا تفكروا علموا، وإذا علموا عملوا.[1]

السر من تكرار القصة القرآنية.

قد يقال: لماذا لم يقع الاستغناء بالقصة الواحدة في حصول المقصود منها، وما فائدة تكرار القصة في سور كثيرة، وربما تطرق هذا الهاجس ببعضهم إلى مناهج الإلحاد في القرآن. والذي يكشف لسائر المتحيرين حيرتهم على اختلاف نواياهم، وتفاوت مداركهم، أن القرآن بالخطب والمواعظ أشبه منه بالتآليف، وفوائد القصص تجتلبها المناسبات وتذكر القصة كالبرهان على الغرض المسوقة هي معه، فلا يعد ذكرها مع غرضها تكريرا لها؛ لأن سبق ذكرها إنما كان في مناسبات أخرى؛ كما لا يقال للخطيب في قوم ، ثم دعته المناسبات إلى أن وقف خطيبا في مثل مقامه الأول فخطب بمعان تضمنتها خطبته السابقة إنه أعاد الخطبة، بل إنه أعاد معانيها ولم يعد ألفاظ خطبته. وهذا مقام تظهر فيه مقدرة الخطباء فيحصل من ذكرها هذا المقصد الخطابي . ثم تحصل معه مقاصد أخرى: أحدها رسوخها في الأذهان بتكريرها.[2]

والذي يتصفح القرآن الكريم يجد أنه ليس هناك تكرار في القصص القرآني، وإنما ذكر للقصة بطرق مختلفة؛ لأن القصص القرآني كله قصص هادف إلى تحقيق قيم وأهداف تربوية إسلامية سامية في النفوس، وقد يتكرر اللفظ أو الجملة لغرض التوكيد كقوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ ،وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ، كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴾(الحاقة 1-4) والقرآن الكريم دستور المسلمين ودليلهم إلى التربية الحقة لهم ولغيرهم من الأجناس البشرية، لأنه كتاب تربية شاملة لكافة شئون الإنسانية جمعاء، ولا شك أن التكرار من الوسائل التربوية لتأكيد المبدأ وترسيخ المعتقد حتى يصبح له الفاعلية المؤثرة، إنه وسيلة القصص القرآني في التوجيه والتهذيب والموعظة، لذا يؤكد البلاغيون أن التكرار أحد أنواع الأطناب ويأتي في تقديرهم للإنذار والردع كما يأتي ليدل على الأسلوب المعجز.[3]

والتكرار من منهج القصة القرآنية ومعناه أن ترد القصة الواحدة عدة مرات في مواضع متعددة، وهذا التكرار لا يتناول القصة كلها في كل مرة وإنما يتناول بعض جزئياتها، وفقاً لما يقتضيه الحال التي ترد من أجله القصة، وكل أعادة لجزئية من جزئيات القصة يكون بلفظ يفيد تفنناً في الأسلوب وزيادة في المعنى بطريقة لا يستطيعها سوى الخالق عز وجل، ولذلك نجد أن

([1]) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،ص308

([2]) التحرير والتنوير ج1 ص68 بتصرف.

([3]) انظر: روائع الإعجاز الفني في القصص القرآني، لمحمود السيد حسن،ص163.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التكرار نوع من التأكيد وله مواطن ومواضع متعددة فهو في السور المكية أكثر منه في السور المدنية لأن الله سبحانه وتعالى أعلم بما يتناسب من الخطاب مع أهل مكة وما يتناسب من الخطاب أهل المدينة، ومن هنا اختلف الخطاب في المدينة عنه في مكة، فأهل مكة قص الله عليهم من أنباء الرسل وأممهم السابقة، ما فيه أبلغ المواعظ وأنفع العبر، من تقرير سنته تعالى الكونية في أهلاك أهل الكفر والطغيان وانتصار أهل الإيمان والإحسان ، مهما طالت الأيام وأمتد الزمان ، ما داموا قائمين بنصرة الحق وتأييد الإيمان[1]

وذلك لأن أهل مكة كانوا في حاجة إلى المواعظ والعبر وقص القصص وإيراده مكررا، ونظرا لجحودهم وتكذيبهم ترى القصص المكي قد تضمن أصول الدعوة ، وقضايا التوحيد والوحي، والبعث، والإرشاد إلى أمهات الأخلاق الفاضلة التي كان يقتضيها وضع القوم علاوة على ذلك نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى سلك مع أهل مكة سبيل الإيجاز في خطابه ، حتى جاءت السور المكية قصيرة الآيات ، صغيرة السور ، لأنهم أهل فصاحة ولسان صناعتهم الكلام وهمتهم البيان، فيناسبهم الإيجاز، والإقلال دون الإسهاب والإطناب.[2]

ولعل هذا هو سر كثرة التكرار في القصص القرآني المكي أكثر منه في القصص القرآني المدني، فالله سبحانه وتعالى أعلم بما يتناسب مع حال عباده من أنواع الخطاب، فجعل ما يتناسب مع أهل مكة غير ما يتناسب مع أهل المدينة.

التكرار يظهر البلاغة والإعجاز.

1- إن تكرير الكلام في الغرض الواحد من شأنه أن يثقل على البليغ؛ فإذا جاء اللاحق منه إثر السابق مع تفنن في المعاني، باختلاف طرق أدائها، من مجاز، أو استعارات، أو كناية، وتفنن الألفاظ وتراكيبها بما تقتضيه الفصاحة، وسعة اللغة باستعمال المترادفات، مثل: (ولئن رددت).(ولئن رجعت)، وتفنن المحسنات البديعية المعنوية واللفظية، ونحو ذلك، كان ذلك من الحدود القصوى في البلاغة، فذلك وجه من وجوه الإعجاز. [3]

2- التكرار أسلوب من أساليب البلاغة يؤكد المعاني في القلوب بمنهج عال شيق بليغ، واللفظ إذا تكرر تقرر في نفس سامعيه ، وإن كانت المعاني الأصلية المرادة حاصلة في الجمل والألفاظ فلا يضر بعد ذلك ما يرى في هذه الألفاظ أو الجمل من اختلافات لفظية لا تمس بأصول المعاني وجواهرها والمراد منها ولا تؤدي إلى تناقض أو اختلاف بل يمكن الجمع والتوفيق بينهما وما كان ذلك إلا للبلاغة ، ومن أجمل اعتبارات ومناسبات تختلف باختلاف السياق من ناحية إبرازها بوجوه متعددة ولكن الجوهر واحد .. ويكرر اللفظ أو الموضوع في صور متعددة، " فإذا كان أبلغ البلاغة في الشعر العربي القديم أن تجتمع له، رشاقة العبارة ، وحسن

([1]) انظر: مناهل العرفان، لعبد العظيم الزرقاني، جـ 1 ،ص 196 بتصرف.

([2]) انظر: مناهل العرفان، ج1 ، ص197 .

([3]) التحرير والتنوير ج1 ص68.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العرض ، ووضوح اللفظ ، وفصاحة التركيب ، وإبانة المعنى ، وتكرار الكلام لكل ما يفيده التكرار توكيداً ومبالغة وإبانة وتحقيقاً، ثم استعمال الترادف في اللفظ والمعنى، ومقابلة الأضداد وغيرها ، مما هو في نفسه تكرارا آخر للمحسنات اللفظية ، وتحسين للتكرار المعنوي"[1] ومن تلك البلاغة التي لمسناها في التكرار ظهور الأمر العجيب في إخراج المعنى الواحد في صور متباينة في النظم.[2]

وهذه الإعادة تلبس ثوباً جديداً، وتخرج إخراجاً جديداً، يناسب السياق التي وردت فيه، وتهدف إلى هدف خاص لم يذكر في مكان آخر، حتى وكأننا أمام قصة جديدة لم نسمع بها من قبل.

([1]) إعجاز القرآن، للرافعي، ص196 .

([2]) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، جـ2 ،ص88 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

بناء القصة القرآنية والأدبية

وفيه مطلبين:

المطلب الأول: البناء الفني للقصة القرآنية.

المطلب الثاني: بين القصة القرآنية والقصة الأدبية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

تركيب القصص القرآني

المطلب الأول: البناء الفني للقصة القرآنية

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (النمل:76)

لما كان فيها من اشتباه واختلاف عند بني إسرائيل، فقص هذا القرآن الاختلاف قصا زال به الإشكال، وبين به الصواب من المسائل المختلف فيها، ولما كان بهذه المثابة من الجلالة والوضوح، وإزالة كل خلاف، وفصل كل مشكل، علمنا أنه بني بناء فنيا لا مثيل له، وكان من أعظم نعم الله على العباد، [1] " والقرآن الكريم كما نعلم هو الكتاب المعجز الذي أعجز بلغاء العرب وفصحائهم وهم أهل بلاغة ولسن، ومع ذلك لم يستطيعوا أن يحاوروه في أسلوبه ولا في بلاغته ولا في فصاحته رغم ما كانوا عليه ، فمن ضمن ما تميز به القرآن الكريم من ميزات هو وجود العصر الفني في أسلوبه وقصصه، وإن خضوع القصة القرآنية، للفرض الديني، لم يضع من بروز الخصائص الفنية في عرضها، فالقرآن يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية"[2]

إن القصة القرآنية فيها الخصائص الفنية الكاملة رغم أنها قصة دينية غرضها الدين، ولكن مع ذلك فهي تحفظها بالخصائص الفنية كأي قصة فنرى العناصر التي يجب أن تتوفر في القصة متوفرة في القصص القرآني كالشخصية والحوار والحدث والتشويق والموضوع ، نرى ذلك كله في القصص القرآني كما نراه في القصة المعاصرة إلا اختلافاً واحداً، وهذا من ناحية العناصر وأما من ناحية الشكل فقد اتفق الأدباء والنقاد والمحدثون والكتاب المعاصرون على أن القصة من حيث الشكل تنقسم إلى قسمين: قصة طويلة وقصة قصيرة. [3]

([1]) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،ص609 .

([2]) التصوير الفني، لسيد قطب، ص117.

([3]) انظر: التصوير الفني، لسيد قطب، ص117.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: بين القصة القرآنية والقصة الأدبية

﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(هود:120) "يقص الله علينا من أنباء الرسل والسالفين، ما به تتبين الحقائق، وتقوم البراهين المتنوعة على التوحيد"؛[1] عكس القص الأدبي الذي مقصده إظهار القدرات الأدبية التي لا تعني إلا بطبقتها، دون أن تراعي كافة شرائح القدرات الذهنية، لذلك نجد أن هناك فوارق بين القصة القرآنية والقصة الأدبية منها:

1- **المصدر**: القصة القرآنية مصدرها رباني، إذ هو منزل من عند الله تعالى وفي القصة الأدبية المصدر بشري، فهو من نتاج مؤلفين.[2]

2- **اتساع المدى والعمق**: " القصة القرآنية تتناول كافة الأبعاد طولاً وعرضاً وعمقاً، سواء في ذكرها لأحوال النفس الإنسانية أو لآفاق الكون". [3]

والقصة الأدبية تعجز عن ذلك لعدم المعرفة بتلك الأبعاد بنفس العمق والإحاطة لمحدودية الإمكانات.

3- **المستوى الفني في القصة القرآنية** رفيع في أعلى درجات الجمال والكمال، لا يتفاوت تبعاً للحالة النفسية أو البيئية المحيطة، وفي القصة الأدبية متفاوت تارة في العلو، وأخرى في الوسط، وثالثة دون ذلك، تبعاً لأحوال المؤلف النفسية والاجتماعية، وقوته في التعبير والبيئة والظروف المحيطة به.[4]

4- **الهدف**: في القصة القرآنية للعظة والعبرة والهداية، وفي القصة الأدبية يختلف باختلاف الأشخاص والأفكار والنوايا.[5]

5- **العناصر**: القصة القرآنية لا يشترط فيها توفر كل العناصر، فقد يتوفر البعض منها حسب السياق والهدف القرآني، أما القصة الأدبية فلا بد فيها من توفر كل العناصر، مثل

([1]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،ص954.

([2]) انظر: القصة في التربية، لعبد العزيز عبد المجيد، ص20.

([2]) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، ج 5 ، ص2835.

([3]) المرجع السابق.

([4]) انظر: القصص القرآني في منطوقة ومفهومة، لعبد الكريم الخطيب، ص42 .

([5]) انظر: مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان،ص93.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشخصيات والحدث والزمان والمكان وكلها تعمل مجتمعة لإبراز الفكرة التي من أجلها وضعت القصة [1]

6- **الشخصيات:** القصة القرآنية كلها واقعية، والنص القرآني حين يغفل أسماء بعض الشخصيات وأعيان الذوات فذلك ليصور نماذج البشر، وأنماط الطبائع، لذلك لم يعن القرآن الكريم برسم الخطوط الشكلية للشخصية، وإبراز ملامحها الخارجية، كما يفعل بعض المولعين بالقصص وإنما يكشف عن مزاج الشخصية، أما الشخصيات في القصة الأدبية فهي من صنع الكاتب وخياله، ومن هنا لا يكون للكشف عن أسمائها أثر في وجودها الذي أقامها الكاتب عليه، وهذا من شأنه أن يضعف الإحساس بوجود الشخصية في الدور الذي تمثله، ولهذا فان الصفات لا الأسماء هي التي تحدد معالم الشخص هنا[2]

7- **الحوار** : يتميز الحوار في القصص القرآني بمزايا كثيرة لا يجاريه فيها الأدب في قصصه، وبما أن الحوار في القصص القرآني هو الروح الذي يسري به كيان العمل القصصي، وبغير حوار لا نجد الفائدة المرجوة، ولا تجد في ذلك الذوق الرفيع والتلوين البديع في الحادثة، والحوار في سائر أحواله في القصص القرآني يصور المواقف تصويراً تاماً يتناول جميع أجزائها، والذي يعنينا هنا أن الحوار في القصص القرآني لا بد أن يؤدي دوراً هاماً في إبراز الأهداف التربوية الإسلامية السامية، وتحقيقها في نفوس الناشئة والشباب لخلق جيل مسلم متكامل الشخصية في جميع جوانبها المختلفة، وقد لا نجد الحوار في بعض القصص القرآني، مثال ذلك قصة أصحاب الفيل وأصحاب الأخدود فمثلاً في سورة الفيل يقول الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * ترميهم بحجارة من سجيل فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾(الفيل:1-4) وعلى هذا فأسلوب الحوار في كل موقف مغاير للآخر، فلموقف الشدة حوار، ولموقف الرخاء حوار، فهو الذي يبعث الحياة والحركة في الحدث، ويؤدي إلى الهدف، ويكشف عن مدى الصراع في المواقف المتغايرة، كما أنه يترجم عن الشخصية، يقول جل شأنه في قصة يوسف عليه السلام: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (يوسف:23)

8- الزمان والمكان في القصة القرآنية يذكران بحسب الحاجة والقدر المناسب، ولا يشترط فيه التسلسل الشخصي، وتكون الأجزاء فيه متجهة للأمام دائماً، إذ ليس من طبيعة الزمن أن

([1]) انظر: القصة في التربية، لعبد العزيز عبد المجيد، ص20

([2]) انظر: في ظلال القرآن، ج 5 ، ص2835.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتحرك إلى الوراء، أما في القصة الأدبية فقد يذكر بحسب الحاجة، وبقدر مختلف مشوب بالخيال، ولا يشترط فيه السير إلى الأمام، إذ أنه تبع لرغبة المؤلف يبدأ من أي زمان أو مكان يشاء، ويرجع ويتقدم عنه بحسب ما يرى، ويلاحظ في القصص التاريخي التسلسل العام المفصل غالب الأحيان.[1]

(1) انظر القصة في التربية، لعبد العزيز عبد المجيد، ص21.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصـــل الأول

أبرز قضايا الأمة وسُبل علاجها في القصص القرآني

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: القضايا العقائدية.

المبحث الثاني: القضايا السياسية.

المبحث الثالث: القضايا الاجتماعية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

قضايا عقائدية

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: التوحيد.

المطلب الثاني: الشرك.

المطلب الثالث: النفاق

المطلب الرابع: التكفير.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

قضايا عقائدية

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (النحل: 36).

إن القضايا التي تعاني منها الأمة اليوم في الجانب العقائدي مخيفة وخطيرة ولها تأثير واضحاً على سلوك وأخلاق ومعاملات الناس فيما بينهم علاوة على علاقتهم بخالقهم سبحانه وتعالى فعندما نلمس قضية النفاق والتكفير والشرك والتوحيد في المجتمع المسلم.

لقد أخبر الله تعالى بأنه ما أخلى أمة من الأمم من إرسال رسول إليها لهدايتها وبيان سبيل نجاتها وتحذيرها من طرق غوايتها وهلاكها كما أخبر عن وحدة الدعوة بين الرسل وهي لا إله إلا الله المفسرة بعبادة الله تعالى وحده، واجتناب الطاغوت وهو كل ما عبد من دون الله مما دعا الشيطان إلى عبادته، وبين أن هناك من الناس من عرف الحق واعتقده فوحد الله وعمل بالتوحيد فنجا وسعد، **﴿ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾** أزلاً في كتاب المقادير لأنه أصر على الضلال وجادل عنه وحارب من أجله باختياره وحريته فحرمه الله لذلك التوفيق فضلَّ ضلالاً لا أمل في هدايته، ثم حذر سبحانه وتعالى من ترك التوحيد وأن تركه كان سببا في إهلاك الأمم فقال تعالى: **﴿فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾** أمثال عاد في الجنوب، وثمود في الشمال، ومدين ولوط وفرعون في الغرب،[1] وحتى نقف على أهمية العقائد في حياتنا فقد آثر الباحث أن يقسم هذا المبحث إلى مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: التوحيد

التوحيد لغة: "الحكم بأن الشيء واحد والعلم بأنه واحد". [2]

التوحيد اصطلاحاً هو : إفراد الله تعالى بالعبودية والربوبية والأسماء والصفات اللائقة به سبحانه.[3] قال تعالى: ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾(البقرة:163)

"هذه الجملة من حكاية كلام موسى عليه السلام فموقعها موقع التذييل لوعظه، وقد التفت من خطاب السامري إلى خطاب الأمّة إعراضاً عن خطابه تحقيراً له، وقصداً لتنبيههم على خطئهم، وتعليمهم صفات الإله الحق، واقتصر منها على الوحدانية وعموم العلم لأن الوحدانية تجمع جميع الصفات، وأما عموم العلم فهو إشارة إلى علم الله تعالى بجميع الكائنات الشاملة لأعمالهم

([1]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للإمام الطبري، ج1، ص201 بتصرف.

([2]) كتاب التعريفات، للجرجاني ، ص96.

([3]) انظر: كتاب التعريفات للجرجاني ص96.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ليرقبوه في خاصتهم واستعير فعل وَسِعَ لمعنى الإحاطة التامة، لأن الإناء الواسع يحيط بأكثر الأشياء مما هو دونه، وانتصب عِلْماً على أنه تمييز نسبة السعةِ إلى الله تعالى، فيؤول المعنى: وسع علمه كل شيء بحيث لا يضيق علمه عن شيء، أي لا يقصر عن الاطلاع على أخفى الأشياء، كما أفاده لفظ كل المفيد للعموم[1] وهكذا "بيّن جلّ وعلا في هذه الآية: أن العجل الذي صنعه السامري من حلي القبط لا يمكن أن يكون إلهاً، وذلك لأنه حصر الإله أي المعبود بحق بـــ﴿ إِنَّمَا ﴾ التي هي أداة حصر على التحقيق في خالق السموات والأرض، الذي لا إله إلا هو، أي لا معبود بالحق إلا هو وحده جلّ وعلا، وهو الذي وسع كل شيء علماً"[2].

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾ (طه: 98) والمعنى أن "الذي يستحق عَليكم الطاعةَ له، ويستوجب منكم العبادة، معبودٌ واحدٌ وربٌّ واحد، فلا تعبدوا غيرَه، ولا تشركوا معه سواه، فإنّ من تُشركونه معه في عبادتكم إياه، هو خَلقٌ مثلكم، وإلهكم إله واحد، لا مثلَ لهُ وَلا نَظير".[3]

والتوحيد هو إفراده الله بالعبادة وحده، والعبادة شامله لكل نواحي الدين بما في ذلك السير على منهج الله تعالى، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: 31).
أي هؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا الأحبارَ والرهبان والمسيحَ أربابًا، ما أمروا إلا أن يعبدوا معبودًا واحدًا، وما أمروا إلا أن يطيعوا ربًّا واحدًا دون أرباب شتَّى، وهو الله الذي له عبادة كل شيء، وطاعةُ كل خلق، المستحقُّ على جميع خلقه الدينونة له بالوحدانية والربوبية "لا إله إلا هو"، فلا تنبغي الإلوهية إلا للواحد الذي أُمر الخلقُ بعبادته، ولزمت جميع العباد طاعته (سبحانه عما يشركون)، وهذا تنزيه وتطهير لله عما يُشرك في طاعته وربوبيته، من أمثال القائلين: عزير ابن الله، والقائلين: المسيح ابن الله، والمتخذين أحبارهم أربابًا من دون الله.[4]
فعن عدي بن حاتم قال : أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال:[يا عدي اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرأ في سورة براءة ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ قال: أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه][5].

([1]) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ج16، ص301 بتصرف.
([2]) أضواء البيان، للشنقيطي ج21 ،ص183.
([3]) جامع البيان في تأويل القرآن ج3 ،ص265 .
([4]) انظر تفسير الطبري، ج 14، ص213.
([5]) سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة التوبة رقم: 3095 ، وحسنه الألباني.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد بين القصص القرآني أن الله أهلك من أهلك من الأمم بسبب تركهم للتوحيد، وضرب الله لنا الأمثال، وحذرنا من أن ننهج نهجهم، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الرعد: 6).
و(المثلات) بمعنى الأمثال المضروبة، أي العقوبات الخارجة عن المعهود في الشدة حتى ضرب بها وبمن حلت به المثل، ويجوز أن يفسر (المثل) بمعنى القصة العجيبة، فيكون المعنى قصص ما حل بالمكذبين من النكال العجيب والهلاك المنقطع النظير بسبب عدم توحيد رب العالمين.[1]

أولاً: جميع الأنبياء جاءوا بعقيدة التوحيد

ما من قصة رسول أو نبي تطالعك في القرآن وتقف بين ثناياها إلا وتجد أن عمادها يقوم على الدعوة إلى التوحيد ونبذ الطواغيت ويختلف مستوى الخطاب فيها باختلاف حجم الإنكار والكفر لدى أولئك الأقوام، والقصص القرآني ركز على توحيد الله، وإتباع منهجه، وترك ما سواه، وتعليق الناس باليوم الآخر الذي فيه الحساب والجزاء، فإن سار الناس على هذا النهج نجوا وإن خالفوا هلكوا فهذا سيدنا نوح عليه السلام في قصته مع قومه يدعو قومه إلى التوحيد قائلاً ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (المؤمنون: 23) وهو تماماً ما نراه على لسان سيدنا هود عليه السلام ودعوته قومه عاد ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الأعراف: 65) هو أيضاً نفس الجوهر الذي سلكه سيدنا صالح في قصته مع قومه ثمود: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف: 73) وهكذا نجد أن دعوة الأنبياء والرسل إلى التوحيد دعوة تواكب كل زمان ومكان ولا تتغير ولا تتبدل بل نكاد نلمس تطابقاً بين الأنبياء والرسل حتى في لفظ الدعوة فضلاً عن جوهرها وهذا يدل فيما يدل على أن الأنبياء والرسل قد انطلقوا من قاعدة واحدة وأرسلهم وبعثهم الإله الواحد فجوهر الدعوة المتكررة من الأنبياء والتطابق فيما بينهم يشير إلى عقيدة التوحيد في أن إلهاً واحداً لهذا الكون وحين نطالع القصص القرآني ملتمسين فيه ما يدل على دعوته إلى التوحيد **يمكن أن نلحظ ثلاثة أمور مهمة:**

1- الأمر بعبادته وحده:

عبادة الله وحده هي العقيدة الأساسية التي تتكرر الدعوة إليها في قصص الأنبياء بالقرآن الكريم، حيث جاء على سبيل المثال قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (النحل: 36) فهذه دعوة من جميع الرسل لأقوامهم، والقصص القرآني مليء بالنماذج الدالة على ذلك قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الأعراف: 59) حيث خاطب نوح عليه السلام قومه بكلمة التوحيد

([1]) أنظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي ج1 ،ص488 – 489.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقال: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ فهي الكلمة التي لا تتبدل، وهي قاعدة هذه العقيدة التي لا تقوم إلا بها، وهي الكفيل بتحرر البشر من العبودية للهوى، والعبودية لأمثالهم من العبيد، وبالاستعلاء على الشهوات كلها، وعلى الوعد والوعيد، ولقد قال نوح لقومه هذه المقولة الواحدة، وأنذرهم عاقبة التكذيب بها، في إشفاق الأخ الناصح لإخوانه ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وهنا نرى كيف كان استقبال المنحرفين الضالين من قوم نوح لهذه الدعوة الخالصة الواضحة المستقيمة، لقد اتهموه بالسفه والضلال، قال تعالى:﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ الأعراف 60 [1] فلما عاندوا وعصوا ورفضوا التوحيد كان حقاً على الله أن يمحق المعاندين العصاة وينجي المستجيبين الأتقياء قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ* وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ (الصافات: 75-76) [2] "لقد كان الإنذار من نوح لتحريك القلوب بمشاعر التقوى، ليظفروا في النهاية برحمة الله، ولا شيء وراء ذلك لنوح، ولا مصلحة، ولا هدف إلا هذا الهدف السامي النبيل، ولقد رأينا من عماهم عن الهدى والنصح المخلص والنذير، فبعماهم هذا كذبوا، وبعماهم لاقوا هذا المصير!"[3].

وهكذا نرى كيف أن الله ينجي المؤمنين الذين قبلوا التوحيد، حتى ولو لم يملكوا القوة لمقارعة عدوهم، فبعد أن أنزلت السماء ماءها، وأخرجت الأرض ماءها، وعلت المياه أعلى الجبال، ولم ينج من المخلوقات إلا من ركب في السفينة، يأتي الأمر الإلهي لتكتمل النجاة، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (هود: 44) إنها نعمة الله على المؤمنين يوم يستجيب الله لهم الدعاء ويفرج عنهم، قال تعالى: ﴿وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الأنبياء: 76)؛ "والمراد بالكرب العظيم في الآية، الغرق بالطوفان الذي تتلاطم أمواجه كأنها الجبال العظام، كما قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ (هود:42)، وقال تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ (العنكبوت: 15)، إلى غير ذلك من الآيات" [4] وبفضل الاستجابة لله واتباع التوحيد والصبر على الإيذاء كانت النهاية، نجاة الموحدين، وهلاك الجاحدين.

([1]) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج3 ،ص1308 .

([2]) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي، ج4، ص649.

([3]) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج3 ، ص1308 .

([4]) أضواء البيان، للشنقيطي، ج4 ،ص649 بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهناك آيات كثيرة تبين أن الرسل أمروا أقوامهم بالتوحيد، وحذروا من مخالفته:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ (المائدة: 72).

وقال تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الأعراف:65).

وقال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الأعراف: 73)

وقال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف:85)

وقال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(العنكبوت:16).

فيجب على كل من عرف هذه العقيدة، وعمل بها ألا يقتصر على نفسه، بل يدعو الناس إليها بالحكمة والموعظة الحسنة؛ كما هو سبيل المرسلين وأتباعهم، وإن الدعوة إلى هذه العقيدة هو الأساس والمنطلق؛ فلا يدعى إلى شيء قبلها من فعل الواجبات وترك المحرمات، حتى تقوم هذه العقيدة وتتحقق؛ لأنها هي الأساس المصحح لجميع الأعمال، وبدونها لا تصح الأعمال ولا تقبل ولا يثاب عليها، ومن المعلوم بداهة أن أي بناء لا يقوم ولا يستقيم إلا بعد إقامة أساسه.

2- تطبيق المنهج القرآني منهجاً للحياة

يتجلى ذلك واضحاً في قصة سيدنا آدم وزوجه حواء وخروجهما من الجنة فلما كان آدم في الجنة وزوجته يرفلان في سعادة وحبور لا يمسهما نصب ولا شقاء :﴿ **إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى**﴾ وحينما عصى آدم ربه تجلت العناية الإلهية بإخراج آدم عليه السلام ولكن المولى يعلم سبحانه وتعالى أن الدنيا دار شقاء؛ من أجل ذلك مكّن لأدم ضمان استمرارية السعادة في الدنيا، في أن أنزل كتابه الذي فيه الهدى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾(طه: 123-124) أي: "أيَّ وقت وزمان جاءكم مني يا معشر الثقلين هدى، أي: رسول وكتاب يهديكم لما يقربكم مني، ويدنيكم مني؛ ويدنيكم من رضائي، فمن تبع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هداي منكم، بأن آمن برسلي وكتبي، واهتدى بهم، وذلك بتصديق جميع أخبار الرسل والكتب، والامتثال للأمر والاجتناب للنهي، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وقد رتب على اتباع هداه أربعة أشياء: نفي الخوف والحزن والفرق بينهما أن المكروه إن كان قد مضى، أحدث الحزن، وإن كان منتظرا، أحدث الخوف، فنفاهما عمن اتبع هداه وإذا انتفيا، حصل ضدهما، وهو الأمن التام، وكذلك نفي الضلال والشقاء عمن اتبع هداه وإذا انتفيا ثبت ضدهما، وهو الهدى والسعادة، فمن اتبع هداه حصل له الأمن والسعادة الدنيوية والأخروية والهدى، وانتفى عنه كل مكروه من الخوف، والحزن، والضلال، والشقاء، فحصل له المرغوب، واندفع عنه المرهوب، وهذا عكس من لم يتبع هداه، فكفر به، وكذب بآياته"[1].

ولقد تبين من الواقع العملي مرحلة بعد مرحلة، وتجربة بعد تجربة، أنه لا يمكن التعايش بين منهجين للحياة بينهما اختلاف جذري عميق، فمنهجين للحياة أحدهما يقوم على عبودية العباد للّه وحده بلا شريك، والآخر يقوم على عبودية البشر للبشر، وللأرباب المتفرقة، لابد أن يقع بينهما تصادم في كل خطوة من خطوات الحياة لأن كل خطوة من خطوات الحياة في أحد المنهجين لا بد أن تكون مختلفة مع الأخرى، ومتصادمة معها تماما، ولم تكن فلتة عارضة أن تقف قريش تلك الوقفة العنيدة لدعوة أن (لا إله إلا اللّه وأن محمدا رسول اللّه) في مكة ولا أن تحاربها هذه الحرب الجائرة في المدينة ولم تكن فلتة عارضة أن يقف اليهود في المدينة كذلك لهذه الحركة وأن يجمعهم مع المشركين معسكر واحد – وهم أهل الكتاب – وأن يؤلب اليهود وتؤلب قريش قبائل العرب في الجزيرة في غزوة الأحزاب لاستئصال شأفة ذلك الخطر الذي يتهدد الجميع بمجرد قيام الدولة في المدينة على أساس هذه العقيدة، وإقامة نظامها وفق ذلك المنهج الرباني المتفرد![2].

وهذا يتبين من الأهداف النهائية للمشركين تجاه الإسلام والمسلمين كما يقررها اللّه – سبحانه – في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا...﴾ **(البقرة : 217)**.

وقوله تعالى:﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ **(النساء: 102)**. وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ

([1]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص50.

([2]) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، ج3، ص1586.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ (الممتحنة: 2) وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ (التوبة : 8). وقوله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً. . .﴾ (التوبة:10).[1]

وهذه الأهداف النهائية للمشركين تجاه الإسلام والمسلمين، هي بعينها وتكاد تكون بألفاظها هي الأهداف النهائية لأهل الكتاب تجاه الإسلام والمسلمين كذلك، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (البقرة : 109).

وقال: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة :120).

وقال: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ (آل عمران: 69).

وقال: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ، وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ (آل عمران: 72 – 73).

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ (آل عمران:100)

وقال:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾(النساء44 – 45).

وإذا نحن لاحظنا أن التقريرات القرآنية الواردة في هذه الآيات ترد في صيغ نهائية، تدل بصياغتها على تقرير طبيعة دائمة، لا على وصف حالة مؤقتة ، كقوله تعالى في شأن المشركين ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ وقوله تعالى في شأن أهل الكتاب : ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ إذا نحن لاحظنا ذلك تبين لنا بغير حاجة إلى أي تأويل للنصوص، أنها تقرر طبيعة أصيلة دائمة للعلاقات ولا تصف حالة مؤقتة ولا عارضة فلا فرق بين المشركين وأهل الكتاب في عدائهم للإسلام.![2]

ولا يزال المسلمون يعانون من المناهج الدخيلة، والتي تسببت في ضياع أمة محمد ﷺ وأكثر ما يعاني منه المسلمون، التبعية والتقليد الأعمى حسب الميل، والهوى، والصحبة، فبدافع الصحبة يتأثر الشخص فينحرف بالتبعية، وينسى أو لا يعرف بأنه سيأتي اليوم الذي سيولول على عدم إعمال عقله، قال تعالى:﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا *يَا وَيْلَتَى

([1]) انظر: في ظلال القرآن،ج3، ص1620.

([2]) انظر: في ظلال القرآن، ج3، ص1620.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ۞لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾ (الفرقان:27-29)، ويوم يعضّ الظالم على يديه ندماً وأسفاً على ما فرط في جنب الله، وأوبق نفسه بالكفر به في طاعة خليله الذي صدّه عن سبيل ربه، يومها يقول: يا ليتني اتخذت في الدنيا مع الرسول طريقا إلى النجاة من عذاب الله وقد قيل: عنى بالظالم عقبة بن أبي معيط [1] فالعبرة بعموم الألفاظ، لا بخصوص الأسباب، فكل ظالم أطاع خليله في الكفر، حتى مات على ذلك يجري له مثل ما جرى لابن أبي معيط".[2] وإن أخطر شيء في حياة المسلم المعتقدات الضالة، فالعقيدة أخطر شيء في حياة الإنسان، فإن صحت صح عمله، وإن فسدت فسد عمله، والانحراف الفكري لا يأتي من فراغ، وإنما يأتي نتيجة أسباب عديدة، منها:

أ- ترك العمل بالكتاب والسنة:

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: 153) وقال النبي ﷺ [... وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله وسنتي...][3] وأمرنا رسول الله ﷺ بلزوم السنة والعض عليها بالنواجذ، فقال [... إياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ][4] وقد حذرنا الله من الانحراف عن التوحيد، وترك طريق رسوله، وبين أن مصير المنحرف جهنم والعياذ بالله، فقال تعالى ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ (النساء: 115) وقال رسول الله ﷺ:[إن الله يرضى لكم ثلاثا، ويكره لكم ثلاثا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال][5] قال ابن تيمية : "وهذه الثلاث تجمع أصول الدين وقواعده وتجمع الحقوق التي لله ولعباده وتنظم مصالح الدنيا والآخرة".[6]

ب-ترك العلم

---

(1) انظر: جامع البيان، للطبري، ج17 ، ص439.

(2) أضواء البيان، الشنقيطي،ج6 ،ص313.

(3) صحيح مسلم، كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ، ج2، ص890، ح1218 .

(4) سنن الترمذي، كتاب العلم عن رسول الله ﷺ ،باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ح 2676 صححه الألباني .

(5) صحيح مسلم ، كتاب الأقضية ، باب النهي عن كثرة المسائل، ح 1715.

(6) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ج 1، ص 18.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 101) فترك العلم أدى بالمجتمعات إلى الانحلال، والغرق في الشهوات، فأصبح هم الناس، إشباع غريزة الجسد، وأهملوا غذاء الروح، وغذاء الروح لا يكون إلا بالعلم، لذلك فإن الله مدح العلماء بأنهم يخشون الله تعالى، فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر: 28)، وعلى حسب مقدار العلم تقْوَى الخشية؛ وغير العالم إن اهتدى بالعلماء فسعيه مثل سعي العلماء وخشيته متولدة عن خشية العلماء.[1] والله سبحانه وتعالى فرق بين صاحب العلم وغيره، ولم يساوِ بينهم، فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ **(الزمر:9)** ووصف الجاهل بالعلوم الشرعية، بالعمي، فقال: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (الرعد: 19). وقد جعل الله تعالى إيتاء العلم والحكمة مجازاة على الإحسان لأنهما يؤديان إلى الجنة التي هي جزاء المحسنين، والعالم الحكيم من يعمل بعلمه[2] قال رسول ﷺ:[من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهّل الله له به طريقًا إلى الجنة][3] وصاحب العلم يجنب نفسه اللعن، قال النبي ﷺ يقول: [الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم][4] وقد ضرب الله لنا مثلا في كتابه، بين فيه أن العبادة دون علم هلاك على صاحبها، وأن من عبد الله على جهل فكأنما عصاه، وبين أن الجهل يؤدي إلى النار والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ (الحشر:16-17) والإنسان الذي قال له الشيطان اكفر، راهب تركت عنده امرأة أصابها لمم ليدعو لها، فزين له الشيطان، فوطئها فحملت، ثم قتلها خوفا أن يفتضح، فدل الشيطان قومها على موضعها، فجاءوا فاستنزلوا الراهب ليقتلوه، فجاء الشيطان فوعده أنه إن سجد له أنجاه منهم، فسجد له فتبرأ منه فأسلمه.[5]

([1]) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج22، ص305.

([2]) انظر: تفسير النسفى، لأبي البركات عبد الله النسفي، ج 3، ص 332.

([3]) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على قراءة القرآن والذكر ح2699.

([4]) سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب منه ح2322 حسنه الألباني.

([5]) انظر: تفسير القرطبي، ج 18، ص534.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ج- عدم القيام بالمسئولية تجاه الأهل

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: 6) فالشباب إن لم يجدوا من يوجههم، ويأخذ بأيديهم، فإنهم سيغرقون في وحل الشهوات، وسيكون عاقبتهم الضلال، إلا من رحمه الله تعالى، فدله على الصراط المستقيم، ومن رحمة الله بالشاب، أن يسخر له من يأخذ بيده ويحمله على فعل الخيرات، والقرآن علمنا كيف نوجه الشباب ونؤدبهم، فإن من أهم ما يواجه المسلمين كأفراد وكأمة مسألة تنشئة أفرادها على دين الله سبحانه وتعالى، وتهيئتهم علماً وعملاً، ودعوتهم للالتزام بهذا الدين، فقضية التربية قضية عظيمة الأهمية في حياة الفرد والأمة، وهي واجب شرعي، ولأهميتها ذكر الله لنا في كتابه وصية لقمان لابنه، وخلد اسمه في كتابه، ليبين لنا أن ميزان الناس عند الله، لا بصورهم ولا بأجسامهم، إنما بتقواهم ورجاحة عقولهم،[1] قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ* يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ*يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ*وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ*وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾(لقمان:13-19).

3- عدم التعلق باليوم الآخر

خلق الله الإنسان في هذه الدنيا ليعمرها بتوحيده وفق منهج الله، فإذا ولَّت وانقضت؛ جمع الله الأولين والآخرين في يوم جديد، هو يوم الحساب والجزاء، حيث يجازى كل إنسان على عمله، وهذا هو ما تقتضيه حكمة الله وعدله، وإلا لاستوى الطائع والعاصي، والمؤمن والكافر، وهذا من العبث الذي يتنزه عنه الله الحكيم، قال تعالى: ﴿ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾(المؤمنون: **115**) ، وقد أمر الأنبياء أقوامهم أن يعدوا أنفسهم ويعملوا لهذا اليوم، قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾(العنكبوت:36) أي توقعوا اليوم الآخر،[2] وما سيقع فيه من فنون الأهوال، وافعلوا اليوم من الأعمال ما تأمنون به غائلته، أو الأمر بالرجاء أمر بفعل ما يترتب عليه الرجاء إقامة للمسبب

([1]) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ، ج3 ، ص301

([2]) انظر: تفسير الألوسي لشهاب الدين الألوسي، ج15 ، ص273.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقام السبب، وفي الكلام مضاف مقدر فالمعنى افعلوا ما ترجون به ثواب اليوم الآخر، وجوز أن لا يقدر مضاف، وإرادة الثواب من إطلاق الزمان على ما فيه.[1]

وقد بين القرآن الكريم أنه لا يعتبر بما ورد في قصص القرآن إلا من رجا اليوم الآخر، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾(الممتحنة:6) وذكر الإيمان باليوم الآخر دائما يأتي مقروناً بالإيمان بالله، لأن الإنسان الذي لا يؤمن باليوم الآخر لا يكون مؤمناً بالله – تبارك وتعالى، والإنسان إذا لم يؤمن باليوم الآخر، فلا معنى لكونه يكون مؤمناً بالله في هذه الحياة الدنيا؛ لأن العمل في الحياة الدنيا يرتبط أساساً بالإيمان بالآخرة، "وكيف لا نعمل حساباً لليوم الآخر، ونحن في الدنيا نعامل أنفسنا بنفس منطق اليوم الآخر، فأنت مثلاً تتعب وتشقى في زراعة الأرض، وتتحمل مشاق الحرْث والبَذْر والسقي ... إلخ طوال العام، لكن حين تجمع زرعك يوم الحصاد، ويوم تملأ به مخازنك تنسى أيام التعب والمشقة، وساعتها يندم الكسول الذي قعد عن العمل والسعي، يوم الحصاد سترى أن أردب القمح الذي أخذتَه من المخزن وظننتَ أنه نقص من حسابك قد عاد إليك عشرة أرادبّ، فأخْذُك لم يقلل إنما زاد، وكذلك اليوم الآخر نفهمه بهذا المنطق، فنتحمل مشاقّ العبادة والطاعات في الدنيا لننال النعيم الباقي في الآخرة؛ لأن نعيم الدنيا مهما كان، يُنغصه عليك أمران: إما أنْ تفوته أنت بالموت، أو يفوتك هو بالفقر؛ أما في الآخرة فلا يفوتك نعيمها ولا تفوته؛ إذن: فالأَوْلى بك أنْ تزرع للآخرة، وأن تعمل لها ألف حساب، فإنْ كان في العبادة مشقة، وللإيمان تَبعات، فانظروا إلى عِظَم الجزاء، وإذا استحضرتَ الثواب على الطاعة هانتْ عليك مشقة الطاعة، وإذا استفظعت العقاب على المعصية، زهدتَ فيها ونأيْتَ عنها.[2]

لذلك كان النبي ﷺ يعلق أصحابه باليوم الآخر، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه ذكر شيئا من قصة بدر قال: [فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ: قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض قال يقول عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله عرضها السماوات والأرض! قال: نعم قال: بخٍ بخٍ قال رسول الله ﷺ ما يحملك على قولك بخ بخ قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها قال فإنك من أهلها، قال فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن، ثم قال لئن أنا حييت حتى آكل من تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل].[3]

([1]) انظر: روح المعاني ، للألوسي، ج15 ، ص273.

([2]) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ج1 ،ص6995 بتصرف.

([3]) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد ، ح5024

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نلاحظ أن خروج الرسول وأصحابه كان للقافلة ومع ذلك لم يعد واحداً منهم بأي شيء من الغنيمة إنما علقهم بالآخرة، فلو عرفنا هذا الطريق فلا شك أننا لا نقدم على عمل إلا إذا قصدنا فيه إخلاص التوحيد لله تعالى، ومن ثم عدم مواجهة ما تواجهه الأمة من هذا العناء والقهر الذي تعيشه هذه الأيام.

بعد هذا العرض نجد أننا نتحمل عبئا ثقيلا، وفي أعناقنا أمانة عظيمة، فإن لم نتوحد على التوحيد فلا شك أننا لن نستطيع أبداً أن نشق طريقنا إلى الحياة، ولا حتى أن نفوز بالآخرة، فلا يمكن لمجتمع ترك منهجه الواحد وسار خلف شهواته، وسلك طرقا متشعبة أن ينتصر على أصحاب الهدف الواحد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: الشرك

إن أعظم شيء نهى الله عنه هو الشرك ولقد رتب الله عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه من إباحة دماء أهله وأموالهم وسبي نسائهم وأولادهم وعدم مغفرته من بين الذنوب إلا بالتوبة.

ولأن الشرك مناقض للمقصود بالخلق والأمر منافٍ له من كل وجه وذلك غاية المعاندة لرب العالمين والاستكبار على طاعته والذل له والانقياد لأمره الذي لا صلاح للعالم إلا بذلك .

والشرك تشبيه للمخلوق بالخالق في الخصائص الإلهية، والشرك إهدار لكرامة الإنسان وإذلال له حيث يتذلل لمخلوق من ماء مهين مثله يخضع بين يديه ويتضرع لديه راجياً منه وخائفاً لذلك جعلت من الشرك مطلباً من القضايا العقائدية التي طرحتها في البحث.

أولاً: تعريف الشرك لغة واصطلاحاً

1- تعريف الشرك لغة:

" الشين والراء والكاف أصلانِ، أحدُهما يدلُّ على مقارنَة وخِلاَفِ انفراد، والآخر يدلُّ على امتدادٍ واستقامة فالأول الشِّرْكة، وهو أن يكون الشيءُ بين اثنين لا ينفردُ به أحدهما، ويقال شاركتُ فلاناً في الشيء، إذا صِرْتَ شريكه وأشركْتُ فلاناً، إذا جعلتَه شريكاً لك، قال الله جلَّ ثناؤهُ في قِصَّةِ موسى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ طه:32 ويقال في الدُّعاء: اللهم أشرِكْنا في دعاء المؤمنين، أي اجعلنا لهم شركاءَ في ذلك، وشَرِكتُ الرَّجُلَ في الأمرِ أشْرَكُه وأمّا الأصل الآخر فالشرَك: لَقَم الطّريق، وهو شِرَاكُه أيضاً وشِرَاك النَّعْل مشبَّه بهذا ومنه شَرَكُ الصّائِدِ، سمِّي بذلك لامتداده." [1] إذن "فالشرك في اللغة هو الند والمشارك والمقاسم"[2]

2- تعريف الشرك اصطلاحا:

هو أن يجعل مع الله إلهاً آخر ملكًا أو رسولاً أو وليًّا أو حجرًا أو بشرًا يعبده كما يعبد الله، وذلك بدعائه والاستعانة به والذبح له والنذر له وغير ذلك مما يختص به سبحانه وتعالى وينقسم الشرك إلى نوعين: شرك أكبر، وشرك أصغر [3]

ما من ظلم أعظم من الشرك فإن الشرك ظلم عظيم قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾(لقمان: 13) ومبعث عظم الظلم في الشرك هو أن

([1]) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ج3، ص265.

([2]) الإعلام بتوضيح نواقض الإسلام، لعبد العزيز بن مرزوق الطّريفي، ص60.

([3]) انظر: الكبائر، للذهبي، ص9 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المشركين أخطأوا فنسبوا الأشياء إلى غير أصحابها، وألحقوا المخلوقين بغير خالقهم قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ* فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ* أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (الأعراف: 189–191) يقول تعالى لأولئك السائلين عن الساعة عناداً ومكابرة من أهل الشرك أن الخالق لكم من نفس واحدة وهو آدم وخلق منها زوجها حواء هو المستحق للتأليه والعبادة. دون غيره من سائر خلقه وقوله ﴿ليسكن إليها﴾: علة لخلقه زوجها منها، إذ لو كانت من جنس آخر لما حصلت الألفة والأنس بينهما.

الشرك هو أعظم ما عصي به الله منذ بدء الخليقة إلى يومنا هذا، حتى وصف الله هذا الذنب بالظلم العظيم، فقال تعالى: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ **(لقمان:13)** وما ذلك إلا لما فيه من الجناية العظيمة في حق الخالق جلَّ جلاله. فالله هو الذي خلق، وهو الذي رزق، وهو الذي يحيي، وهو الذي يميت، ومع كل هذه النعم، وهذه المنن، فالمشرك يجحد ذلك وينكره، بل ويصرف عبادته وتعظيمه لغير الله سبحانه. فما أقبحه من ظلم وما أشده من جور، لذلك كانت عقوبة المشرك أقسى العقوبات وأشدها، ألا وهي الخلود الأبدي في النار، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾(المائدة: 72)وكل ذنب مات العبد من غير أن يتوب منه حال الحياة فإمكان العفو والمغفرة فيه يوم القيامة واردٌ، إلا الشرك والكفر، فإن الله قد قطع رجاء صاحبه في المغفرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً ﴾(النساء: **48**)

ثانياً: الشرك الأكبر

قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (يونس:18) وقال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ (الزمر:3) أي: "يعبدونهم ليقربوهم إلى الله، ويشفعوا لهم عنده، وهذا قول من تلقاء أنفسهم، وكلام ابتكروه هم، ولهذا قال تعالى – مبطلا هذا القول–: ﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: الله تعالى هو العالم، الذي أحاط علما بجميع ما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في السماوات والأرض، وقد أخبركم بأنه ليس له شريك ولا إله معه، أفأنتم- يا معشر المشركين- تزعمون أنه يوجد له فيها شركاء؟ أفتخبرونه بأمر خفي عليه، وعلمتموه؟ أأنتم أعلم أم الله؟ فهل يوجد قول أبطل من هذا القول المتضمن أن هؤلاء الضلال الجهال السفهاء أعلم من رب العالمين؟ فليكتف العاقل بمجرد تصور هذا القول، فإنه يجزم بفساده وبطلانه: ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ أي: تقدس وتنزه أن يكون له شريك أو نظير، بل هو الله الأحد الفرد الصمد الذي لا إله في السماوات والأرض إلا هو، وكل معبود في العالم العلوي والسفلي سواه، فإنه باطل عقلا وشرعا وفطرة".[1]

والشرك هو أن يجعل العبد لله شريكاً ونداً في ربوبيته وإلهيته، وأغلب شرك المشركين وقع في توحيد الإلهية كدعاء غير الله، أو صرف أي لون من ألوان العبادة لغير الله كالذبح والنذر والخوف والرجاء والمحبة وما إلى ذلك[2] والشرك بالله أعظم ذنب عصى الله به، فهو أكبر الكبائر، وما هلكت الأمم الغابرة وأعدت لهم النيران في الآخرة إلا بالشرك، وما أرسل الله الأنبياء والمرسلين وأنزل عليهم الكتب بالحق المبين إلا للتحذير منه وبيان قبحه وشؤمه، ودعوة الناس إلى ضده ألا وهو تحقيق التوحيد لله رب العالمين، والشرك الأكبر أنواع:

أ- **شرك الدعاء :**

قال تعالى : ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ (العنكبوت:65) والمعنى: "يقول تعالى ذكره: فإذا ركب هؤلاء المشركون السفينة في البحر، فخافوا الغرق والهلاك فيه ﴿ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾، يقول: أخلصوا لله عند الشدة التي نزلت بهم التوحيدَ، وأفردوا له الطاعة، وأذعنوا له بالعبودية، ولم يستغيثوا بآلهتهم وأندادهم ولكن بالله الذي خلقهم. ﴿ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ ﴾، يقول: فلما خلّصهم مما كانوا فيه وسلّمهم فصاروا إلى البر إذا هم يجعلون مع الله شريكاً في عبادتهم، ويدعون الآلهة والأوثان معه أرباباً".[3]

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ * وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ (يونس:106- 107).

والمعنى: "ولا تدع يا محمد، من دون معبودك وخالقك شيئاً لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يضرك في دين ولا دنيا، يعني بذلك الآلهة والأصنام، أي: لا تعبدها راجياً نفعها أو خائفاً

([1]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج1،ص360.

([2]) انظر: آثار المثل الأعلى، للدكتور عيسى بن عبد الله السّعدي ،ج1، ص20.

([3]) جامع البيان، لابن جرير الطبري، ج10، ص159.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ضرها، فإنها لا تنفع ولا تضر، ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ ذلك فدعوتَها من دون الله ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾، يقول: من المشركين بالله الظالمين أنفسهم"[1] والآية نص في أن دعاء غير الله والاستغاثة به شرك أكبر، ولهذا قال: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ (يونس:107)، لأنه المتفرد بالملك والقهر والعطاء والمنع، ولازم ذلك إفراده بتوحيد الإلهية لأنهما متلازمان، وإفراده بسؤال كشف الضر وجلب الخير، لأنه لا يكشف الضر إلا هو، ولا يجلب الخير إلا هو، ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (فاطر: 4)، فتعيّن أن لا يدعَى لذلك إلا هو، وبطل دعاء مَن سواه ممن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلاً عن غيره، وهذا ضدّ ما عليه عبّاد القبور، فإنهم يعتقدون أن الأولياء والطواغيت الذين يسمونهم المجاذيب ينفعون ويضرون، ويمَسّون بالضر ويكشفونه، وأن لهم التصرف المطلق في الملك.[2]

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ*وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (الأحقاف:5- 6). "حاصل كلام المفسرين أن الله تعالى حكم بأنه لا أضلّ ممن يدعو من دون الله لا دعاء عبادة ولا دعاء مسألة واستغاثة مَن هذه حالُه، ومعنى الاستفهام فيه إنكار أن يكون في الضُّلَّال كلِّهم أبلغ ضلالاً ممن عبد غير الله ودعاه حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كلّ بغية ومرام، ويدعون من دونه من لا يستجيب لهم، ولا قدرة به على استجابة أحد منهم ما دام في الدنيا وإلى أن تقوم القيامة" [3] وقد نص العلماء أنه من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكّل عليهم يدعوهم ويسألهم كفر إجماعاً[4]

ب- شرك النية والإرادة والقصد:

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (هود:15) والمعنى: "من عمل صالحاً يلتمس الدنيا، صوماً أو صلاة أو تهجداً بالليل لا يعمله إلا لالتماس الدنيا، يقول الله: أوفّيه الذي التمَسَ في الدنيا من المثابة، وحبط عمله الذي كان يعمل

---

(1) المرجع السابق

(2) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص237-238.

(3) تيسير العزيز الحميد، ص239.

(4) انظر: المرجع السابق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التمَاسَ الدنيا، وهو في الآخرة من الخاسرين"[1] قال ابن القيم: "أما الشرك في الإرادات والنيّات فذلك البحر الذي لا ساحل له وقلّ من ينجو منه، من أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئاً غير التقريب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته "[2] لذلك قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ (الشورى:20) " يقول تعالى ذكره: من كان يريد بعمله الآخرة، ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾. يقول: نزد له في عمله الحسن، فنجعل له بالواحدة عشرا، إلى ما شاء ربنا من الزيادة ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ يقول: ومن كان يريد بعمله الدنيا ولها يسعى لا للآخرة، نؤته منها ما قسمنا له منها"[3]

من هنا يتبين مدى أهمية النية في النجاة مما نحن فيه، فالنية كما قال ابن حزم: " هي سر العبودية، وهي من الأعمال بمنزلة الروح من الجسد، ومُحال أن يكون في العبودية عمل لا روح فيه، إذ هو بمنزلة الجسد الذي لا روح فيه، فهو جسد خراب" [4] والنية تشكل عصب هذا الدين، فعليها مدار القبول والرد، وبسببها يكون الجزاء والعقاب، وكذلك الخلود في الجنة وفي النار.

ت-**شرك العبادة والتقرب :**

وهو أن يتقرب لغير الله بأي نوع من أنواع العبادة التي يعبد بها الله سبحانه وتعالى كالذبح على المقابر والطواف بها، وغير ذلك وهذا كله بحسب زعمهم ليرفعوا حاجاتهم إلى الله عبر هذا الولي أو الصالح صاحب القبر قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (الزمر:3) والمعنى: "والذين اتخذوا من دون الله أولياء يَتَوَلَّوْنَهُم، ويعبدونهم من دون الله، يقولون لهم: ما نعبدكم أيها الآلهة إلا لتقربونا إلى الله زُلْفَى، قربة ومنزلة، وتشفعوا لنا عنده في حاجاتنا، وهي فيما ذُكر في قراءة أبي: "ما نَعْبُدُكُمْ" [5] .

([1]) جامع البيان، ج7، ص13.

([2]) الجواب الكافي، لابن القيم، ص163.

([3]) جامع البيان، لابن جرير الطبري، ج20 ،ص491.

([4]) أعمال القلوب، للمنجد، ص7.

([5]) جامع البيان، ج21 ، ص251.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد نزل القرآن ليعالج هذا النوع من الشرك، حيث إنه كلما عاد الناس إلى التوحيد رجعوا مع مرور الزمن إلى الشرك تدريجيا، وقد يتنوع شرك العبادة، فإن كان قديما يشرك مع الله بعبادة الأصنام.

ث-شرك الطاعة والإتباع

الله سبحانه وتعالى له الخلق والأمر، وله سبحانه وحده حق التشريع والتحليل والتحريم. فمن أطاع مخلوقاً في تحليل حرام حرمه الله أو تحريم حلال أحله الله معتقداً أن هذا المخلوق له التحليل والتحريم فهو واقع في الشرك الأكبر المخرج من الإسلام وقد حكم الله تعالى على اليهود والنصارى بالشرك لاتباعهم الأحبار والرهبان في التحليل والتحريم المخالف لما شرعه الله تعالى، ومن مظاهر هذا النوع من الشرك في عصرنا الحال اتخاذ قوانين وضعية غير التي وضعها الله عز وجل لعباده كالماركسية والرأسمالية والعلمانية وغير هذا كثير نسأله عزّ وجلّ أن يحفظنا من كل طاغوت عبد من دونه، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(التوبة:31). أيَ هؤلاء اليهود والنصارى ما أمروا إلا أَن يطيعوا رَبًّا واحدًا في أوامره ونواهيه، فلا تنبغي الإلوهية إلا للواحد الذي أمر الخلقُ بعبادته، ولزمت جميع العباد طاعته [1] وعن عدي بن حاتم قال : [أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: يا عدي اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرأ في سورة براءة ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ قال: أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه]. [2]

ج-شرك المحبة:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ (البقرة: 165) "وهؤلاء المشركون أندادهم آلهتهم التي عبدوا مع الله، يحبونهم كما يحب الذين آمنوا الله، والذين آمنوا أشد حباً لله من حبهم هم لآلهتهم".[3]

وعليه فشرك المحبة هو أن يحب الرجل شيئا كحبه لربه جل وعلا، فإنه إذا سوى بين الخالق والمخلوق في المحبة، فقد أشرك بالله قال ابن القيم: "منزلة المحبة: وهي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى علَمها شمّر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تروّح العابدون، فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون، وهي الحياة التي من حرِمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدِمه حلّت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه

([1]) انظر: تفسير البيان، للطبري، ج 14، ص213.

([2]) سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة التوبة، رقم: 3095 ، وحسنه الألباني.

([3]) جامع البيان، في تأويل القرآن ، ج3، ص280.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كله هموم وآلام، وهي روح الإيمان والأعمال، والمقامات والأحوال، التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه..." [1].

وأول شرك وقع كان في المحبة، وقد قص الله تعالى علينا أمر قوم نوح إذ كانوا أول من أشرك في المحبة، وبين النبي ﷺ ذلك، فبداية ذلك الشرك كان بالضلال في المحبة، فقد ضلوا في محبة الصالحين: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾(نوح: 23).

فهؤلاء كما فسرها النبي ﷺ أسماء رجال صالحين من قوم نوح، كان قوم نوح يحبونهم ويعظمونهم لله وفي ذات الله؛ لأنهم يعبدون الله، ولأنهم أولياء الله عز وجل؛ لأنهم يرونهم أقرب إلى الله منهم، فأحبوهم وعظموهم من أجل ذلك، فلما ماتوا قالوا: نخشى أن تموت ذكراهم بموتهم، فقالوا: لا بد أن نتذكرهم لنحبهم ولنحب الله ولنعبد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كما كانوا يعبدونه، فصوروهم، ثم تناسخ العلم وعبدت تلك الصور وأصبحت أصناماً، وأصبحت الصور والأصنام آلهة معبودات من دون الله عز وجل حتى إنه لما بُعث النبي ﷺ كان لكل قبيلة من العرب صنمها المسمى بأسماء هؤلاء، كما بين ذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في الحديث نفسه.[2]

إن معرفة حقيقة المحبة ضرورية جداً، والانحراف فيها قد يوقع في الشرك وفي الذنب العظيم الذي يحبط الأعمال، ولذلك أيضاً نجد أنه لا بد أن يحب العبد ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن يحب رسوله ﷺ، ويفردهم بهذه المحبة الخاصة، فمن لم يكن في قلبه حب لله ولرسوله فهذا ليس بمؤمن وليس بمسلم، بل ذلك مقتضٍ لأن يحبط عمله وترد جميع أفعاله وأعماله، وإن كانت حسنة فقد زعم المنافقون الإيمان ولكنهم كانوا في حقيقة قلوبهم يكرهون ما أنـزل الله ويكرهون أوامره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد: 9) فلما كرهوا ما أنـزل الله أحبط أعمالهم، وفي الآية الأخرى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾(التوبة: 54).[3]

ومن هنا جاء الوعيد الشديد في حق هذه الأمة إن هي ركنت إلى أي صارفٍ أو مُغرٍ أو ملهٍ عن محبة الله ومحبة رسول الله ﷺ فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ

([1]) مدارج السالكين، ج3، ص6.

([2]) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ج13، ص307.

([3]) انظر: تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبد الوهاب، ص412.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: 24). فهذا فسق وعمل يستوجب الوعيد الشديد، وهذا الأمر من أول بداياته أن يُذهب النصر والعز والتمكين، ويورث تلك الأمة الذل والخسارة والضياع، كما أخبر بذلك النبي ﷺ [إن أنتم اتبعتم أذناب البقر وتبايعتم بالعينة وتركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا][1]، وهذا هو الوهن الذي أخبر عنه النبي ﷺ وهو حب الدنيا وكراهية الموت عن ثوبان مولى رسول ﷺ قال رسول الله ﷺ [يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الآكلة على قصعتها قال قلنا يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ قال أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن قال قلنا وما الوهن قال حب الحياة وكراهية الموت] [2]، لكن إذا كان الله ورسوله أحب إلينا من كل هذه المغريات والشهوات والملهيات فهذه هي حقيقة الإيمان، ولهذا يقول ﷺ: [ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً] [3] ويقول ﷺ [ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار] [4] فهذه هي حقيقة أو ضرورة المحبة، أن يكون قلب الإنسان ممتلئاً بحب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحب رسوله ﷺ وحب ما أمر الله ورسوله به، ولا يكون في قلبه أدنى مثقال ذرة من كره الله، أو كره رسول الله ﷺ أو كراهية شيء مما جاء به النبي ﷺ وقد وقع في حياته ﷺ قصة ذكرها الله تبارك وتعالى في القرآن في شأن المنافقين الذين خلت قلوبهم من محبة الله ومحبة رسول الله ﷺ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ*لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (التوبة65-66) هذه الآيات نـــزلت في المنافقين لما أظهروا بغض أصحاب النبي ﷺ وكرههم واستهزاءهم بهم، فعن ابن عمر قال: " قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوما: ما رأينا مثل قرآن هؤلاء ولا أرغب بطونا وأكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء منهم. فقال له رجل كذبت، ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن. قال ابن عمر: فأنا رأيته متعلقا بحقب رسول الله ﷺ والحجارة تنكيه وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ورسول الله ﷺ يقول أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون" [5] فهم لم يستهزئوا بالله عز وجل بعباراتهم التي قالوها،

([1]) سنن أبي داوود ، كتاب الإجارة ، باب في النهي عن العينة، ح3446 .

([2]) سنن أبي داوود كتاب الملاحم باب في تَدَاعِي الأُمَمِ عَلَى الإِسْلاَمِ ح 4299 ، صححه الألباني

([3]) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رضي بِاللَّهِ رَبًّا، ح160.

([4]) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، ح16.

([5]) لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ص 106.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولم يستهزئوا برسوله ﷺ، ولم يظهروا بغض الله عز وجل، أو بغض رسول الله ﷺ، وإنما أظهروا بغض الصحابة على طريق الاستهزاء بهم، الاستهزاء الذي ينمُّ عما في القلب من بغضاء وعداوة وحقد يتنافى مع المحبة التي أمر الله تعالى بها له ولرسوله وللمؤمنين، فهم سخروا واستهزءوا بالصحابة الكرام من القراء، بأنهم يقبلون عند الطعام، ويتأخرون عند الفزع وعند مجيء العدو، وكأن حال المنافقين العكس، وهذا هو أبطل الباطل وأكذب الكذب فماذا كانت النتيجة، أنــزل الله تبارك وتعالى هذه الآيات: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ وهذا الذي وقع، فعندما سألهم رسول الله ﷺ، قالوا: إنما كنا نمزح ونلهو ونخوض ونلعب، ولم نكن نقصد الإساءة إلى الصحابة وإلى هؤلاء القراء.[1]

ثانيا: الشرك الأصغر

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: 110) أمر الله تعالى عباده بالتذلل له والإخلاص له، فالآية أصل في خلوص الأعمال لله تعالى وتصفيتها من شوائب الرياء وغيره، وليس لله إلا العمل الخالص؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (الزمر: 3) وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾(البينة: 5) والشرك الأصغر إن لم يكن مخرجا من الملة إلا أن صاحبه قد ارتكب ذنباً عظيماً، وإذا لقي العبد ربه من غير توبة منه في حال الحياة، كان تحت المشيئة إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه ثم أدخله الجنة،[2] قال ابن القيم: "وأما الشرك الأصغر كيسير الرياء، والتصنع للخلق، والحلف بغير الله، وقول الرجل للرجل: ما شاء الله وشئت، كما ثبت عن النبي، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، ومالي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا، وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب قائله ومقصده" [3] ومن أمثلة الشرك الأصغر:

أ- الحلف بغير الله

من غير أن يعتقد الحالف أن منزلة المحلوف به كمنزلة الله عز وجل في الإجلال والتعظيم فإن من اعتقد ذلك كان حلفه كفرا أكبر مخرجا من الملة ، ومن أمثلته أيضاً قول القائل : ما شاء الله وشئت، فقد جاء يهودي إلى النبي ﷺ فقال :[إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله

([1]) انظر: جامع البيان، للطبري، ج14، ص333.

([2]) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص180

([3]) مدارج السالكين، ج1، ص352 بتصرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وشئت، وتقولون والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ: إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا ورب **الكعبة ويقولون: ما شاء الله** ثم شئت]. [1]

ب- الرياء

وهو أن يقصد العبد بعبادته عَرَضَ الدنيا ، من تحصيل جاه أو نيل منزلة ، قال تعالى : ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً** ﴾(**الكهف: 110)** ، وورد أن رسول الله ﷺ قال: [إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر؟ يا رسول الله، قال: الرياء، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة: إذا جُزِيَ الناس بأعمالهم،قيل لهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء]. [2]

والنية والإخلاص من أعمال القلوب، وكلاهما يؤدي إلى الشرك، إلا أن النية تسبق العمل فيؤدي فسادها إلى الشرك الأكبر، والإخلاص يرافق العمل فيؤدي فساده إلى الشرك الأصغر.

([1]) سنن النسائي، كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بالكعبة، حديث رقم 3773.

([2]) مسند الإمام أحمد من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه حديث رقم 23630.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث : النفاق

إن النفاق مرض خطير وجرم عظيم يسري في عقول المجتمع المسلم والنفاق أخطر من الكفر وعقوبته أشد لأنه كفر بلباس الإسلام وضرره أعظم ولذلك جعل الله المنافقين في أسفل النار.

والمنافقون دائماً في حيرة وتقلب في خداع ومكر ظاهرهم مع المؤمنين وباطنهم مع الكافرين حيناً مع المؤمنين وحيناً مع الكافرين، والمنافقون لفساد قلوبهم أشد الناس إعراضاً عن دين الله.

وتصرفات المنافقين تدور مع مصالحهم فإذا لقوا المؤمنين أظهروا الإيمان والموالاة غروراً منهم للمؤمنين، ومصانعة، وتقية ، وطمعاً فيما عندهم من خير ومغانم وإذا لقوا سادتهم وكبرائهم قالوا نحن معكم على ما أنتم عليه من الشرك، والكفر.

لو تداعى المصلحون المخلصون من الدعاة وطلبة العلم إلى عقد مؤتمر يتدارسون فيه أخطر ظاهرة مُني بها المسلمون في تاريخهم لما وجدوا ظاهرة أشد خبثاً وأسوأ أثراً من النفاق والمنافقين .

لقد كان المنافق في الماضي حريصاً على التخفي لأنه أول مَن يعرف مدى شر ما يفعل أما اليوم فقد صار النفاق حرفة لدرجة أنه أصبح لامعاً بهذه الصفة.

لقد أثبت التاريخ يوماً بعد يوم أن نكبة الأمة بالمنافقين تسبق كل النكبات وأن نكايتهم فيها وجنايتهم عليها تزيد على كل النكايات والجنايات، فالكفر الظاهر على خطره وضرره يعجز في كل مرة يواجه فيها أمة الإسلام أن ينفرد بإحراز انتصار شامل عليها ما لم يكن مسنوداً بطابور خامس من داخل أوطان المسلمين ويتسمى بأسماء المسلمين، يمد الأعداء بالعون، ويخلص لهم في النصيحة، ويزيل من أمامهم العقبات، ويفتح الأبواب، وفي ضوء هذه القضية فإني أرتأيت أن تكون قضية النفاق من أحد القضايا العقائدية التي سأعالجها.

أولا : تعريف النفاق

النفاق لغة: من النفق وهو السرب في الأرض وسمي بذلك تشبيها بما يفعله اليربوع[1] وهو أن يجعل بجحره بابا ظاهرا وبابا باطنا يخرج منه إذا طلبه الطالب ولا يقع هذا الاسم على من يظهر شيئا ويخفي غيره إلا الكفر والإيمان وهو اسم إسلامي[2] كذا المنافق يخرج من الإيمان من غير الوجه الذي يدخل فيه.

---

(1) اليربوع: من القوارض الليلية التي تعيش في البراري الصحراوية ويتواجد في أغلب البلدان العربية ينشط في الليل للبحث عن طعامه يبلغ طوله من 13 – 25 سم. ولونه بلون التربة الصحراوية التي تحيط به للتمويه اي بني باهت كلون الغزال الصحراوي.

(2) انظر: جمهرة اللغة، لابن دريد، ج 2، ص 44.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النفاق اصطلاحا: هو إظهار الإيمان مع إسرار الكفر وهو القول باللسان أو الفعل بخلاف ما في القلب من القول والاعتقاد.[1]

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ*يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ*فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ*وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ*أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ*وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ*وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ*اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ*أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (البقرة8 – 16)

"أجمع جميع أهل التأويل على أن الآية السابقة نزلت في قوم من أهل النفاق، وأن هذه الصفة من صفاتهم" [2] وقد يطلق بعض الفقهاء لفظ الزنديق على المنافق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولما كثرت الأعاجم في المسلمين تكلموا بلفظ الزنديق وشاعت في لسان الفقهاء وتكلم الناس في الزنديق: هل تقبل توبته؟ ... والمقصود هنا: أن الزنديق في عرف هؤلاء الفقهاء، هو المنافق الذي كان على عهد النبي ﷺ، وهو أن يظهر الإسلام ويبطن غيره، سواء أبطن ديناً من الأديان: كدين اليهود والنصارى أو غيرهم، أو كان معطلاً جاحداً للصانع، والمعاد، والأعمال الصالحة "[3] وقد تكلم العلماء عن النفاق فعرفوه وبينوا أقسامه.

ثانياً: أقسام النفاق

القسم الأول: هو نفاق الاعتقاد، وهو: أن يظهر الإنسان الإسلام ويبطن الكفر، وصاحبه مخلد في الدرك الأسفل من النار عياذاً بالله.[4] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾(المنافقون:3).

صور النفاق الأكبر:

قال ابن تيمية: " فمن النفاق ما هو أكبر، ويكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار، كنفاق عبد الله بن أبي وغيره، بأن يظهر تكذيب الرسول أو جحود بعض ما جاء به، أو بغضه، أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه، أو المسرة بانخفاض دينه، أو المساءة بظهور دينه، ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه إلا عدواً لله ورسوله، وهذا القدر كان موجوداً في زمن رسول الله ﷺ، ومازال

([1]) انظر: الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، ج 1، ص 547.

([2]) جامع البيان، ج1 ،ص268.

([3]) كتاب الإيمان الأوسط ، ص88.

([4]) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، لنخبة من العلماء، ص86 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعده، بل هو أكثر منه على عهده لكون موجبات الإيمان على عهده أقوى، فإذا كانت مع قوتها وكان النفاق معها موجودا فوجوده فيما دون ذلك أولى"[1] وهذه الصور جميعها خطيرة على المجتمع وسنتناول بعضا منها لأهميته في مجتمعنا:

1- إيذاء النبي ﷺ حتى ولو باللمز:

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ **التوبة: 97** " اللمز نوع مما حكاه الله من فضائح المنافقين وقبائحهم، وذلك أنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ على وجه الطعن والذم هو أذن، ويقال رجل أذن، إذن... إذا كان يسمع مقال كل أحد، يستوي فيه الواحد والجمع ومرادهم – أقمأهم الله– أنهم إذا آذوا النبي ﷺ وبسطوا فيه ألسنتهم، وبلغه ذلك اعتذروا له وقبل ذلك منهم، لأنه يسمع كل ما يقال له فيصدقه، وإنما أطلقت العرب على من يسمع ما يقال له فيصدقه أنه أذن مبالغة، لأنهم سموه بالجارحة التي هي آلة السماع، حتى كأن جملته أذن سامعة، وإيذاؤهم له وهو قولهم [هو أذن] لأنهم نسبوه إلى أنه يصدق كل ما يقال له ولا يفرق بين الصحيح والباطل اغتراراً منهم بحلمه عنهم، وصفحه عن خباياهم كرماً وحلماً وتغاضياً" [2] "والسياق في هتك أستار المنافقين وبيان فضائحهم، فالمنافقون يؤذون النبي بالطعن فيه وعيبه بما هو براء منه، ويبين تعالى بعض ذلك الأذى فقال ﴿ويقولون هو أذن﴾ أي يسمع كل ما يقال له، وحاشاه ﷺ أن يقر سماع الباطل أو الشر أو الفساد، وإنما يسمع ما كان خيراً ولو كان من منافق يكذب ويحسن القول، ولما كان النبي ﷺ لا يواجههم بسوء صنيعهم، وقبح أعمالهم حملهم هذا الجميل والإحسان على أن قالوا: ﴿هو أذن﴾ طعناً فيه ﷺ وعيباً له" [3] وهذا داخل في سبه ﷺ لأن السب: هو الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف والعيب، واللمز فيه انتقاص.[4] قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾(التوبة: 58) فعن أبي سعيد قال :[بينا النبي ﷺ يقسم جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي فقال اعدل يا رسول الله فقال: ويحك ومن يعدل إذا لم أعدل. قال عمر بن الخطاب: ائذن لي فأضرب عنقه، قال: دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ... إلى أن قال: آيتهم رجل إحدى يديه أو قال ثدييه مثل ثدي المرأة أو قال مثل

([1]) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ج28 ،ص434.

([2]) فتح القدير، للإمام الشوكاني، ج2، ص549 بتصرف.

([3]) أيسر التفاسير، لكلام العلي الكبير، ج2، ص388.

([4]) الصارم المسلول، لابن تيمية ص59.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البضعة تدر در يخرجون على حين فرقة من الناس قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبي ﷺ وأشهد أن عليا قتلهم وأنا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي ﷺ قال فنزلت فيه ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات﴾] [1]

قال ابن تيمية: "فعلم أن إيذاء رسول الله محادة لله ولرسوله لأن ذكر الإيذاء هو الذي اقتضى ذكر المحادة، فيجب أن يكون داخلاً فيه، ولولا ذلك لم يكن الكلام مؤتلفاً، ودل ذلك على أن الإيذاء والمحادة كفر لأنه أخبر أن له نار جهنم خالداً فيها"[2] وهذا السب من الإيذاء واللمز والاستخفاف مناف لعمل القلب من الانقياد والاستسلام ومحال أن يهين القلب من قد انقاد له، وخضع واستسلم أو يستخف به فإذا حصل في القلب استخفاف واستهانة امتنع أن يكون فيه انقياد واستسلام، فلا يكون فيه إيمان، وهذا هو بعينه كفر إبليس، فإنه سمع أمر الله فلم يكذب رسولاً ولكنه ما انقاد للأمر ولم يخضع له واستكبر عن الطاعة فصار كافراً.

2- التولي والإعراض عن حكم الله ورسوله

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾(النور:47) يخبر تعالى عن صفات المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون يقولون قولاً بألسنتهم، وهم بذلك يخالفون أقوالهم بأعمالهم، فيقولون ما لا يفعلون، ولهذا قال تعالى: ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾وقوله تعالى ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ (النور:48) أي إذا طُلِبوا إلى إتباع الهدى فيما أنزل الله على رسوله أعرضوا عنه، واستكبروا في أنفسهم عن اتباعه [3] وفي الآية يبين سبحانه " أَنَّ من تولَّى عن طاعة الرَّسول وأعرض عن حكمِه فهو من المنافقين، وليس بمؤمنٍ، وأَنَّ المؤمن هو الذي يقول: سمعنا وأَطعنا، فإذا كان النِّفاق يثْبُتُ، ويزولُ الإيمان بمجرَّد الإعراض عن حكم الرَّسول وإرادة التَّحاكم إلى غيرِه، مع أنَّ هذا ترك محضٌ، وقد يكون سببه قوَّة الشَّهوة، فكيف بالتنقَّص والسبِّ ونحوه" [4] ولا شك أن هؤلاء المعرضين ممن يدعوهم الإيمان هم المنافقون قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيداً *وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً ﴾ (النساء:61)

([1]) صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب من ترك قتال الخوارج، ح6534.

([2]) الصارم المسلول، ص32.

([3]) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج 6، ص 74.

([4]) انظر: الصَّارم المسلول، ص43.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فبين سبحانه أن من دعي إلى التحاكم إلى كتاب الله وإلى الرسول فصد عن رسوله كان منافقاً وهذا النوع من النفاق مما ينافي عمل القلب من القبول والاستسلام.

3- مناصرة الكافرين على المؤمنين

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ (المائدة:51-52) فهذه الصفة من أخص صفات المنافقين، فهم في الظاهر مع المؤمنين، لكنهم في الحقيقة مع الكفار عيوناً وأعواناً، لهم، يكشفون لهم عورات المسلمين وأسرارهم ويتربصون بالمؤمنين الدوائر.

قال الإمام الطبري "والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره، نهى المؤمنين جميعاً أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصاراً وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله، وأخبر أنه من اتخذهم نصيراً وحليفاً ووليا من دون الله ورسوله والمؤمنين، فإنه منهم في التحزب على الله وعلى رسوله والمؤمنين، وأن الله ورسوله منه بريئان"[1] وقد بينت سورة الممتحنة أن من والى غير الله وغير المؤمنين فقد أشرك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الممتحنة:9) " وذلك الظلم يكون بحسب التولي، فإن كان توليا تاما، صار ذلك كفرا مخرجا عن دائرة الإسلام، وتحت ذلك من المراتب ما هو غليظ، وما هو دون ذلك" [2] وقد فسر النبي ﷺ الظلم في القرآن بأنه الشرك: قال تعالى:﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾(الأنعام: 82) فعن عبد الله بن مسعود قال: [لما نزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(لقمان: 13)] [3] فقد بدأ لقمان بقضية التوحيد ، وبين الظلم الحقيقي وهو الإشراك كما جاء في حديث النبي ﷺ عندما سئل [أي الذنب أعظم فقال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك ...].[4]

([1]) جامع البيان، ج10، ص398.

([2]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن السعدي، ص 856.

([3]) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: واتخذ الله إبراهيم خليلا، ح 3360.

(4) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون، ح 4477.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقضية التوحيد تدخل الإنسان الجنة أو النار، والأعمال تورث الإنسان درجات في الجنة، فلا قيمة للعمل مع الشرك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الزمر: 65) قال النبي ﷺ:[... وحق العباد على الله أن لا يعذب من جاء لا يشرك به شيئا] [1] أمَّا أن نرضى بشرع غير شرع الله، ونتبع أفكارا شرقية وغربية، ومناهج وضعها العلمانيون والشيوعيون وغيرهم، ممن لا هَمَّ لهم إلا هدم الإسلام، فهذا هو الضياع بعينه. والمصيبة! يوم تُرك الشباب فريسة سهلة لذئاب البشر، فسيطروا عليهم، وتحكموا فيهم، حتى ضاع من بيننا مفهوم الولاء والبراء، ونسينا أن موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين من الأمور التي تجدد الإيمان في القلب، وذلك أن القلب إذا تعلق بأعداء الله يضعف وتنزوي معاني العقيدة فيه، فإذا جرد الولاء لله فوالى العبد عباد الله المؤمنين وناصرهم، وعادى أعداء الله ومقتهم فإنه يحيى بالإيمان، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(التوبة:71) .

وما دخل الشر على المسلمين إلا بعد تفريطهم في هذا الأصل العظيم وانفتاحهم على الغرب، وإعجابهم بأفكار الغرب ولا عذر لأحد ناصر أعداء الله على المؤمنين قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (آل عمران: 28)، قال الطبري: "لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهراً وأنصاراً توالونهم على دينهم وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلونهم على عوراتهم، فإنه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء، يعني بذلك: فقد بريء من الله وبريء الله منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر... "[2]

([1]) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار، ح 2856 .

([2]) جامع البيان، ج6، ص313.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4- السرور لتراجع أهل الإسلام وكراهية انتصارهم:

قصة المنافقين في القرآن الكريم طويلة وقد أخذت حيزاً مهماً وأنت تطالع القرآن الكريم بالتدبر والتلاوة تجد أن هذه القصة تناثرت في ثنايا الآيات والسور، بحيث أننا إذا قمنا بجمع الآيات التي تتعلق بالمنافقين وضممنا بعضها إلى بعض يمكن أن تشكل عندئذ قصة قرآنية متكاملة تنطبق عليها أركان القصة ومكونتها ومن هنا حسن الاستدلال بالآيات التي تتعلق بالمنافقين في أي مكان في سور القرآن؛ لأنها وإن لم تندرج في سياق قصصي سردي مباشر إلا أنها تنتمي إلى القصة القرآنية عن المنافقين التي تنتثر عبر آيات القرآن طولاً وعرضاً.

وهذه الصفة ذكرها الله عز وجل عن المنافقين في أكثر من موضع، فهم بسبب موالاتهم للكافرين يسعون معهم لإضعاف المسلمين وإثارة الفتن بينهم، والتخذيل ويسيئون الظن بوعد الله ونصره، ويحبون ظهور الكفار وانتصارهم على المسلمين ويفرحون بذلك، وبالمقابل يصيبهم الهم والغم حينما ينتصر المسلمون، قال تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾(التوبة: 50)" أي حسنة كانت بأي سبب اتفق كما يفيده وقوعها في حيز الشرط، وكذلك القول في المصيبة، وتدخل الحسنة والمصيبة الكائنة في القتال كما يفيده السياق دخولاً أولياً، فمن جملة ما تصدق عليه الحسنة، الغنيمة والظفر، ومن جملة ما تصدق عليه المصيبة الخيبة والانهزام، وهذا نوع آخر من خبث ضمائر المنافقين وسوء أفعالهم، والإخبار بعظيم عداوتهم لرسول الله ﷺ وللمؤمنين، فإن المساءة بالحسنة، والفرح بالمصيبة من أعظم ما يدل على أنهم في العداوة قد بلغوا الغاية" [1]. وقد " أخبر الله تعالى بأنه إن أصابت رسول الله ﷺ سيئة ومصيبة تولوا وهم فرحون، أو أنه إن أصابته حسنة ساءتهم فهؤلاء كفار بلا شك "[2] وهذه الحال دالة على شدة العداوة منهم للمؤمنين وهو أنه إذا أصاب المؤمنين خصب ونصر وتأييد، وكثروا، وعز أنصارهم، ساء ذلك المنافقين، وإن أصاب المسلمين جدب لما لله تعالى في ذلك من الحكمة كما جرى يوم أحد فرح المنافقون بذلك.

لا شك أن محبة المؤمنين ومودتهم تكون سببا في الخلاص بإذن الله تعالى وحبهم يظهر في أشياء ينجي الله بها أصحابها منها:

1- الدفاع عن أعراض المؤمنين

وتمثل قصة حادثة الإفك واضحة جلية بالتعبير عن هذا المبدأ

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(النور:19) فهذا توعد شديد بالعذاب الأليم، لمن يحب أن تشيع الفاحشة في الذين

([1]) فتح القدير، ج2، ص536.

([2]) المحلى، لابن حزم ، ج11، ص206.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

آمنوا ، فما بالنا بمن يسعى ليوجدها ، وبمفهوم المخالفة فإن من يغار على المؤمنين ، ويحمي أعراضهم فإن الله سبحانه سينجيه، قال النبي ﷺ:[من رد عن عرض أخيه المسلم كان حقا على الله أن يرد عن وجهه النار يوم القيامة].[1]

2- مجالسة المؤمنين

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام: 52)

هذه الآية الكريمة نزلت حينما جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وذووهم من المؤلفة قلوبهم، فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم جالساً مع بلال وصهيب وعمار وخباب في ضعفاء المؤمنين ولما رأوهم حقروهم وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: لو جلست في صدر المجلس ونفيت عنا هؤلاء لجالسناك وأخذنا عنك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لهم: "**ما أنا بطارد المؤمنين**" قالوا فإنا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هؤلاء فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا، فإذا فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال: نعم، قالوا: اكتب لنا عليك بذلك كتابا، قال: فدعا بالصحيفة ودعا عليا ليكتب، قالوا ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبريل بقوله: ﴿ولا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [2]

وهذا يؤكد أن الله سبحانه وتعالى نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن طردهم وإبعادهم وفي ذلك ترغيباً في البقاء معهم والجلوس بينهم لأن الله تبارك وتعالى خاطب النبي قائلاً له ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف:28)

ومن حب المؤمنين ومودتهم الجلوس معهم، فإن الله يغفر لهم، ويجيرهم من النار، ففي الحديث الذي يذكر فيه النبي ﷺ أن الله يغفر لأهل مجالس الذكر، يقول ملك من الملائكة:[فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. فيقول الله تعالى: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم] [3] فإذا كان جليسهم ناج وهو ليس منهم، فكيف بمن هو منهم.

---

(1) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الذب عن عرض المسلم ح1931 صححه الألباني.

(2) انظر: تفسير البغوي: ج3، ص146 بتصرف

(3)صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل مجالس الذكر، ح2689 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- عدم مخالفة المؤمنين

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً﴾ (النساء: 115) فمن سلك طريقا غير طريق المؤمنين الصالحين فإن الله يتركه وما تولاه من الباطل، والشر، والضلال، حتى يهلك فيه.[1]

القسم الثاني: هو نفاق السلوك، وهو النفاق الأصغر

وهو أن يكون الرجل مسلماً أو المرأة مسلمة، ولكن يرائي بعمله أو ببعض عمله ، فهذا شرك خفي وذلك الشرك مناف لكمال التوحيد [2] وقد حدد النبي ﷺ أصول هذا النوع من النفاق العملي في خمس خصال بمجموع روايتي أبي هريرة و عبد الله بن عمرو، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: [آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان].[3] وقال النبي ﷺ:[أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر].[4] ومن النجاة أن يبحث الإنسان عن هذه الخصال ويتجنبها، فقول النبي ﷺ حتى يدعها، بيان لعلاج من ابتلي بذلك المرض الخطير، ومن كانت فيه خصلة واحدة منها كانت فيه صفة من صفات المنافقين وصار فيه إيمان ونفاق، فإن تاب العبد منها إلى الله عز وجل، واتصف بضدها من صفات المؤمنين، برئ من النفاق، وتكامل إيمانه ومن العلاج مجاهدة النفس بكثرة الذكر وقراءة القرآن والعمل به لطرد الشيطان، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف: 36) وخلاصة القول في النفاق الأصغر، أنه نوع من الاختلاف بين السريرة والعلانية مما هو دون الكفر، وذلك كالرياء الذي لا يكون في أصل العمل، وكإظهار مودة الغير والقيام بخدمته مع إضمار بعضه والإساءة إليه وكالخصال الواردة في حديث شعب النفاق ونحو ذلك، فعلى المسلم الحذر من الوقوع في شيء من ذلك.

الاعتصام بالله فيه الخلاص:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً﴾ (النساء: 175)، وقال: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(آل عمران:101)

([1]) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج 1، ص 540.

([2]) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل شيخ، ج 2، ص 60.

([3]) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، ح16.

([4]) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق ، ح34.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فسبيل النجاة الاعتصام بالله واتباع صراطه، ثم الاستقامة على هذا الطريق المستقيم، وقد كلَّف الله العبد أن يطلب الهداية منه مراراً، بقوله تعالى: ﴿ اهدِنا الصِّراطَ المُستَقِيمَ﴾ (الفاتحة: 6) والصراط المستقيم هو دين الله الذي لا يقبل من أحد غيره،[1] ودين الله ليس كلمة تقال باللسان، إنما قول باللسان، وإقرار بالقلب، وعمل بالجوارح، قال النبي ﷺ:[لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم لسانه، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه].[2]

المطلب الرابع: التكفير:

أولاً: تعريف التكفير لغة واصطلاحاً:

الكفر في اللغة: الستر والتغطية: "الكاف والفاء والراء ، أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية"[3] ومنه تسمية المُزارع كافراً، كما قال تعالى:﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾(الحديد: 20) أي : الزراع ، وذلك لأن المزارع يستر البذر في الأرض[4]

الكفر في الشرع: "جحد الربوبية وجحد نبوة نبي من الأنبياء صحت نبوته في القرآن، أو جحد شيء مما أتى به رسول الله ﷺ، مما صح عند جاحده ، أو عمل شيء قام البرهان بأن العمل به كفر". [5] ولذلك " نسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ماداموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين، وله بكل ما قاله وأخبر به مصدقين".[6]

وبعد هذا العرض السابق يتبين لنا أن التكفير هو: نسبة أحد المسلمين من أهل القبلة إلى الكفر وقد بين النبي ﷺ ما للمسلم من حقوق فقال: [من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تحقروا الله في ذمته) [7]

أولاً: من كفر مسلما فقد كفر

لقد ابتلى المسلمون اليوم برمي الناس بالكفر والضلال والمسارعة في إصدار الأحكام دون روية، وهذا خلاف المنهج الإسلامي الصحيح، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر، ومن ادعى ما ليس له فليس منا وليتبوأ مقعده من النار، ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار[8]

([1]) انظر: جامع البيان، ج1، ص118.

([2]) مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين، مسند أنس بن مالك، ح12636 حسنه الألباني .

([3]) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ج5، ص191.

([4]) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج1، ص183.

([5]) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج3 ص118.

([6]) العقيدة الطحاوية، لأبي العز الحنفي ،ص200.

([7]) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، ح 384 .

([8]) حار بمعنى رجع إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما ، انظر عُمدةُ الأَحكامِ من كلامِ خيرِ الأَنامِ لأبي محمد عبد الغني المقْدِسِيِّ الحنبليِّ ص120

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عليه][1] وقال رسول الله ﷺ [إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما] أي إن كان من رماه بالكفر أهلا له فالأمر كذلك وإلا رجع وزر ذلك عليه[2] قال ابن دقيق العيد : "وهذا وعيد عظيم لمن كفر أحدا من المسلمين وليس كذلك، وهي ورطة عظيمة وقع فيها خلق كثير من المتكلمين ومن المنسوبين إلى السنة و أهل الحديث لما اختلفوا في العقائد فغلظوا على مخالفيهم وحكموا بكفرهم، وخرق حجاب الهيبة في ذلك جماعة، وهذا الوعيد لاحق بهم إذا لم تكن خصومهم كذلك" [3] وقد شاع الكفر في مُقابلة الإيمان؛ ومن المعروف أن أعظمُ الكُفر جحود وحدانية الله باتخاذ شريك له و جحده نبوة رسول الله محمد ﷺ وشريعته، والكافر مُتعارَف عليه أنه يجحد كل ذلك، وبهذا يتبين حزم الإسلام في قضية إصدار الأحكام بالكفر جزافا، وحتى لا نقع في هذه الخصلة لابد من أن نتعرف على الكفر، وعلى ضوابط التكفير، وأن النجاة من كل ذلك في الوسطية وعدم الغلو في الدين.

ثانياً: قصة سيدنا نوح مع قومه:

إن مما يستوقفنا حينما نتدبر القصص القرآني الموزع على طول القرآن وعرضه أن الرسل والأنبياء كانوا دائماً يدعون أقوامهم بلطف ولين وحوار هادئ يستميلونهم إلى الإيمان ويحببون لهم طرق الخير ويذكرونهم بالله ورحمته وقدرته فلا يؤمنّ هؤلاء الأقوام، ويظهرون كفراً بما يدعو الأنبياء ولكن الحوار لا ينقطع، ويستمر فيما بينهم فلا تلصق في وجوههم تهمة الكفر إلا في المراحل الأخيرة التي كتب الله عليهم العذاب والهلاك، وهنا نستحضر قصة نوح عليه السلام مع قومه بقوله تعالى ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ * وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ (هود:27- 29)

فلك أن تتأمل في هذه الآيات أن المولى سبح انه أثبت الكفر في حق الملأ من قوم نوح(فقال الملأ الذين كفروا) ولكن نوح عليه السلام ظل يدعوهم ويحاورهم (قال ياقوم أرأيتم ...)، (ويا قوم لا أسألكم عليه مالا...) وفي ذلك يبدو حرص نوح عليه السلام الشديد على أن يتنقل هؤلاء الملأ من دائرة الكفر إلى دائرة الإيمان، ولذا نراه في نهاية الآية لا يصدر عليهم الحكم بالكفر، إنما يستخدم الفعل تجهلون (ولكني أراكم قوماً تجهلون) فلم يقل: (قوماً تكفرون) لتظل الأبواب مشرعة والطرق مفتوحة أمامهم لينتقلوا إلى دائرة الإيمان ويستجيبوا لنوح عليه السلام.

([1]) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ حَالِ إِيمَانِ مَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ، ح226.

([2]) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، ح 5752 .

([3]) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، لتقي الدين ابن دقيق العيد، ص420.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونحن حينما نقوم بإصدار حكم بالكفر على شخص ما أو جماعة ما فكأنما نغريهم في البعد عن الإيمان والهداية، ونقطع بيننا وبينهم الطريق، ونغلق دونهم الأبواب. لأن الحكم على إنسان بالكفر يترتب عليه أمور خطيرة؛ ولذا جاء النص القرآني واضحاً وصريحاً ألا نلقي بالكفر على أحدٍ حتى نتبين ذلك جيداً، وألا نطلق الأحكام جزافاً على الخلق، فننقلهم بجرة قلم، وبفلتة لسان من دائرة الإيمان إلى دائرة الكفر، ويتجلى هذا المعني في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء:94) " بعث رسول الله ﷺ سرية عليها أسامة بن زيد إلى بني ضَمْرة، فلقوا رجلا منهم يدعى مِرداس بن نهيك، معه غُنَيْمة له وجمل أحمر، فلما رآهم أوى إلى كهف جبل، واتّبعه أسامة، فلما بلغ مرداسٌ الكهفَ، وضع فيه غنمه، ثم أقبل إليهم فقال: السلام عليكم، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فشدّ عليه أسامة فقتله، من أجل جمله وغُنَيْمته، وكان النبي ﷺ إذا بعث أسامة أحبَّ أن يُثْنَى عليه خيرا، ويسأل عنه أصحابَه، فلما رجعوا لم يسألهم عنه، فجعل القوم يحدِّثون النبي ﷺ ويقولون: يا رسول الله، لو رأيت أسامة ولقيه رجل، فقال الرجل: لا إله إلا الله، محمد رسول الله"، فشد عليه فقتله! وهو معرض عنهم، فلما أكثروا عليه، رفع رأسه إلى أسامة فقال: كيفَ أنت ولا إله إلا الله؟ قال: يا رسول الله، إنما قالها متعوذًا، تعوَّذ بها!. فقال له رسول الله ﷺ: هَلا شققت عن قلبه فنظرت إليه؟ قال: يا رسول الله، إنما قلبه بَضْعة من جسده! فأنزل الله عز وجل خبر هذا، وأخبره إنما قتله من أجل جمله وغنمه، فذلك حين يقول:" تبتغون عرض الحياة الدنيا"، فلما بلغ:"فمنَّ الله عليكم"، يقول: فتاب الله عليكم، فحلف أسامةُ أن لا يقاتل رجلا يقول: "لا إله إلا الله"، بعد ذلك الرجل، وما لقي من رسول الله ﷺ فيه".[1]

ثالثاً: ضوابط التكفير:

قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(الأعراف:157) أي: "فالذين صدَّقوا بالنبي الأمي، وأقرُّوا بنبوّته ووقَّروه وعظموه، واتبعوا القرآن والوحي الذي جاء به مبلغًا إلى الناس ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ في الدنيا والآخرة".[2] وعليه فلا يجوز تكفير مسلم أقر بالشهادتين وصلى إلى القبلة إلا إذا أنكر معلوماً من الدين بالضرورة كأركان الإيمان وأركان الإسلام والمحرمات القطعيات والواجبات المتفق عليها، وكذا إذا استخف بشيء من الشرع أو امتهن شعاراً من شعائر الإسلام كالمصحف أو الكعبة، ولا ينبغي لأحد من أهل الإسلام أن يشهد على رجل من أهل الإسلام بذنب أذنبه بكفر وإن عظم جرمه، فإن كان المقول له كافرا فهو كما قال وإن لم يكن خيف على القائل أن يصير

([1]) جامع البيان، ج9 ، ص78.

([2]) المرجع السابق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك، وإن كان الذنب كبيرة، أو أكبر الكبائر، أو كان ذنب عقيدة ما لم يبلغ إلى حد الكفر، فإن بان سوء اعتقاده إلى الكفر جاز تكفيره، ومن ثم نقل عن أبي حنيفة قال: إنا لا نكفر أحدا من أهل القبلة، سوى من بلغ اعتقاده الكفر، وأقر بذلك.[1] فلا يكفر من شهد بالشهادتين وصلى صلاة المسلمين وأقر بكل ما جاء عن النبي ﷺ

1. المعاصي من الكبائر والبدع لا تكفر صاحبها

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ*لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ*لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ* وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ* إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ*وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ*يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (النور:11 – 17) والإفك: اسم يدل على كذب لا شبهة فيه فهو بهتان يفجأ الناس، وهو مشتق من الأفك بفتح الهمزة وهو قلب الشيء ، ومنه سمي قوم لوط بأصحاب المؤتفكة لأن قراهم ائتفكت، أي قُلبت وخسف بها فصار أعلاها أسفلها فكان الإخبار عن الشيء بخلاف حالته الواقعية قلباً له عن حقيقته فسمي إفكاً... والإفك: حديث اختلقه المنافقون وراج عند المنافقين ونفر من سذج المسلمين إما لمجرد اتباع النعيق، وإما لإحداث الفتنة بين المسلمين،[2] " والإفك هو الكذب الشنيع، وهو رمي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما اتهموها بالزنا مع صفوان ابن المعطل، وقوله: ﴿عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ أي: جماعة منتسبون إليكم يا معشر المؤمنين، منهم المؤمن الصادق في إيمانه ولكنه اغتر بترويج المنافقين، ومنهم المنافق" [3] وهذا يقتضي النظر والتفحص فيما صدر عن المسلم من قول أو فعل، فليس كل قول أو فعل فاسد يعتبر مكفراً، ولا نكفره، ولو كان عنده بعض البدع، ولو كان عنده بعض المعاصي، إلا إذا ارتكب مكفرا، كأن أنكر أمرا معلوما من الدين بالضرورة، أو سب الله أو سب الرسول أو استهزأ بالله، كما سيأتي، أما إذا لم يفعل شيئا من ذلك؛ فنسميه مسلما ونسميه مؤمنا، ولا نكفره.[4]

([1]) انظر: الموطأ، للإمام مالك، رواية محمد بن الحسن ،ج3، ص404.

([2]) انظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ج18،ص169.

([3]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 563.

([4]) شرح العقيدة الطحاوية، لعبدالعزيز الراجحي، ص 213.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2. لا يتصدى للتكفير إلا علماء المسلمين المشهود لهم بالصلاح

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران159) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(المائدة:54) "أخبر تعالى المؤمنين في هذه الآية الكريمة أنهم إن ارتد بعضهم فإن الله يأتي عوضاً عن ذلك المرتد بقوم من صفاتهم الذل للمؤمنين، والتواضع لهم ولين الجانب، والقسوة والشدة على الكافرين، وهذا من كمال صفات المؤمنين، وبهذا أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم، فأمره بلين الجانب للمؤمنين، بقوله: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(الحجر:88)، وقوله: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(الشعراء: 215)، وأمره بالقسوة على غيرهم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (التوبة: 73) وأثنى تعالى على نبيه باللين للمؤمنين في قوله: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ آل عمران: 159**، وصرح بأن ذلك المذكور من اللين للمؤمنين، والشدة على الكافرين، من صفات الرسول ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم".[1]

ومن هنا نعلم أن من سار على منهج النبي ﷺ لا بد أن يتصف بصفات العطف والرحمة فلا يصدر الأحكام جزافا، فيجب على الناس اجتناب هذا الأمر والفرار منه وتركه لعلمائهم لخطره العظيم، فالعلماء هم الذين أخذوا العلم من طريقه، وهم أعرف الناس بما جاء به الرسل، وقد أخذ الرسل عن الله عز وجل، وقد كرم الله الناس بإرسال الرسل عليهم كما كرمهم بان جعل منهم علماء يبينون لهم دينهم،[2]" لذا ينبغي الاحتراز عن التكفير ما وجد إليه سبيلا، فإن استباحة دماء المسلمين المقرين بالتوحيد خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك دمِ مسلمٍ واحد. [3]

([1]) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، ج6، ص 155.

([2]) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، ج5، ص148 .

([3]) شرح منظومة الإيمان المسماة: "قلائد العقيان بنظم مسائل الإيمان"، لأبي محمد عصام البشير المراكشي، ص138.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوسطية هي الخلاص

قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(القصص:77) وابتغاء الدار الآخرة طلبها ، أي طلب نعيمها وثوابها بما أعطاه الله، بمعظمه وأكثره، ولا نلومك على أن تأخذ نصيبك من الدنيا أي الذي لا يأتي على نصيب الآخرة، وهذا احتراس في الموعظة خشية نفور الموعوظ من موعظة الواعظ لأنهم لما قالوا لقارون: وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة أوهموا أن يترك حظوظ الدنيا فلا يستعمل ماله إلا في القربات ، فأفيد أن له استعمال بعضه في ما هو متمخض لنعيم الدنيا إذا آتى حق الله في أمواله، فقيل: أرادوا أن لك أن تأخذ ما أحلّ الله لك، والنصيب: الحظ والقسط، وإضافة النصيب إلى ضميره دالة على أنه حقه وأن للمرء الانتفاع بماله في ما يلائمه في الدنيا خاصة مما ليس من القربات ولم يكن حراماً، وقال قتادة: نصيب الدنيا هو الحلال كلّه، والمراد بالدنيا نعيمها، فالمعنى : نصيبك الذي هو بعض نعيم الدنيا، والآية تشير إلى أهمية الوسطية وتحقيق التوازن في الحياة.[1] وللتعرف على الوسطية لا بد أن نتعرض لتعريفها وأهم مظاهرها.

أولا: تعريف الوسطية

الوسطية في اللغة: من الوسط فالواو والسين والطاء: بناءٌ صحيح يدلُّ على العَدل والنِّصف، وأعْدلُ الشَّيءِ: أوسَطُه ووَسَطُه. قال الله عزّ وجلَّ: **﴿أُمَّةً وَسَطاً﴾** (البقرة 143). ويقولون: هو أوسَطُهم حَسَباً، إذا كان في واسطة قومه وأرفعِهم محلاً".[2]

الوسطية في الشرع

الوسطية هي: الاعتدال في كل أمور الحياة من تصورات ومناهج ومواقف ، وهي تحر متواصل للصواب في التوجهات والاختيارات، فالوسطية ليست مجرد موقف بين التشدد والانحلال بل هي منهج فكري وموقف أخلاقي وسلوكي.[3]

([1]) انظر: التحرير والتنوير، ج 20، ص178

([2]) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج6 ص108 بتصرف يسير

([3]) انظر: الوسطية في الإسلام لعلي الصلابي ج1 ص8-20

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أهم مظاهر الوسطية:

إن الأمة بأمس الحاجة إلى منهج الوسطية منقذا لها من هذا الانحراف الذي جلب عليها المصائب والنكبات، وقد بين القرآن الكريم أن منهج هذه الأمة منهجا وسطاً فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ (البقرة: 143).

قال الطبري: "وأنا أرى أن الوسط في هذا الموضوع هو الوسط الذي بمعنى الجزء، الذي هو بين الطرفين، مثل وسط الدار، وأرى أن الله تعالى إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، كغلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقولهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه، كتقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها"[1] .

وإذا كان للوسطية كل هذه المزايا، فلا عجب أن تتجلى واضحة في كل جوانب الإسلام، نظرية وعملية، تربوية وتشريعية.

([1]) جامع البيان، ج3 ،ص143.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أ- وسطية الإسلام في العقيدة:

قال تعالى: ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ﴾ (النساء:171).

"ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو في الدين وهو مجاوزة الحد والقدر المشروع إلى ما ليس بمشروع، وذلك كقول النصارى في غلوهم بعيسى عليه السلام، ورفعه عن مقام النبوة والرسالة إلى مقام الربوبية الذي لا يليق بغير الله، فكما أن التقصير والتفريط من المنهيات، فالغلو كذلك، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ وهذا الكلام يتضمن ثلاثة أشياء: أمرين منهي عنهما، وهما قول الكذب على الله، والقول بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه ورسله، والثالث: مأمور به وهو قول الحق في هذه الأمور".[1] وهكذا نجد أن الإسلام جاء وسطاً بين الملل، فلا إلحاد ولا وثنية، بل عبودية خالصة لله في الربوبية والألوهية، وكذا في الأسماء والصفات وسط بين أهل التشبيه والتمثيل والتحريف والتعطيل. وفي القضاء والقدر وسط بين نفاة القدر والمغالين فيه القائلين: إن العبد مجبور على فعله. وفي مسألة الإيمان وسطٌ بين من جفوا فأخروا الأعمال وأرجؤوها عن مسمّى الإيمان وبين من غلوا فأخرجوا من دائرة الإيمان من عمل بعض المعاصي. ويُلحَق بذلك الحكم بالتكفير، فأهل الحق لا يكفِّرون بالذنوب ما لم تُستحلّ، كما لم يجعلوا المذنب كامل الإيمان، بل هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.

ب-وسطية الإسلام في العبادات والشعائر:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ* فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: 9 – 11) **والمعنى:** إذا أُذّن لصلاة الجمعة فامشوا إلى الصلاة واتركوا البيع فإذا أُدّيت وانتهت فانتشِروا وتفرقوا في طلب الرزق، والحديثُ في هذه الآيات الكريمة عن صلاةِ الجمعة، وقد طلب الله المشي إلى الصلاة بسَكينة ووقار. فاذا أديتم الصلاة فتفرقوا في الأرض لمتابعة أعمالكم ومصالحكم الدنيوية التي فيها معاشُكم، واطلبوا من فضلِ الله ما تشاءون من خَيري الدنيا والآخرة، واذكُروا الله بقلوبكم وألسنتِكم كثيراً، لعلّكم تفوزون بالفلاح في الدنيا والآخرة .[2]

والإسلام وسط في عباداته، وشعائره بين الأديان، والنحل التي ألغت الجانب الرباني جانب العبادة والتنسك والتأله من فلسفتها وواجباتها، كالبوذية التي اقتصرت فروضها على الجانب الأخلاقي الإنساني وحده، وبين الأديان والنحل التي طلبت من أتباعها التفرغ للعبادة والانقطاع

([1]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص216.

([2]) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري، ج5، ص350.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عن الحياة والإنتاج، كالرهبانية المسيحية، فعن ثابت عن أنس: [أن نفرا من أصحاب النبي ﷺ قال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم لا آكل اللحم، وقال بعضهم لا أنام على فراش، وقال بعضهم أصوم فلا أفطر، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا، لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس من][1]

ت- وسطية الإسلام في الانفاق:

قال تعالى: ﴿**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما**﴾ (الفرقان: 67) ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا﴾ النفقات الواجبة والمستحبة ﴿لَمْ يُسْرِفُوا﴾ بأن يزيدوا على الحد فيدخلوا في قسم التبذير وإهمال الحقوق الواجبة، ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ فيدخلوا في باب البخل والشح ﴿وَكَانَ﴾ إنفاقهم ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ بين الإسراف والتقتير ﴿قَوَامًا﴾ يبذلون في الواجبات من الزكوات والكفارات والنفقات الواجبة، وفيما ينبغي على الوجه الذي ينبغي من غير ضرر ولا ضرار وهذا من عدلهم واقتصادهم".[2] وقال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا*فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا*قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا*وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾ (الشمس:7 – 10) أي: " طهر نفسه من الذنوب، ونقاها من العيوب، ورقاها بطاعة الله، وعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح، وكذلك فالتحذير من إخفاء النفس بالتدنس بالرذائل، والدنو من العيوب، والاقتراف للذنوب، وترك ما يكملها وينميها، واستعمال ما يشينها ويدسيها "[3] فالإسلام وسط في الانفاق بين غلاة المثاليين الذين تخيلوا الإنسان ملاكا أو شبه ملاك، فوضعوا له من القيم والآداب ما لا يمكن له، وبين غلاة الواقعيين الذين حسبوه حيوانا أو كالحيوان، فأرادوا له من السلوك ما لا يليق به فأولئك أحسنوا الظن بالفطرة الإنسانية فاعتبروها خيرا محضا، وهؤلاء أساءوا بها الظن، فعدوها شرا خالصا، وكانت نظرة الإسلام وسطا بين أولئك وهؤلاء. فالإنسان في نظر الإسلام مخلوق مركب فيه العقل، وفيه الشهوة، فيه غريزة الحيوان، وروحانية الملاك، قد هدى للنجدين، وتهيأ بفطرته لسلوك السبيلين، إما شاكرا وإما كفورا. فيه استعداد للفجور استعداده للتقوى. ومهمته جهاد نفسه ورياضتها حتى تتزكى.

ج- وسطية الإسلام في التشريع:

إقامة العدل قال تعالى: ﴿**وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين**﴾ (النحل: 126) ويقول تعالى ذكره للمؤمنين: " وإن عاقبتم أيها المؤمنون مَن ظلمكم واعتدى عليكم، فعاقبوه بمثل الذي نالكم به ظالمكم مِن العقوبة، ولئن صبرتم عن عقوبته واحتسبتم عند

([1]) سنن النسائي ، كتاب النكاح ، باب النهي عن التبتل، ح 3217.

([2]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص586.

([3]) المصدر السابق، ص926.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله ما نالكم به من الظلم ووكلتم أمركم إليه ، حتى يكون هو المتولي عقوبته، وذلك خير لأهل الصبر احتسابا، وابتغاء ثواب الله، لأن الله يعوّضه مِنَ الذي أراد أن يناله بانتقامه من ظالمه على ظلمه إياه من لذّة الانتصار، وهو من قوله(لَهُوَ) كناية عن الصبر، وقيل أنها نزلت من أجل أن رسول الله ﷺ وأصحابه أقسموا حين فعل المُشركون يوم أُحد ما فعلوا بقتلى المسلمين من التمثيل بهم أن يجاوزوا فعلهم في المُثْلة بهم إن رزقوا الظفر عليهم يومًا، فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآية وأمرهم أن يقتصروا في التمثيل بهم إن هم ظفروا على مثل الذي كان منهم، ثم أمرهم بعد ذلك بترك التمثيل، وإيثار الصبر عنه بقوله: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللَّهِ﴾ (النحل 127)"[1] وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى: 13). " اختلفت الشرائع على حسب مبلغ استعداد البشر لتلقي مراد الله تعالى ولذلك قلما اختلفت الأصول الأساسية للشرائع الإلهية، وإنما اختلفت الشرائع في تفاريع أصولها اختلافاً يراعى فيه مبلغ طاقة البشر لطفاً من الله تعالى بالناس ورحمة منه بهم حتى في حملهم على مصالحهم ليكون تلقيهم لذلك أسهلَ، وعملُهم به أدوم ، إلى أن جاءت الشريعة الإسلامية في وقت راهَقَ فيه البشرُ مَبلغَ غاية الكمال العقلي وجاءهم دين تناسب أحكامه وأصوله استعدادهم الفكري، وإن تخالفت الأعصار، وتباعدت الأقطار فكان ديناً عاماً لجميع البشر، فلا جرم أن كانت الشرائع السابقة تمهيداً له لتهييء البشر لقبول تعاليمه وتفاريعها التي هي غاية مراد الله تعالى من الناس"[2] ولقد جاء التشريع ليوازن بين متطلبات الفرد ومتطلبات المجتمع دون أن تطغى مصلحة أحدهما على الآخر، كما أن التشريع الإسلامي لم يتصادم مع فطرة الإنسان ، فكان تشريعا متوازنا راعى العلاقة بين الكون والإنسان، ومن أهداف التشريع الإسلامي أنه يدعوا للإصلاح والقضاء على الفساد ، كما جاء التشريع من أجل تبليغ دعوة الله للعالمين، وليساوي بين الناس أجمعين، ويمنح الحرية للناس، ويدعوا للسماحة، ولتكون الأمة قوية مهابة الجانب، وكي تكون التشريعات محل التنفيذ، ودعوة الناس لعبادة الله وحده لا شريك له ونبذ عبادة كل شيء غير الله تعالى .

ح- وسطية الإسلام في الدعوة إلى الله

قال تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ **(النحل: 125).**

وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو قومه إلى الطريق المستقيم طريق الحق الذي شرعه الله للناس وأن يستعمل مع كل واحد منهم الطريقة والوسيلة الناجحة ويجادل

([1]) جامع البيان، ج17، ص322.

([2]) التحرير والتنوير، ج1، ص371.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أهل الكتاب بالحجة والوقل اللين والعبارة الحسنة التي تشوبها قسوة ولا عنف ليستمر بينك وبينهم الحوار والجدل والنقاش فتستطيع إقناعهم بصحة دعوتك وحملهم على اتباعك واترك بعد ذلك أمرهم لله فهو الذي يعلم من ضل.

وقال قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ **البقرة: 256**. عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ قال: كانت المرأة من الأنصار لا يكاد يعيش لها ولد، فتحلف لئن عاش لها ولد لتهودنه، فلما أجليت بنو النضير إذا فيهم أناس من الأنصار، فقالت الأنصار: يا رسول الله أبناؤنا، فأنزل الله تعالى ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾"[1] والمعنى: "يخبر تعالى أنه لا إكراه في الدين لعدم الحاجة إلى الإكراه عليه، لأن الإكراه لا يكون إلا على أمر خفية أعلامه، غامضة آثاره، أو أمر في غاية الكراهة للنفوس، وأما هذا الدين القويم والصراط المستقيم فقد تبينت أعلامه للعقول، وظهرت طرقه، وتبين أمره، وعرف الرشد من الغي، فالموفق إذا نظر أدنى نظر إليه آثره واختاره، وأما من كان سيئ القصد فاسد الإرادة، خبيث النفس يرى الحق فيختار عليه الباطل، ويبصر الحسن فيميل إلى القبيح، فهذا ليس لله حاجة في إكراهه على الدين، لعدم النتيجة والفائدة فيه، والمكره ليس إيمانه صحيحا، فمن يكفر بالطاغوت فيترك عبادة ما سوى الله وطاعة الشيطان، ويؤمن بالله إيمانا تاما أوجب له عبادة ربه وطاعته ﴿ **فقد استمسك بالعروة الوثقى** ﴾ أي: بالدين القويم الذي ثبتت قواعده ورسخت أركانه، وكان المتمسك به على ثقة من أمره، لكونه استمسك بالعروة الوثقى التي ﴿ **لا انفصام لها** ﴾ وأما من عكس القضية فكفر بالله وآمن بالطاغوت، فقد أطلق هذه العروة الوثقى التي بها العصمة والنجاة، واستمسك بكل باطل مآله إلى الجحيم ﴿ **والله سميع عليم** ﴾ فيجازي كلا منهما بحسب ما علمه منهم من الخير والشر، وهذا هو الغاية لمن استمسك بالعروة الوثقى ولمن لم يستمسك بها".[2]

الخاتمة

نزل القرآن الكريم هداية للناس ونورا، يخرج به الله من شاء من الظلمات إلى النور، ولزوم منهج الوسطية عين الاستقامة والهداية والصراط المستقيم، ولذلك فقد جاءت الآيات مستفيضة ترسم منهج الوسطية وتدل عليه، والوسطية منهج متكامل شامل غير محصور في ركن من الأركان، ولا في جزئية من الجزئيات، ولا في حكم من الأحكام، ولا في أصل من الأصول، فالإسلام كله وسط، وهذه الأمة هي أمة الوسط ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: 143).

ولذلك جاء القرآن مقررًا لمنهج الوسطية في أبواب الاعتقاد والعبادات والتشريع والأخلاق، وغيرها من الأبواب والمجالات، فمن سار خلف هذا المنهج فقد سلم في دينه ودنياه، ومن أبى فأمره إلى الله.

([1]) أسباب النزول، للواحدي، ص52.

([2]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص110.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد أبان البحث عن أن هناك دعوة واحدة اتفق الأنبياء والرسل في خطابهم أقوامهم عليها وهي (التوحيد) وهي حجر الأساس الأول لبناء الفرد ومن ثم الأسرة والمجتمع والأمة وكشف البحث عن أن هناك أساليب مختلفة للشرك ومتعددة، وتختلف في كل زمان ومكان وهي على اختلافها إلا أن مواجهتها تظل مرسومة في القصص القرآني على نسق واحد وهي الدعوة إلى التوحيد وتصحيح المفاهيم والوعي تجاه قضية التوحيد.

وقد وضح البحث طبيعة المنافقين القائمة على المخادعة والإفساد في الأرض وادعاء الإصلاح كما كشف عن حالة العلو والتكبر في نظرة المنافقين إلى المؤمنين وهي طبيعة تظل لصيقة بهم على مر الزمان وأماط البحث اللثام عن خطورة قضية التكفير وأنها قضية كبرى ينبغي أن تظل محاطة بحدود وضوابط.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

القضايا السياسية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الشورى.

المطلب الثاني: الحرية.

المطلب الثالث: حق الأمة في اختيار الحاكم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: قضية الشورى

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾(الشورى:38) أي: "أَمْرُهُمْ الديني والدنيوي شُورَى بَيْنَهُمْ، لا يستبد أحد منهم برأيه في أمر من الأمور المشتركة بينهم، وهذا لا يكون إلا فرعا عن اجتماعهم وتوالفهم وتوادهم وتحابهم وكمال عقولهم، أنهم إذا أرادوا أمراً من الأمور التي تحتاج إلى إعمال الفكر والرأي فيها، اجتمعوا لها وتشاوروا وبحثوا فيها، حتى إذا تبينت لهم المصلحة، انتهزوها وبادروها، وذلك كالرأي في الغزو والجهاد، وتولية الموظفين لإمارة أو قضاء، أو غيره، وكالبحث في المسائل الدينية عموما، فإنها من الأمور المشتركة، والبحث فيها لبيان الصواب مما يحبه الله، وهو داخل في هذه الآية" [1]

أولاً: تعريف الشورى لغةً واصطلاحاً

الشورى لغة: الشورى "ترجع إلى مادة شور، فالشين والواو والراء أصلان مطَّردان، الأوَّل منهما إبداء شيء وإظْهارُهُ وعَرْضه، والآخر أخْذ شيء".[2] **فالأوَّل** قولهم: شُرت الدَّابّة شَوْراً، إذا عَرضْتَها. والمكان الذي يُعْرض فيه الدَّوابّ هو المِشوار. يقولون: "إِيَّاكَ والخُطَبَ فإنَّها مِشْوارٌ كثير العِثار"، **والثاني:** قولهم: شُرْت العسلَ أَشُوره، وقد أجاز ناسٌ: أَشَرْت العسَل، فيقال: أشار عليه بأمر كذا: أمره به، وهي الشُورى والمَشُورة بضم الشين، وتقول: شاورته في الأمر واستشرته بمعنى، وشاوره مشاورة واستشاره طلب منه المشورة، وأشار عليه بالرأي: أومأ إليه، ونبهه أو دله عليه.[3]

الشورى اصطلاحاً: " هي استطلاع الرأي من ذوي الخبرة فيه للتوصل إلى أقرب الأمور للحق، وقد يقال استطلاع رأي الأمة، أو من ينوب عنها في الأمور العامة المتعلقة بها".[4]

" والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب هذا ما لا خلاف فيه".[5]

([1]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن السعدي ص759

([2]) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ج3، ص 226

([3]) انظر: مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، ج1، ص 354.

([4]) الشورى وأثرها في الديمقراطية ، للدكتور عبد الحميد الأنصاري، ص 4.

([5]) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ج1، ص565.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والشورى هي الرجوع إلى أهل الرأي والاختصاص في الأمور التي لا يوجد فيها نص شرعي واضح، للوصول إلى الأصلح للأمة والأنفع لها، وهي تقليب وجهات النظر المطروحة والآراء المختلفة في قضية من القضايا، ومناقشتها من أصحاب العقول حتى يتوصل إلى الصواب منها أو إلى أصوبها وأحسنها ليعمل به.

والمراد بهذا أن الشورى تكون بالرجوع إلى أهل الخبرة من أفراد الأمة ممن لهم معرفة وتجربة أو من أهل الاختصاص، واستطلاعها من أهل الشورى، لهدف محدد هو الوصول للرأي الذي يحقق المصلحة والنفع للأمة.

ثانياً: أدلة مشروعية الشورى من القرآن

لقد وردت كلمة الشورى في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع:

أولها: في خطاب موجه لولي الأمر.

وثانيها: في خطاب موجه للأمة الإسلامية.

وثالثها: في أمر اجتماعي.

الموضع الأول

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ **(الشورى:38)** وهي آية مكية نزلتْ قبل قيام الدولة الإسلامية في المدينة، وعلى ذلك فلا يمكن قصر هذه الآية على الجانب السياسي، وإن كانت تتضمنه بعموم اللفظ، وقد وردت في مدح الأنصار على ما ذكره طائفة من أهل التفسير، حيث كانت الأنصار قبل قدوم النبي ﷺ إليهم إذا أرادوا أمراً تشاوروا فيه، ثم عملوا عليه، فمدحهم الله تعالى به[1] ومن ذلك نفهم أن الآية دالة على مدح الشورى، كما هي دالة على مدح من يعملون بها، وهم المؤمنون من أي قبيل كانوا وفي أي زمان وجدوا، **وهذا** يدل على جلالة موقع المشورة لذكره لها مع الإيمان وإقامة الصلاة، ويدل على أنَّا مأمورون بها[2] والتعبير يجعل أمرهم كله شورى، ليصبغ الحياة كلها بهذه الصبغة، وهو نص مكي، كان قبل قيام الدولة الإسلامية، فهذا الطابع إذن أعم وأشمل من الدولة في حياة المسلمين، إنه طابع الجماعة الإسلامية في كل حالاتها، ولو كانت الدولة بمعناها الخاص لم تقم بعد.[3]

الموضع الثاني:

([1]) انظر: الجامع لإحكام القرآن، ج16، ص34.

([2]) انظر: كتاب أحكام القرآن ، لأحمد بن علي المكني بأبي بكر الرازي الجصاص الحنفي، ج 3، ص 386.

([3]) انظر: في ظلال القرآن ، ج6 ، ص332 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾البقرة :233) الآية الكريمة تتحدث عن فطام الرضيع؛ فإن الله سبحانه وتعالى قد جعل للرضيع سنتين كما قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ (البقرة:233) إلا أن يتفق الوالدان على الفِطام قبل الحولين عن تراض منهما وتشاور، فيما فيه مصلحة المولود لفطمه كما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن ﴾ (البقرة:233) فالآية دليل على إباحة الله تعالى للوالدين التشاور في الرضاعة، فيما يؤدي إلى إصلاح الصغير، وذلك موقوف على غالب ظنونهما لا على الحقيقة واليقين[1]

الموضع الثالث

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ واستغفر لهم وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(آل عمران:159).

وهذه الآية مدنيةَ جاءت بلفظ الأمر، فهي تأمر الرسولَ ﷺ وكل من يقوم مقامه في قيادة الأمة بمشاورة المسلمين، وذلك لما في الشورى من الخير والمصلحة؛ وقد أمر الله نبيه ﷺ بقوله:" وشاورهم في الأمر"، بمشاورة أصحابه في مكايد الحرب وعند لقاء العدو، تطييباً منه بذلك أنفسَهم، وتألّفاً لهم على دينهم، وليروا أنه يسمع منهم ويستعين بهم، وإن كان الله عز وجل قد أغناه بتدبيره له أمورَه، وسياسته إيّاه وتقويمه أسبابه[2]وبهذا النص الجازم يقرر الإسلام هذا المبدأ، وهو نص قاطع، لا يدع للأمة المسلمة شكاً في أن الشورى مبدأ أساسي، لا يقوم نظام الإسلام على أساس سواه، أما شكل الشورى، والوسيلة التي تتحقق بها، فهذه أمور قابلة للتحوير والتطوير، وفق أوضاع الأمة وملابسات حياتها، وكل شكل، وكل وسيلة تتم بها حقيقة الشورى لا مظهرها فهي من الإسلام.

ولقد جاء هذا النص عقب وقوع نتائج للشورى تبدو خطيرة مريرة، فقد كان من جرائها ظاهريا وقوع خلل في وحدة الصف المسلم. اختلفت الآراء قبل معركة أحد، فرأت مجموعة أن يبقى المسلمون في المدينة محتمين بها، وتحمست مجموعة أخرى، فرأت الخروج للقاء المشركين، وكان من جراء هذا الاختلاف ذلك الخلل في وحدة الصف، إذ عاد عبد الله بن أبي بثلث الجيش كما وقعت الهزيمة في المعركة.[3]

ثالثاً: حاجة المجتمع المسلم للشورى في واقعنا المعاصر

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾(الشورى:38) إن الشورى من أهم المبادئ الدستورية الإسلامية التي يقوم عليها النظام

([1]) انظر: أحكام القرآن، ج3، ص 172.

([2]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ج7، ص345، الطبعة الأولى.

([3]) انظر: السيرة النبوية – دروس وعبر في تربية الأمة وبناء الدولة لعلي الصلابي ج6 ، ص145

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السياسي الإسلامي ، وهو المبدأ الذي يحاول الكثير من المفكرين الإسلاميين المعاصرين البحث فيه، محاولين المقاربة بينه وبين الديمقراطية التي تقوم على حكم الشعب ، وتأتي هذه المقاربة من زوايا مختلفة بحسب رؤية كل مفكر للموضوع، على اعتبار أن الشورى حق قررته الشريعة الإسلامية للأمة ، بحيث يصبح أمر حكمها بإرادتها الحرة ضمن القواعد التي قررها الشرع الإسلامي، وهناك تقاطع بين الشورى والديمقراطية وذلك بما تحتويه الشورى من مختلف قيم ومبادئ الديمقراطية ، كاعتماد رأي الأكثرية ، وحرية الرأي والتعبير، وحق التفكير ، وحرية التملك ، والمشاركة في القرارات الجماعية وغيرها [1].

والحقيقة أن المشكلة ليست في الإسلام وإنما كيف نفهم الإسلام؟ ، فنقوم بتحليل شامل للفكر الإسلامي ، محددين المشكلة بأنها داخلية في الفكر الإسلامي ، مبينين العلل التي أصابته وأدت إلى جموده وضعفه ورؤيته للأمور بغير مرادها الإسلامي ضمن مرجعية تراثية سلفية قديمة ، ومن بين هذه الأمور موضوع الشورى[2] لذا فإن المجتمع المسلم بحاجة ماسة لتحقيق الشورى وواضح أنه لا قوام لمجتمع مسلم ما لم يتصف بخلق الشورى، وصفات أخرى غيرها كثيرة مبثوثة في آيات القرآن الكريم، فإذا أرادت الأمة الإسلامية أن يكون لها وجود صحيح سليم فاعل على ظهر الأرض، وإذا كان لمجتمع مسلم أن يكون المجتمع القائم بالعدل، الداعي إلى الحق، الشاهد على الأمم، فلابد أن يتمتع بمفهوم الشورى بآفاقه وأبعاده.

إن نظام الشورى هو ديمقراطية الإسلام في الحكم والمجتمع، وهو من صفات المؤمنين، يعصمها من الطغيان والاستبداد، يقود الأمة الإسلامية في دروب السداد والرشاد ويبعدها عن مهاوي الانحدار والسقوط ،وليس من قبيل الصدفة أن تسمى سورة كاملة من القرآن الكريم باسمه وليس غريباً أن نرى نماذج كثيرة في القرآن الكريم تجسد مفهوم الشورى.

والشورى في الحكومات الإسلامية أو الحكومات الزمنية هي صمام الأمان، لأن الناس كما يحتاجون إلى ملء بطونهم فهم بحاجة إلى ملء أذهانهم. فكما إنّ الجائع يخرج على من جوّعه بالإضراب والمظاهرة كذلك من لا يستشار يخرج على من جوّع فكره، مهما بلغت نزاهة الحاكم، فلا يكفي للحاكم الإسلامي أن يطبّق مبادئ الإسلام وقوانينه بدون تطبيق مبدأ الشورى، وهو ركن مهم في الحكم الإسلامي لأن الناس عندما يرون عدم تطبيق قانون الإسلام الذي هو الشورى ينفضّون من حوله.

([1]) انظر: الحركات الإسلامية والديمقراطية ، لفهمي هويدي ، ص 17–39 بتصرف.

([2]) انظر: تجديد الفكر الإسلامي : المفكر الإسلامي لحسن الترابي، ص 9–32 بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعاً: وجوه الشورى في القصص القرآني

1- قصة ملكة سبأ مع نبي الله سليمان عليه السلام

وهي تمثل الشورى في السياسة الخارجية في تعامل الدولة مع غيرها من الدول قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ* قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾(النمل: 32-33) وهذه الآيات دليل على صحة المشاورة، إما استعانة بالآراء وأما مداراة للأولياء، والمشاورة من الأمر القديم وخاصة في الحرب، فهذه بلقيس امرأة جاهلية كانت تعبد الشمس إلا أنها طلبت مشورتهم لتختبر عزمهم على مقاومة عدوهم، وحزمهم فيما يقيم أمرهم وإمضائهم على الطاعة لها بعلمها بأنهم إن لم يبذلوا أنفسهم وأموالهم ودماءهم دونها لم يكن لها طاقة بمقاومة عدوها، وإن لم يجتمع أمرها وحزمهم وجدّهم كان ذلك عونا لعدوهم عليهم، وإن لم تختبر ما عندهم وتعلم قدر عزمهم لم تكن على بصيرة من أمرهم، وربما كان في استبدادها برأيها وهن في طاعتها ودخيلة في تقدير أمرهم، وكان في مشاورتهم وأخذ رأيهم عون على ما تريده من قوة شوكتهم، وشدة مدافعتهم[1] وكانت بلقيس ملكة على مملكة سبأ في عهد نبي الله سليمان -عليه السلام - وكانت معروفة عند قومها بالعقل والحكمة، وكان قومها يعبدون الشمس من دون الله فأرسل إليها سليمان -عليه السلام- يدعوها وقومها إلى الإسلام والدخول في دين الله، فذكر موقفها عند قراءة الخطاب: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ (النمل:32)، والملأ هم أشراف القوم وعِلْيَتُهم، فشاورتهم في أمر هذا الخطاب واستنصحتهم في ذلك، لكن الملأ هنا كان موقفهم سلبياً؛ إذ لم يزيدوا على قولهم: ﴿قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾(النمل: 33)، فلم يقدموا لها مشورة، ولم يقترحوا عليها تصرفاً، بل عرَّضوا باستعدادهم للحرب عن طريق بيان قوتهم وبأسهم، وهو أمر لم يكن خافياً على بلقيس حتى يذكروه لها، ثم فوضوا إليها التصرف وتركوا ما كان ينبغي عليهم من الإشارة بما يرون فائدته، وقالوا لها: والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين؟ وهذا أحد الفروق الهامة بين الشورى في الإسلام وبين الشورى في النظم الجاهلية؛ حيث يتنازل المستشارون عن القيام بدورهم لصالح التفويض المطلق للحاكم، بعكس الشورى في الإسلام؛ حيث يبذل المستشار جهده في الدلالة على ما يرى صوابه من الخير والصلاح، أو التحذير من الشر والفساد؛ انطلاقاً من كونه مأمونا.

([1]) انظر: الجامع لأحكام القرآن ، ج13، ص174.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2-قصة مشاورة فرعون للملأ من قومه في أمر موسى عليه السلام

وتمثل الشورى في المسائل الداخلية للدولة قال تعالى مخبرا عن فرعون: ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾(الشعراء:34 – 35)

ولم تزل الشورى في أطوار التاريخ رائجة في البشر، فقد استشار فرعون في شأن موسى عليه السَّلام فيما حكى الله عنه بقوله ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾؟ أي بأي شيء تشيرون في أمر موسى؟ لكن الملاحظ هنا أن طلب المشورة إنما جاء في الوقت العصيب الشديد الذي يفقد فيه القائد قدرته على التفكير بحيث يكون لجوؤه للشورى في ذلك الموضع من قبيل الضرورة لا من قبيل المنهج المتبع، وهو ما يفرق بين الشورى من المنظور الإسلامي وبينها من منظور الطواغيت والمستبدين؛ فعندما يسقط الأمر في يد الطاغية، وعندما يفقد القدرة على التصرف فإنه عندئذ يلجأ إلى الشورى،[1] ويؤيد ذلك ما جاء في تفسير الآية: "ما رأيكم فيه وما مشورتكم في مثله؟ فأظهر لهم الميل إلى ما يقولونه تألفاً لهم واستجلاباً لمودتهم؛ لأنه قد أشرف ما كان فيه من دعوى الربوبية على الزوال، وقارب ما كان يغرر به عليهم الاضمحلال، وإلا فهو أكبر تيهاً وأعظم كبراً من أن يخاطبهم مثل هذه المخاطبة المشعرة بأنه فرد من أفرادهم، وواحد منهم، مع كونه قبل هذا الوقت يدعي أنه إلههم، ويذعنون له بذلك، ويصدقونه في دعواه"[2]، وهذه القاعدة لا ينافيها موقف الملكة بلقيس؛ فقد كان لها عقل وحكمة وكياسة، ولذلك هداها ذلك ودفعها إلى الإيمان عندما ظهرت لها دلائله؛ بعكس موقف فرعون الذي تبينت له الآيات هو وقومه كما قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾(النمل: 14)، كما تشاور الملأ من قوم فرعون في قتل موسى عليه السلام فيما جاء على لسان المؤمن من آل فرعون؛ حين قال لموسى: ﴿ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ (القصص: 20)، أي يتشاورون في قتلك.

([1]) انظر: التحرير والتنوير ج4 ص150

([2]) فتح القدير، ج4 ، ص142

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامساً: وجوه الشورى في السنة النبوية

لقد أقام الرسول ﷺ دولته على قاعدة الشورى إذ لم ينفرد برأي دون أن يستشير أهل الرأي والمشورة من أصحابه، بل لجأ أحياناً إلى جماعة المسلمين عامة مع أنه المؤيد من ربه بالوحي كما حدث في استشارته لهم في الخروج لأحد،[1] ولقد يربي أصحابه ومن بعدهم على أن لا يستبد الحاكم برأيه مهما بلغ من رجاحة العقل وسعة الاطلاع وكثرة التجارب فرأي الجماعة أصوب من رأي الفرد.

إن الرسول ﷺ لم يعتمد أسلوباً واحداً في الشورى ولم يرد نص في كتاب الله يحدد كيفية الشورى ولهذا مارس النبي ﷺ الشورى بطرق مختلفة فأحياناً يشير عليه الواحد بالرأي فيراه صواباً فيعمل به كما حدث عند آبار بدر، [2] وأحيانا يستشير جمهور الحاضرين ويطلب رأيهم، كما حدث يوم بدر،[3] وأحياناً كان يستشير جمهور الناس عن طريق ممثلين لهم فينقلون إليه آراء من يمثلونهم، كما حدث يوم أحد، [4] وسأعرض بعض الوجوه من النهج النبوي في الشورى.

استشار الفاروق رضي الله عنه المسلمين في سواد العراق، فكان رأي الأغلبية أن يقسمه بين المسلمين، ومنهم عبد الرحمن بن عوف وبلال وكثير من علماء الصحابة، فلم يلتفت عمر إلى رأي الأغلبية، بل أمضى الرأي الذي كان يرى أنه الحق، وجادل من دونه ثم نفذه، وذلك بترك السواد في أيدي أهله، ودفع الخراج على أراضيهم والجزية على رؤوسهم. وهكذا لم يلتزم الفاروق بقول الأغلبية، بل أمضى رأيه[5]

1. مشاورة جمهور الحاضرين:

توجه الرسول ﷺ إلى بدر لملاقاة قافلة قريش العائدة من بلاد الشام للاستيلاء عليها، ولكن أبا سفيان قائد القافلة علم بخبر خروج الرسول ﷺ فغير طريق القافلة ونجا بها، وخرجت قريش للدفاع عن القافلة وتوجهت لحرب الرسول ﷺ في بدر فاستشار النبي ﷺ من كان معه، فقال: أشيروا علي أيها الناس، فقام أبو بكر فقال خيراً، وفضل قتال المشركين، ثم قام عمر بن الخطاب وقال مثل ما قال أبو بكر، ثم قام المقداد بن عمرو وقال: يا رسول الله امض لما أمرك

([1]) انظر: الرحيق المختوم، للمباركفوري، ص215

([2]) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، ج1، ص620.

([3]) انظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث لعلي الصلابي ، ج3 ، ص335

([4]) انظر: السيرة النبوية،لابن هشام، ج3، ص 63

(5) انظر: الشورى في عهد الخلفاء الراشدين ، للبوطي،ج1، ص144.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله، فنحن معك ولا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون. ولكن النبي ﷺ لم يسمع قول الأنصار فكرر قوله: أشيروا علي أيها الناس، فقال له سعد بن معاذ: كأنك تريدنا يا رسول الله، امض لما أمرك الله فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد فسر الرسول ﷺ عندما وجد الأغلبية ترغب في القتال، وأخذ يبشرهم بمصارع المشركين، ويحدد الأمكنة التي سيصرعون فيها.[1]

2. الأخذ برأي الواحد:

عندما نزل النبي ﷺ ومعه الصحابة على ماء بدر جاء الحباب بن المنذر ابن الجموح، فقال: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال: بل هو الرأي والحرب فأشار عليه أن ينزل على أدنى ماء من القوم فينزله ثم يغور ما وراءه من الآبار فنشرب ولا يشربون. فقال الرسول ﷺ لقد أشرت بالرأي فسار حتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه ثم أمر بالآبار الأخرى فدمرت وهكذا أخذ النبي ﷺ برأي الواحد.[2]

3.الأخذ برأي الأكثرية

لما قررت قريش في العام الثالث من الهجرة النبوية أن تسير لحرب الرسول ﷺ فتفاجئه بضربة قوية، حشدت حشودها واستعانت بالقبائل العربية، علم الرسول ﷺ بذلك فجمع أهل المدينة واستشارهم في الأمر، فكان موقف غالبية المسلمين أن يخرجوا للقاء قريش خارج المدينة، وكان رأي الرسول ﷺ البقاء في المدينة المنورة والدفاع عنها[3].

4.استشارة الناس عن طريق ممثليهم

انتصر المسلمون على هوازن في حنين، وغنموا أموالهم ونساءهم، فقسمها الرسول ﷺ على المسلمين الذي حضروا الغزوة، ثم جاء بعد ذلك وفد من هوازن يطلب المن من الرسول ﷺ فجمع الرسول ﷺ الناس وقال: إن إخوانكم هؤلاء جاؤوا تائبين، وإني قد رأيت أن أرد إليهم أموالهم فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل. ثم قال: أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهذا لكم. ثم ارتفعت الأصوات فقال ﷺ: إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن فارجعوا

([1]) انظر: المصدر السابق، ج3، ص163

([2]) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، ج1، ص620.

([3]) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، ج3، ص 63.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم، فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى الرسول ﷺ فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا.[1]

5.استشارة البعض دون الكل:

عندما حاصرت الأحزاب المدينة واشتد الحصار وخاف الرسول ﷺ من فاجعة مؤلمة فأراد أن يشتت الأحزاب وعرض على بعض القبائل شيئاً من ثمار المدينة، مقابل الانسحاب من حولها. وممن عرض عليهم ذلك الحرث بن عمرو الغطفاني رئيس غطفان، فقال للنبي ﷺ إن جعلت لي شطر ثمار المدينة، وإلا ملأتها عليك خيلاً ورجالاً، فقال النبي ﷺ حتى أشاور السعدين يعني سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وأسعد بن زرارة، فقالوا إن كان هذا بأمر من السماء فتسليم لأمر الله، وإن كان برأيك فرأينا تبع رأيك، وإن لم يكن بأمر السماء ولا برأيك، فو الله ما كنا نعطيهم في الجاهلية ثمرة إلا شراء أو قراء فكيف وقد أعزنا الله بك.[2]

سادساً: فوائد الشورى للمجتمع المسلم

إن للشورى أهمية كبيرة في حياة الأمم والمجتمعات، لأن الشورى هي الطريق السليم التي يتوصل بها إلى أصوب الآراء والحلول لتحقيق مصالح الأفراد والجماعات والدول، فالشورى هي الطريق الصحيح لمعرفة الحقيقة، وجلاء الأمر، وتوضيح السبيل، وهي أثر طبيعي لاحترام الإسلام للعقل، وهي مظهر من مظاهر المساواة بين المسلمين، وحرية الرأي والنقد، وفي الشورى عصمة لولي أمر المسلمين من الإقدام على أمور تضر بالأمة ولا يشعر هو بضررها، كما أن في الشورى تذكيراً للأمة بأنها صاحبة سلطة، وتذكيراً للحاكم بأنه وكيل عنها في مباشرة السلطة، وأخيراً فإن رأي الجماعة أقرب إلى الصواب من رأي الفرد، وإن من أهم أسباب تخلف الأمة الإسلامية هو ابتعادها عن حكم الشورى ومشاركتها في تحمل التبعات فللشورى فوائد جمة منها:

1- إعلام الناس أن ما لا نص فيه من الحوادث فسبيل استدراك حكمه، الاجتهاد وغالب الظن[3]
2- المشير قد ينبه المستشير لما يغفل عنه، ويدل من الأخبار على ما لعله أن يجهله[4]
3- قد يعزم الخليفة على أمر ، فيبين له الصواب في قول غيره ، فيعلم عجز نفسه عن الإحاطة بفنون المصالح [5]
4- إذا شاور وجوه القوم، وذوي الرأي طابت خواطرهم، واطمأنت نفوسهم، وعلموا أنه ليس يستبد عليهم ، وأحبوه وبذلوا جهدهم في طاعته . [6]

([1]) انظر: صحيح البخاري، كتاب الوكالة، باب إذا وهب شيئا لوكيل أو شفيع قوم جاز ، ح 3132.
([2]) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، ج3 ، ص 223.
([3]) انظر: أحكام القرآن، للجصاص، ج2، ص41.
([4]) انظر: كتاب الأم، للإمام الشافعي ، ج 6 ، ص 203.
([5]) انظر: مفاتيح الغيب، ج9، ص 67.
([6]) انظر: المصدر السابق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5- في الاستشارة تنوير للأفكار، وتوسيع للمدارك، وهداية لأرشد، وأصلح الأعمال. [1]

6- الاستشارة تثمر الرأي المصيب، فإن المشور لا يكاد يخطئ في فعله، وإن أخطأ أو لم يتم له مطلوب فليس بملوم[2]

([1]) انظر: المصدر السابق.

([2]) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 212 - 213 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: الحرية:

أولاً: تعريف الحرية لغة واصطلاحاً:

الحرية لغة: تشتق الحرية من فعل حرَّ بفتح الحاء المهملة والراء، الحر بالضم: نقيض العبد والجمع أحرار وحرار، والحرة نقيض الأمة، والجمع حرائر، والحُرُّ بالضم نقيض العبد، والجمع أَحْرَارٌ وحِرارٌ. والحُرَّة نقيض الأَمة والجمع حَرائِرُ.[1] " والحر من الناس: أخيارهم وأفضلهم. وحرية العرب أشرافهم. والحرة: الكريمة من النساء ".[2] وتحرير الولد أن يفرده لطاعة الله عز وجل وخدمة المسجد.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(الحجرات:13) يخبر تعالى أنه خلق بني آدم، من أصل واحد، وجنس واحد، وكلهم من ذكر وأنثى، ويرجعون جميعهم إلى آدم وحواء، ولكن الله بث منهما رجالا كثيرا ونساء، وفرقهم، وجعلهم شعوبًا وقبائل أي: قبائل صغارًا وكبارًا، وذلك لأجل أن يتعارفوا، فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه، لم يحصل بذلك، التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون، والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوبًا وقبائل، لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها، مما يتوقف على التعارف، ولحوق الأنساب، لا لأن يستعلي البعض فيستعبد غيره، ويتسلط على رقاب الآخرين، فيريهم ما يرى مثل الفرعون، فالناس لا يتفاضلون بالمناصب ولا بالعائلات، إنما بالتقوى، فأكرمهم عند الله أتقاهم، وهو أكثرهم طاعة وبعداً عن المعاصي، لا أكثرهم قرابة وقومًا ومنصبا، والله تعالى عليم خبير، يعلم من يقوم منهم بتقوى الله، ظاهرًا وباطنًا، ممن يقوم بذلك، ظاهرًا لا باطنًا، فيجازي كلا بما يستحق.[3]

ومن ذلك قول القرآن الكريم على لسان أم مريم وهو يستعرض جانبا من قصة مريم بنت عمران ووليدها السيد المسيح عيسى التي أرادت والدتها أن يكون ما في بطنها ذكرا توقفه لخدمة المعبد مدى الحياة ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾آل عمران:35) وقوله تعالى "محرراً" مأخوذ من الحرية التي ضد العبودية، ومن هذا تحرير الكتاب وهو تخليصه من الاضطراب والفساد.[4]

([1]) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ج4، ص177، الطبعة الأولى .

([2]) المصدر السابق والصفحة.

([3]) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص 802.

([4]) انظر: الجامع لإحكام القرآن، للقرطبي ، ج4 ، ص66.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحرية اصطلاحاً: هي "ما يميز الإنسان عن غيره ويتمكن بها من ممارسة أفعاله وأقواله وتصرفاته بإرادة واختيار من غير قسر ولا إكراه ولكن ضمن حدود معينة".[1]

وهي أيضا: "أن يعيش الإنسان على النحو الذي يتفق مع نظرته ومع أصول الأخلاق العامة وقضايا النظام العام، فليست الحرية معنى مرادفا للفوضوية، فالفوضى لا يقبلها الإسلام".[2]

والمنطق السليم لا يقبل الفوضى، وتستنكرها كل القوانين الوضعية، وقد يخضع الإنسان لحظة ضعف للفوضى، ولكنه في قرارة نفسه يرفضها تماماً.

وورد أيضا في تعريفها: أن تمارس إرادتك على أرضية المسؤولية، وتسمح للآخرين أن يمارسوها كما تحب أنت أن تفعل[3]، ويؤخذ من التعريف أن الحرية متأصلة في كينونة الإنسان، وإذا جردنا الحرية مما يلحق بها فإنه ليس للإنسان سيادة على آخر حتى يسمح أو لا يسمح لأن الناس تكويناً وتشريعياً وعرفاً سواسية وأحرار.

لذلك يقتضي الأمر ألا تزاحم حريتك حرية إنسان آخر، والعكس صحيح انطلاقاً من وصية الإمام علي للإمام الحسين عليهما السلام " يا بني اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك، واستقبح ما تستقبح من غيرك، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك[4].

ثانياً: الحرية في القرآن الكريم

بعد البحث والاطلاع ثبت أن كلمة الحرية لم ترد في القرآن الكريم ولكن ورد في القرآن من أصل وجذر الحرية "حرّ" الكلمات التالية:

1. تحرير

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ (النساء: 92).

2.محرراً

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(آل عمران: 35).

3.الحر

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾ (البقرة: 178)

([1]) حق الحرية في العالم، لوهبة الزحيلي، ص39 .

([2]) مجلة النور " حوار النور مع الزحيلي" د. وهبة الزحيلي ، العدد 125، ص 50.

([3]) انظر: التجديد الاجتماعي. تأملات في التأهيل المجتمعي ، الشيخ محمد حسن العليوات ، ص59 .

([4]) انظر: كتاب نهج البلاغة، للإمام علي، شرح الشيخ محمد عبده، ج3، ص565 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعلى الرغم من أن لفظة الحرية لم ترد في كتاب الله إلا أن آياته الكريمة حملت دلالات ومعاني الحرية بأشكالها المختلفة ومنها على سبيل المثال ما ورد من الآيات الكثيرة التي تتحدث عن مفهوم الطاعة وتحرير الإنسان من سلطة الأهواء والشهوات والشيطان والطاغوت.

قال تعالى في مقام ذم طاعة قوم فرعون له: ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾(الزخرف: 54)، وقال تعالى: ﴿ وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾(الأنعام: 121)، وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾(الأحزاب: 67) وقال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾(الأنعام: 116) وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(العنكبوت: 8) وقال تعالى في النهي عن طاعة الكفار: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ﴾(آل عمران:149)

والآيات السابقة توضح مجموعة من الحقائق

1. أن الإنسان محاط بمكبلات كثيرة تسلبه حريته وتوقعه في رق العبودية لها، وقد بينها القرآن الكريم من خلال آياته في مناسبات عديدة، وأمر بكسرها.
2. وكسر هذه القيود والانعتاق من أسرها يحتاج إلى الارتباط بالله سبحانه وتعالى والتقيد بمنهاجه.
3. وحينها يحصل الإنسان على الحرية الحقيقية، والقيود التي يقيد بها من خلال إيمانه لا تسلبه حق الاختيار ولكنها تحمله تبعات اختياره.

ثالثاً: حرية الرأي والتعبير

ويقصد بحرية الرأي: أن يكون لدى الإنسان القدرة على تكوين الرأي وإعلانه، دون تأثير من أحد[1] وإذا كانت الديمقراطية قد أعطت هذه الحرية أهمية كبيرة، وتحاول أن توفر لها الضمانات لحمايتها، وتهيئ لها وسائل التعبير، وطرق الممارسة، وبخاصة فيما يتعلق بتكوين الرأي الآخر وحرية المعارضة، فقد نادى الإسلام بحرية الرأي وكفلها ، ولم يجعلها بمجرد حق إنسان يطالب به ، أو يتنازل عنه، بل هي واجب عليه وفريضة وأمانة ، ونوع من الجهاد والعبادة

([1]) حقوق الإنسان في الشريعة والقانون، للدكتور يونس الأسطل، ص 152.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

. وحرية الرأي تجد أساسها في القرآن الكريم والسنة النبوية، فقد اعتبر القرآن الكريم من يتصدى لهذا الواجب من المفلحين، قال الله تعالى : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:104) وبهذا يثبت أن حرية الرأي السياسي مشروعة في الإسلام في سورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

1- قصة حرية الملائكة في الحوار مع الله سبحانه وتعالى

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(البقرة:30)

هذا شروع في ذكر فضل آدم عليه السلام أبي البشر، وبين فيه أن الله حين أراد خلقه أخبر الملائكة بذلك، وأن الله مستخلفه في الأرض، فقالت الملائكة عليهم السلام: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ بالمعاصي { وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ } وهذا بحسب ظنهم أن الخليفة المجعول في الأرض سيحدث منه ذلك، فنزهوا الباري عن ذلك، وعظموه، وأخبروا أنهم قائمون بعبادة الله على وجه خال من المفسدة ، فقالوا:﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ أي: ننزهك التنزيه اللائق بحمدك وجلالك، {وَنُقَدِّسُ لَكَ} أي: نطهر لك بالأخلاق الجميلة، كمحبة الله وخشيته وتعظيمه، ونطهرها من الأخلاق الرذيلة. قال الله تعالى للملائكة: {إِنِّي أَعْلَمُ} من هذا الخليفة ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ لأن كلامكم بحسب ما ظننتم، وأنا عالم بالظواهر والسرائر، وأعلم أن الخير الحاصل بخلق هذا الخليفة، أضعاف ما في ضمن ذلك من الشر فلو لم يكن في ذلك، إلا أن الله تعالى أراد أن يجتبي منهم الأنبياء والصديقين، والشهداء والصالحين، ولتظهر آياته للخلق، ويحصل من العبوديات التي لم تكن تحصل بدون خلق هذا الخليفة، كالجهاد وغيره، وليظهر ما كمن في غرائز بني آدم من الخير والشر بالامتحان، وليتبين عدوه من وليه، وحزبه من حربه، وليظهر ما كمن في نفس إبليس من الشر الذي انطوى عليه، واتصف به، فهذه حكم عظيمة، يكفي بعضها في ذلك ثم لما كان قول الملائكة عليهم السلام، فيه إشارة إلى فضلهم على الخليفة الذي يجعله الله في الأرض، أراد الله تعالى، أن يبين لهم من فضل آدم، ما يعرفون به فضله، وكمال حكمة الله وعلمه. [1]

ولكن الذي يستوقفنا في هذا الحوار ليس اعتقاد الملائكة وتصورهم عن ما سيقوم به هذا الخليفة ولا عن ذلك الدليل العملي الذي قدمه المولى لهم اثباتاً لعدم علمهم، إنما الذي يستوقفنا هذا الكم من الحرية التي تمتعت به الملائكة في حوارها مع المولى سبحانه وتعالى. فقد قالت الملائكة وعبرت عما يجول بدواخلها، ولم تكتمه، بل وصاغته على شكل استفهام (**أتجعل فيها**) وهو استفهام يفيد التعجب ولا يكون هذا منهم إلا لأن الله سبحانه وتعالى قد عودهم أن يعبروا عما بدواخلهم في حضرة المولى، وما تجرأوا على قول هذا إلا وهم يعلمون أن المولى سبحانه يستنطقهم ليظهروا ما بدواخلهم وهو سبحانه وتعالى أعلم به منهم .

([1]) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص48 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهنا يجب أن نقف طويلاً متأملين لهذا المنهج القرآني الفريد، فالملائكة تقول ما في داخلها في حضرة المولى، وإبليس عليه اللعنة يستنطق فيعبر عما بداخله في مشهد حواري، والهدهد يحاور سليمان عليه السلام في حرية تامة، فإذا كان هذا الجو من الحرية يكون في حضرة المولى، فكيف لا يكون بين البشر أنفسهم؟! ومنذا الذي يسلب هذا الحق منهم؟!

إنه منهج قرآني فريد ينتصب أمامنا ليعلمنا أن الأفكار يجب ألا تظل حبيسة، وأن على صاحبها أن يمتلك الحرية في التعبير عنها حتى وإن كانت غير مطابقة للواقع وغير صحيحة، فإنها إذا خرجت وعبر عنها بحرية فإن الأدلة والبراهين الناصعة سوف تزهقها، أما إذا ظلت حبيسة في الصدور فإن لها فعلاً مدمراً يعصف بصاحبها وبالمجتمع الذي يتهامس فلا يحرك شفتيه.

2- قصة حرية إبليس في الحوار مع رب العالمين

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الأعراف (12-18)

إن هذا النموذج من الحوارات في القرآن الكريم هو أهم النماذج حيث أن الله تبارك وتعالى يمثل الحق المطلق والخير المطلق وابليس يمثل رمز الشر المطلق والباطل المطلق وكأن الله تبارك وتعالى أراد يضع منهجاً مهماً للبشر يقضي إلى إمكانية التحاور والتفاهم بالطريقة المثلى.

ولعل هذا الحوار هو الأطول بين الله سبحانه وتعالى وإبليس ويتكرر نفسه في مواطن مختلفة من القرآن الكريم لكنه يكون بصورة أقل واصغر مما هو في المشهد القرآني السابق.

إن الله تبارك وتعالى قد أعطي إبليس الفرصة الكافية في التعبير عن نفسه وتقديم ما لديه، ويبدي رأيه فإذا كان ابليس قد حاور الله سبحانه وتعالى وكانت له الحرية في إبداء الرأي والتعبير فمن باب أولى أن يمنح الإنسان حرية الرأي والتعبير ولا يقمع الناس بسبب آرائهم وتعبيراتهم المختلفة.

إن الإسلام وهو يجعل إبداء الرأي والتعبير من أوجب واجبات المسلم، عليه أن يمارسه كلما كان لذلك مقتضى، و حذر من سلبية الإنسان وانعزاليته ، وعدم مساهمته بالرأي في شئون المجتمع، يقول النبي ﷺ : [والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم] [1] . ويدعو النبي ﷺ المسلم إلى شخصيته المستقلة ، وذلك في إبدائه للرأي ، فيقول: [لا تكونوا إمعة، تقولون : إن أحسن الناس

([1]) مسند الإمام أحمد، ج5، ص388، ح 23349.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أحسنا ، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم ،إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا ، فلا تظلموا][1] هذا وقد ضرب النبي ﷺ المثل الأعلى في حرية الرأي، وسار على ضرب النهج الصحابة الكرام وسلفنا الصالح حتى أضحت حرية الرأي سمة من سمات المجتمع الإسلامي.

فهذا سليمان الفارسي يعلن في غزوة الأحزاب عن رأيه بحفر الخندق حول المدينة، ويأخذ برأيه النبي ﷺ وينتصر المسلمون، بيد أن حرية الرأي التي منحها الإسلام للإنسان لا تكون مطلقة لا حدود لها ، ولكنها مقيدة بضوابط الشرع.

3- **ضوابط حرية الرأي وقيودها:**

قيد الإسلام حرية الرأي، بحيث لا تخرج عن الإطار العام للشريعة الإسلامية، ولا تتعدى أهدافها، ومن هذه الضوابط والقيود:

1.الاعتماد في إعلان الرأي على الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، والإعراض عن الجاهلين، قال تعالى: **(ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أحسن)** (النحل:125).

2. أن لا تصل حرية الرأي إلى نشر الأهواء والضلالة والبدع: بل يتعين على الفرد مراعاة المبادئ الإسلامية والعقيدة الإسلامية، فلا يجوز لها الطعن في الإسلام أو في رسله ، أو في عقيدته بحجة الرأي؛ فإن هذا الصنيع يجعل المسلم مرتداً يستحق العقاب ولا تشفع له حرية الرأي[2]

3. ترك المراء والمجادلة وذلك لما فيهما من إيذاء الآخرين ، قال : [أنا زعيم بيت في ربض الجنة ، لمن ترك المراء وإن كان محقاً وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مزاحاً وبيت في أعلى الجنة ، لمن حسن خلقه] [3]

4. عدم الخوض في أعراض الناس، وإذاعة أسرارهم، لما يؤدي من استهتار بالقيم الأخلاقية ، وتزيين الرذيلة والانحلال الخلقي بين أفراد المجتمع.[4]

رابعاً: حرية التمتع بالأمن

([1]) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في الإحسان،ج4، ص346، 2007. ضعفه الألباني.

([2]) الفرد والدولة في الشريعة والقانون، عبد الكريم زيدان، ص79.

([3]) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في المراء ح 1993. حسنه الترمذي

([4]) حقوق الإنسان في الشريعة والقانون، إسماعيل الأسطل، ص163.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقصد به: "أن يعيش الإنسان شاعراً بالطمأنينة على نفسه وماله، وعرضه وأهله، ويمنع الاعتداء عليه ، أو التحقير من شأنه أو تعذيبه أو اضطهاده سواء كان ذلك من الدولة ، أو من أفراد المجتمع". [1]

والأمن من أجَل النعم الإلهية على البشرية ومن أعظمها في حياة الإنسان ، وبها يمكن له ممارسة حياته ، وأداء أعماله وشئون عبادته وقوة عطائه،[2] والمتأمل في منهج الإسلام، يجده يولي هذه الحرية اهتماماً عظيماً ، حتى أن القرآن الكريم جعله بمنزلة الطعام الذي تتوقف عليه حياة الإنسان ، فقال الله تعالى ممتناً على قريش: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾(قريش:3-4) وإذا كان الطعام حاجة مادية للإنسان، فإن الأمن حاجة معنوية له.

وعندما تحدث النبي ﷺ عن ضروريات الحياة اعتبر الأمن أحد أعمدتها ، ومن ألزم ضرورياتها ، فقال في الحديث : [من أصبح آمناً في سربه ، معافى في جسده ، عنده طعام يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا][3]، ونعمة الأمن تمناها الأنبياء حيث قال الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً ﴾ (إبراهيم: 35)، وقال سبحانه على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللّهُ آمِنِينَ ﴾ (يوسف: 99) ولمكانتها بشر الله تعالى بها نبيه محمداً بدخول المسجد الحرام آمنين ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللّهُ آمِنِينَ ﴾ (الفتح: 27) وهي نعمة يحظى بها أهل الجنة قال الله تعالى:﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ﴾ (الحجر: 46) والإسلام يعتمد في منهجه إقرار الأمن على صدق الانتماء والولاء، فالله تعالى وعد بالأمن والسيادة والتمكين في الأرض لمن يلتزمون ذلك ، فقال سبحانه : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ﴾(النور:55) أما إذا انحرفت الجماعات الآمنة المطمئنة عن هدى الله تعالى ، وكفرت بأنعم الله سبحانه فقد توعدها الله عز وجل بأشد العقوبات القدرية ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ (النحل:112) فالخوف عقوبة بالغة لا تكاد تعادلها عقوبة، والأمن نعمة عظيمة لا تكاد تعادلها نعمة وقد أوجب الإسلام على الدولة حماية الفرد من الاعتداء

([1]) الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، ليوسف القرضاوي، ص226.

([2]) انظر: القيم السياسية في الإسلام، اسماعيل عبد الفتاح، ص163.

([3]) انظر: سنن البيهقي، كتاب الزهد الكبير، ج2، ص89، ح 105.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والأذى، وقيامها بتوقيع العقوبات الزاجرة على كل من يقع منه عدوان أو تجاوز أو تعد.[1] وهذا الحق يجد دليله في القرآن الكريم، ومثال ذلك:

1. قال الله تعالى: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ (البقرة: 194)

2. قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ﴾(النحل: 126)

وجه الدلالة: أن هذين النصين يؤكدان حق الإنسان في الأمن ، فلا اعتداء عليه إلا بمقدار ما اقترف من الظلم، ويقرر القرآن الكريم العقوبة التي تتناسب مع الاعتداء ، وفي هذا ضمان لحرية الإنسان في التمتع بالأمن.

"ولا يعتبر واجب الدولة في كفالتها للحرية بالنسبة لمواطنيها المسلمين فقط ، بل يمتد إلى كل من يعيش فوق أرضها من أقليات، ماداموا يلتزمون بما تعاهدوا عليه إما إذا خرجوا عن العهد، فالذنب ذنبهم"[2]، ولهذا يكون شر الأنظمة هو الذي يسلب الناس نعمة الأمن أو سعادة الطمأنينة ، فيصبح فيها الإنسان وهو لا يدري أين يمسي ؟ ويمسي وهو لا يدري أين يصبح ؟[3]

([1]) انظر: الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، ص227.

([2]) كتاب الإسلام، لسعيد حوى، ج3، ص289.

([3]) انظر: الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، يوسف القرضاوي، ص227 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث: حق الأمة في اختيار الحاكم

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ*وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:246-247)

طلب بنو إسرائيل من نبيهم أن يجعل عليهم ملكا حاكما، وأوكلوا له ذلك الأمر، ففي نظرهم أن القتال وقهر الأعداء لا يتم إلا بحاكم قوي يفرض كلمته، ويجمع الناس حوله، فاختار نبيهم طالوت ملكا عليهم، فرضي بطالوت بعض بني إسرائيل، ورفضه بعضهم، والقرآن ذكر أن بني إسرائيل قالوا: أنى يكون له الملك علينا؛ لأنهم لا بد أن يكونوا قد ظنوا أن مَلكهم سيكون من كبرائهم وقوادهم، والسر في اختيار نبيهم لهم هذا الملك أنه أراد أن تبقى لهم حالتهم الشورية بقدر الإمكان، فجعل مَلِكهم من عامتهم لا من سادتهم ، لتكون قدمه في الملك غير راسخة ، فلا يخشى منه أن يشتد في استعباد أمته.[1] وفي الآية دليل أن الرعية من حقها أن تطلب وتختار الحاكم، فقد أوكل بنو إسرائيل نبيهم ليختار لهم الحاكم ولو أجمعوا أمرهم على رجل من بينهم اكتملت فيه صفات الحاكم لتم لهم ذلك.

اختيار الأمة لحاكمها:

إن الأمة هي صاحبة الشأن في اختيار رئيس الدولة، فمن اختارته لهذا المنصب كان له الحق بالقيام بمهام رئاسة الدولة الإسلامية، ويتولى أمرها وأساس هذا الحق أن الأمة مسئولة عن تنفيذ أحكام الشرع، فقد خاطبها الإسلام بوجوب إدارة شئونها وفق الأحكام الشرعية، وقد استفاضت الأدلة من الكتاب والسنة، وكذلك فقهاء المسلمين في حق الرعية في اختيار حكامها، وسيتناول الباحث بعضا من هذه الأدلة على النحو التالي:

أ- : القرآن الكريم:

ورد في القرآن الكريم أدلة يفهم منها أن الأمة لها الحق في اختيار حاكمها، ومن هذه الأدلة إضافة إلى ما تقدم في الآيات (246-247) من سورة البقرة ما يلي:

1. قال الله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة:71) .

([1]) انظر: التحرير والتنوير، ج2، ص490

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2. وقال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾(النساء:135)

3. وقال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(المائدة:38)

وجه الدلالة: أن هذه النصوص وأمثالها تدل على أن الأمة بمجموعها هي المسئولة عن تنفيذ التشريع الإلهي، وتسيير شئون الناس جميعاً.

صور اختيار الحاكم:

أولا: صور اختيار الحاكم من القرآن:

إن اختيار الحاكم وهو ما يسمى في القرآن ولى الأمر والحاكم والملك والخليفة ونطلق عليه في عصرنا الرئيس والزعيم والسلطان والأمير والقائد- له في القرآن طريقان:

الأول: الطريق القرآني:

وهو أن يختار الله سبحانه وتعالى إنساناً ما حاكماً ومن أمثلته اختيار داود عليه السلام حيث قال تعالى ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾(ص26) واختيار طالوت على الثلة المؤمنة من بني إسرائيل التي طلبت قتال طالوت حيث قال تعالى : ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة:247) وهذا الطريق لم يعد موجوداً في واقعنا المعاصر.

الثاني: الطريق البشرى وله أشكال متعددة وهى في القرآن

أ. اختيار الحاكم لمن يخلفه:

قال تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾(الأعراف: 142) وهذه الطريقة اتبعها سيدنا موسى -عليه السلام- حينما اختار هارون -عليه السلام- خليفة له لقيادة بني إسرائيل في غيابه.

ب. اختيار القوم أنفسهم:

قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾(طه: 85)وهذه الطريقة التي ابتعها بنو إسرائيل حينما اختاروا السامري حاكماً لهم بدلاً من هارون -عليه السلام- حيث ابتدع لهم السامري دينهم الضال الممثل في عبادة العجل ولم يخرج عن الاختيار سوى هارون

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن معه وهم قلة قليلة .

ث-**الاختيار بالشورى**

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾(الشورى:38) وقد وضع الله سبحانه وتعالى لهذا الاختيار قاعدة في بداية الدولة الإسلامية وهى أن السابقين للإسلام والقتال في سبيل الله يختار الحاكم من بينهم فقط وأما من أتوا بعدهم فلا يحق لهم تولى الحكم حتى يموت كل السابقين للإسلام والجهاد وهذه هي الدرجة التي قال الله عنها: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(الحديد:10). والذي يجعلنا نقول بهذا هو أن الله ساوى بين المجاهدين جميعا بعد الفتح وقبله في الدرجة في الجنة حيث قال تعالى ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء:95)

ثالثاً : صور اختيار الحاكم من السنة :

الطريقة التي تم بها اختيار كل من الخلفاء الراشدين للحكم:

1- أبو بكر الصديق

اختير للخلافة بطريق الانتخاب حيث اختير في أعقاب بيعة السقيفة والنقاش الذي دار بين الأنصار والمهاجرين وسميت هذه الطريقة بطريقة الاختيار واطلق عليها البعض الانتخاب الاستشاري وكانت على مرحلتين : البيعة الخاصة وهي بيعة السقيفة ثم البيعة العامة التي تلتها فيما بعد في المسجد .

2- **عمر بن الخطاب**

اختير على يد أبي بكر الصديق وسميت هذه الطريقة بالعهد . إذ عهد إلية أبو بكر بالخلافة من يعده وذلك بعد أن استشار أبو بكر كبار الصحابة (أصحاب الحل والعقد)

3) **عثمان بن عفان**

حسب طريقة الشورى إذ عين الخليفة عمر وهو على فراش الموت مجلسا استشاريا مكونا من ستة أشخاص وابنه عبد الله سابعهم شرط ألا يكون مرشحا (عثمان بن عفان ، علي بن أبي طالب ،عبد الرحمان بن عوف ، سعد بن أبي وقاص ، طلحة بن عبيد الله ، الزبير بن العوام) وعهد إلى المجلس باختيار الخليفة وبهذه الطريقة اختير عثمان ثالث الخلفاء الراشدين .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4) **علي بن أبي طالب :**

اصبح خليفة بطريقة الاختيار حيث بايعه قتلة عثمان بعد مقتل عثمان مبايعة، ولقد منحت الحضارة الإسلامية أفضل الطرق والوسائل وأعدلها لكيفية اختيار الخلفاء والأمراء، وهذه السبل هي مما تفرَّدت به الحضارة الإسلامية عما سواها من الحضارات السابقة واللاحقة عليها، فأُولَى الآليات المبتكرة التي جاءت بها حضارتنا الإسلامية الخالدة، في مجال اختيار الخلفاء أو أصحاب المناصب العليا في الدولة الإسلامية، نجد الشورى، وليس هناك أدنى ريبة في أن الشورى مبدأ إسلامي خالص، ولأهمية قضية الشورى في الحضارة الإسلامية والإنسانية، فقد أفردت لها مطلباً مستقلاً.

ثانياً: حق الأمة في مراقبة الحاكم:

من حق الأمة مراقبة الحاكم في تصرفاته وحكمه، ومدى تنفيذه لأحكام الشرع، لاسيما وأن العلاقة بين الأمة والحاكم هي علاقة وكالة، ومن حق الموكِّل أن يراقب وكيله؛ ليطمئن على حسن تصرفه فيما وكل به. ومستند هذا الحق: أن الحاكم وكيل عن الأمة في تطبيق منهج الله، فإن التزم ذلك أعانته، وإن انحرف وزاغ قوَّمته، إذ إن الأمة مكلفة شرعاً بتغيير المنكر، ويدل على ذلك:

قول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران : 110)

وقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج :41)

وجه الدلالة: يدل هذان النصان على وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر على الأمة، إذ إنها مُنحت صفة الخيرية إلا بهما، وأن الذين مكنهم الله في الأرض يحملون رسالة الإصلاح والتغيير.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: حق الأمة في عزل الحاكم:

إن الأمة هي التي تختار الحاكم لتنفيذ شرع الله وتصريف شئونها، ومن يملك حق الاختيار والتعيين يملك حق العزل، وأساس هذا الحق يستند إلى أن الحاكم وكيل عن الأمة، وقد اختارته ليمارس السلطة نيابة عنها، فإذا خرج عن حدود وكالته، أو قصر، فقد حقّ للأمة عزله واختيار سواه، ويمكن أن تمارس الأمة حقها في عزل الحاكم بواسطة ممثليها، وهم أهل الحل والعقد، وذلك بسحب الثقة عنه، وذلك إذا عجز عن القيام بالمهام، أو خرج في حكمه عن كتاب الله، وقهر وظلم.[1] " فالسلطان الظالم عليه أن يكف عن ولايته وهو إما معزول أو واجب العزل ... وهو على التحقيق ليس بسلطان"[2]

وقد لا يستجيب الحاكم لقرار عزله الصادر عن ممثلي الأمة، وفي هذه الحالة يجوز للأمة استعمال السبل المشروعة لتنحيته من منصبه إذا وجد المبرر الشرعي مثل: خروجه السافر عن نهج الإسلام وأحكامه مما يعد كفراً في نظر الإسلام[3] ويؤيد ذلك ما روى عبادة بن الصامت قال : [دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه، فكان مما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا مكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، قال إلا إن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان][4] بيد أن حق الأمة في عزل الحاكم الذي خولها الشرع به ليس مطلقاً في كل الأحوال، ولكنه مقيد بتحقيق المصلحة العامة، وأن لا يترتب عليه نتائج تشكل خطراً على الأمة المسلمة، فعزل الخليفة بسبب يوجبه نوع من النهي عن المنكر فيخضع لقواعده، ومن قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن لا يكون العمل على إزالة المنكر مستلزماً أو مفضياً إلى وقوع منكرا أعظم منه. [5]

الأسباب الموجبة لعزل الحاكم:

السبب الأول: الردة:

وقد حدد العلماء ما يوجب ارتداد الإمام عن دين الإسلام؛ كأن يقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، أو كذب صريح القرآن الكريم، أو فسر القرآن الكريم على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو قام بعمل لا يحتمل تأويلاً غير الكفر.[6] وكذلك الأمر إذا أنكر السنة النبوية، أو افترى على الله والرسول وأصر على ذلك، أو أحل حراماً، أو حرم حلالاً، أو استحل شرعاً غير شرع الله معتقداً أنه مثل الشرع المنزل أو أفضل منه، أو استخف

([1]) أصول الدعوة ، لعبد الكريم زيدان ، ص206

([2]) إحياء علوم الدين ، لمحمد الغزالي،ج2 ، ص154

([3]) انظر: الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية ، لزيدان، ص51

([4]) صحيح مسلم، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء ، ح 1709

([5]) انظر: مجموعة الفتاوى ، لابن تيميه 28/129-130.

([6]) رسالة التعاليم للإمام حسن البنا ، الأصل العشرين من أصول الفهم ، ص11.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بما نزل على محمد ﷺ، أو استهزأ به، أو غير ذلك مما يجعله كافراً مرتداً يستوجب عزله ويستحل دمه بلا نزاع في ذلك. [1] ويؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(الشورى:21) وقوله تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ (يونس: 59)

السبب الثاني: ترك شريعة من شرائع الله:

إذا ترك الإمام شريعة من شرائع الله كالصلاة والزكاة والصوم والحج فلم يعمل بها، أو دعا إلى تركها، فإن ترك هذه الشريعة جحوداً فقد كفر، وارتد عن الإسلام، ودخل في حكم الردة السابق، المستوجب لعزله من الإمامة، واختيار إمام سواه، يكون أفضل المستحقين لهذا المنصب، كما وجب محاربته بالسلاح وقتله، والاتفاق على قتله كافراً مرتداً ثابت[2] وإن كان تركه لهذه الشريعة تهاوناً وهو مقر بها غير جاحد لها، فقد ارتكب معصية كبيرة من الكبائر، ويقتل حداً لا كفراً عن فعله عند بعض العلماء، والبعض قال: يقتل كفراً لا حداً[3]

السبب الثالث: الحكم بغير ما أنزل الله:

كذلك إذا ترك الإمام الحكم بما أنزل الله، وحكم بشرع غير شرع الله، فإن كان جاحداً لشرع الله المنزل، وأخذ بحكم الطاغوت، فهو كافر مرتد عن الإسلام بالاتفاق، وكذا إذا اعتقد أن الحكم بغير ما انزل الله هو أفضل من الحكم بما أنزل الله، فقد كفر كفراً بواحاً لا نزاع فيه،[4] وإن كان مقراً بحكم الله وشرعه؛ إلا أنه حكم بشرع آخر ما أنزل الله به من سلطان، ولم يعتقد أنه خير من شرع الله تعالى؛ وإنما فعل ذلك بدافع الشهوة والهوى ويعلم انه ارتكب معصية تستوجب عقابه، كان عاصياً فاسقاً غير خارج عن ملة الإسلام ومن الأدلة على ذلك: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾(المائدة:44) قال جماعة من السلف: ليس بالكفر الذي ينقل عن الملة كالكفر بالله واليوم الآخر وملائكته وكتبه ورسله وإنما هو كفر دون كفر" [5] "وهذا محمول على من أقر بالحكم بما أنزل الله وتركه عمداً، أو جار وهو يعلم، فهو من

([1]) انظر: أضواء البيان ، للشنقيطي ، ج7 ، ص162.

([2]) انظر: السياسة الشرعية ، لابن تيمية ، ص129.

([3]) انظر: المرجع السابق والصفحة.

([4]) أضواء البيان ، ج7 ، ص162.

([5]) الإيمان، لابن تيمية، ص310.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكافرين، بمعنى أنه ظالم فاسق، بخلاف من جحد بالحكم بما أنزل الله فهو كافر مرتد خارج عن ملة الإسلام" [1].

الخاتمة:

لقد كان القصص القرآني زاخراً بالتركيز على مبدأ الشورى وهو مبدأ أصيل سبق به الإسلام غيره من الديانات والحضارات وهو دعامة مهمة لاستقرار نظام الحكم الإسلامي وبقائه قوياً متماسكاً والتفاف الأمة حول قائدها.

لقد امتازت الشورى في الإسلام بالشمول حيث لا يقتصر ذلك على حق الأفراد في المشاركة في القرار الملزم الصادر عن الجماعة ، بل تتجاوز ذلك إلى المشورة الاختيارية واستشارة أهل الخبرة لقد درج الكثيرون على اعتبار الشورى مبدأ يقوم عليه نظام الحكم ، بينما يجب اعتبارها نظرية عامة شاملة تقوم عليها حرية الأفراد ، وحقوق الشعوب ، وتضامن المجتمع.

تجلى مبدأ الحرية واضحاً في ثنايا القصص القرآني الكريم ولقد كشفت السياقات المختلفة في النصوص القرآنية التي تضمنها القصص عن مستويات متقدمة جداً في مسألة الحرية تجعل الأمة أحوج ما تكون إلى ترسيخ هذا المبدأ بين الناس والتخلق به كمكون جوهري من مكونات الثقافة الإسلامية المعاصرة.

([1]) انظر: المرجع السابق والصفحة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

قضايا اجتماعية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: العدل.

المطلب الثاني: العنف.

المطلب الثالث: الإشاعة.

المطلب الرابع: المرأة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

قضايا اجتماعية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: العدل.

المطلب الثاني: العنف.

المطلب الثالث: الإشاعة.

المطلب الرابع: المرأة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث
قضايا اجتماعية

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ* فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة:72-73).

هذه الآيات تناولت قضية اجتماعية من قضايا المجتمع في عهد بني إسرائيل، وهي قضية تتكرر في المجتمعات إلى يوم القيامة، ولا غنى لأي مجتمع عن الاهتداء للحلول المناسبة، فإذا كانت القصة كشفت من هو القاتل، فإنها كشفت عن حلول لعلاج قضية إيمانية في المجتمعات كلها، وهي قضية إنكار البعث عند الجاحدين، وإثبات البعث عند المتشككين، وترسيخه عند المؤمنين، فكان الخطاب من الله لعباده المؤمنين، واحتجاج منه على المشركين المكذبين بالبعث، وأمرهم بالاعتبار بما كان منه جل ثناؤه من إحياء قتيل بني إسرائيل بعد مماته في الدنيا. فقال لهم تعالى: أيها المكذبون بالبعث بعد الممات، اعتبروا بإحيائي هذا القتيل بعد مماته، فإني كما أحييته في الدنيا، فكذلك أحيي الموتى بعد مماتهم، فأبعثهم يوم البعث.[1] والقصص القرآني عالج كثيرا من القضايا الاجتماعية وقدم الحلول لها، وقد حرص الباحث أن يتناول بعض القضايا المهمة التي تهم المجتمع.

المطلب الأول: العدل

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة:8)

الخطاب للمؤمنين بأن تنشط للقيام بالقسط حركاتكم الظاهرة والباطنة، وأن يكون ذلك القيام لله وحده، لا لغرض من الأغراض الدنيوية، وأن يكونوا قاصدين للقسط، الذي هو العدل، لا الإفراط ولا التفريط، في أقوالهم ولا أفعالهم، وأمرهم أن يقوموا بذلك على القريب والبعيد، والصديق والعدو، وأن لا يحملنكم بغض على عدم العدل، كما يفعله من لا عدل عنده ولا قسط، وأمرهم كما يشهدون لوليهم، فليشهدوا عليه، وكما يشهدون على عدوهم فليشهدوا له، ولو كان كافرا أو مبتدعا، فإنه يجب العدل فيه، وقبول ما يأتي به من الحق، لأنه حق لا لأنه قاله، ولا يرد الحق لأجل قوله، فإن هذا ظلم للحق.[2]

([1]) انظر: جامع البيان، ج2، ص232.

([2]) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص224.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً: تعريف العدل ومشتقاته

العدل: من مادة عدل ضد الجور، وهو ما قام في النفوس أنه مستقيم، يقال: عدل الحاكم في الحكم يعدل عدلاً وهو عادل من قوم عدول [1] قال تعالى﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ..﴾(النحل:90) "والعدل أصلة التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط فمن جانب الإفراط والتفريط فقد عدل"[2].

وعلى هذا فإن العدل وضع كل شيء في موضعه اللائق به من غير زيادة ولا نقصان، وبذلك يتم إيصال كافة الحقوق لأصحابها كاملة، وتتحقق استقامة الأمور كلها على الوجه المطلوب.

وردت مادة العدل في القرآن الكريم في سبعة وعشرين موضعاً، أما لفظ القسط بمعنى العدل فقد ذكر في ثلاثة وعشرين موضعاً.[3] ومن مرادفات العدل في القرآن: القسط والحق.

1. **القسط:** وهو أصل صحيح يدل على معنيين متضادين وهما: القسط بكسر القاف: وهو العدل، ويقال منه أقسط يقسط مقسط ومنه قوله تعالى:﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(الحجرات:9). والقسط بفتح القاف: وهو الجور، والقسوط بضم القاف: العدول عن الحق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾(الجن:15) وهم الجائرون.[4]

2. **الحق:** وهو نقيض الباطل ويطلق إطلاقاً شائعاً على الفعل أو القول الذي هو عدل وإعطاء المستحق ما يستحقه وهو حينئذ مرادف للعدل ومنه قوله تعالى: ﴿ .. خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾(ص22).[5]

معنى العدل عند المفسرين

الأصل في العدل قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾(النحل:90) وقد تعددت أقوال المفسرين في تفسيرهم للعدل نذكر منها:

* التوحيد: "أي شهادة أن لا إله إلا الله [6] قاله ابن عباس رضي الله عنهما ، وفي رواية له أنه خلع الأنداد" [7] "ومنه أيضاً أنه الحق" [8].

([1]) انظر: لسان العرب، لأبن منظور ، ج 11، ص430.

([2]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،لأبي السعود، ج5، ص136

([3]) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، فؤاد عبد الباقي، ص192،691.

([4]) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج5 ص86

([5]) انظر: لسان العرب لابن منظور، ج10، ص49

([6]) فتح القدير، للشوكاني، ج3، ص 189.

([7]) لباب التأويل،ج 4،ص 110.

([8]) زاد المسير، لابن الجوزي، ج 4 ،ص483

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

* الإنصاف: وإليه ذهب علي بن أبي طالب رضي الله عنه [1]

* استواء السريرة والعلانية في العمل لله تعالى: قاله سفيان بن عيينة [2]

* القضاء بالحق: ذكره الماوردي [3]

*:الفرض "العدل هو كل مفروض من عقائد وشرائع في أداء الأمانات ، وترك الظلم، والإنصاف ، وإعطاء الحق" [4]

ثانياً: أدلة العدل من القرآن الكريم:

1 . قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد :25) ما يلفت الانتباه في هذه الآية الكريمة هو أن الله تعالى كما أرسلَ الرسلَ لهداية العالمين، فقد أنزل العدل كذلك مع رسله عليهم السلام، فكانت قيمة العدل موازنة لقيمة الرسالة والهداية، فمنذ أن خلق الله تعالى آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها سيبقى ميزان العدل في عمومه واجباً من واجبات ورثة الأنبياء، كما كان واجبا من واجبات الأنبياء عليهم السلام.

وهذا الميزان الذي أنزله الله في الرسالة هو الضمان الوحيد للبشرية من العواصف والزلازل والاضطرابات والخلخلة التي تحيق بها في معترك الأهواء ومضطرب العواطف ، ومصطخب المنافسة وحب الذات . فلا بد من ميزان ثابت يثوب إليه البشر ، فيجدون عنده الحق والعدل والنصفة بلا محاباة.{ليقوم الناس بالقسط} فبغير هذا الميزان الإلهي الثابت في منهج الله وشريعته، لا يهتدي الناس إلى العدل، وإن اهتدوا إليه لم يثبت في أيديهم ميزانه، وهي تضطرب في مهب الجهالات والأهواء[5]

2 .قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ **(المائدة:8)** والشهادة بالقسط أن تقوم بالعدل دون محاباة لقرابة، أو لمال أوجاه، فالشهادة عبارة عن إظهار الحق للحاكم ليحكم به، والقسط هو ميزان الحقوق متى وقعت المحاباة والجور لأي سبب أو عله من العلل زالت الثقة من الناس، وانتشرت المفاسد وضروب العدوان، وتقطعت روابطهم الاجتماعية، فلا يلبثون أن يسلط الله عليهم بعض عباده الذين هم أقرب إلى إقامة العدل والشهادة بالقسط، فيزيلون استقلالهم ويذيقونهم وبالهم،

([1]) انظر: فتح القدير، ج 3، ص189

([2]) انظر: زاد المسير، ج4، ص483

([3]) انظر: المصدر السابق الجزء والصفحة.

([4]) الجامع لأحكام القرآن ، ج10، ص165.

([5]) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج7 ، ص139

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتلك سنة الله التي شهدناها في الأمم الحاضرة، وشهد بها تاريخ الأمم الغابرة، ولكن الجاهلين الغافلين لا يسمعون ولا يبصرون[1].

3. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ (النساء: 58) وهذا أمر للحكام وكل من رعى رَعية أن يحكم بينهم بالعدل، والحكم بالعدل بين الناس، فالنص يطلقه هكذا عدلاً شاملاً بين الناس جميعاً، لا عدلاً بين المسلمين بعضهم وبعض فحسب، وإنما هو حق لكل إنسان بوصفه إنساناً، فهذه الصفة صفة الناس هي التي يترتب عليها حق العدل في المنهج الرباني، والأمة المسلمة قيمة على الحكم بين الناس بالعدل، متى حكمت في أمرهم، هذا العدل الذي لم تعرفه البشرية قط في هذه الصورة إلا على يد الإسلام ، وذلك هو أساس الحكم في الإسلام [2]

وكما أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالعدل أمر الناس جميعا بذلك لأن كل خطاب للرسول ﷺ هو خطاب لأمته إلا في الخصوصيات.

أمرنا الله تعالى بالعدل في القول فقال: ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾ (الأنعام: 152).

وأمرنا سبحانه بالعدل في الأحكام فقال: ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل.﴾(النساء: 58).

وأمرنا عز وجل بالعدل في الشهادة فقال﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله.﴾ (الطلاق: 2).

وأمرنا سبحانه بالتزام العدل عند الإصلاح بين الناس فقال: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات: 9).

وأمرنا عز وجل بأن نكون عادلين حتى مع الأعداء فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(المائدة:8).

العدل أساس الملك

قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾(ص:26) هذا أمر موجه إلى

([1]) انظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا ، ج6 ، ص225،

([2]) انظر: في ظلال القرآن ، ج5 ، ص689

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نبي الله داود ليحكم بالعدل، وهذا لا يتمكن منه، إلا بعلم بالواجب، وعلم بالواقع، وقدرة على تنفيذ الحق، وحذره من أن يميل مع أحد، لقرابة أو صداقة أو محبة، أو بغض للآخر، فإن انحرف فإن ذلك هو الضلال عن الطريق السوي، وإن ذلك مؤذنا بزوال ذلك الملك. [1]

تتضح أهمية العدل في الإسلام في كونه صفة من صفات الله تعالى، حيث أنه سبحانه و تعالى العدل. و يعد العدل من القيم الأساسية التي حث عليها القرآن وكررها في العديد من الآيات. و لقد فرض الله العدل على المسلمين ليشمل كل شيء في حياتهم ابتداء من العدل في الحكم إلى الشهادة و معاملة الأسرة و الزوجة و جميع الناس حتى الأعداء و الخصوم. فلقد قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء: 58). وكما يقول: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة:8) وليس العدل مقصورا على الحكم والقضاء أو على قسمة الأموال والحقوق، ولكن العدل أعم من ذلك فهو يشمل كل ما يقوم به الإنسان من الأعمال الإرادية نحو الله أو نحو نفسه أو نحو الآخرين وهو بهذا المعنى يعم العقائد والعبادات والمعاملات والآداب، وأي فضيلة أقدس من فضيلة العدل وبفضله ارتفع علم الإسلام في الأرض وانتشر نوره في الآفاق وفتحت مبادئه وأحكامه الممالك والشعوب، وقدمه الله على كثير من صفات البر والخير[2] فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى﴾ (النحل: 90).

والعدل فضيلة وهو من صفات الله تعالى لأنه منزه عن الظلم قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾ (النساء: 40)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (يونس: 44). وقال عز وجل: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ (الكهف: 49).

وقد أمر الله تعالى رسوله محمدا ﷺ أن يلتزم العدل في كل أقواله وأعماله، فقال: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (الشورى: 15). بل إن الله تعالى قد أمر رسوله بالتزام العدل في الأحكام حتى مع غير المسلمين، فقد قال ﴿فَإِن جَآؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المائدة:42).

([1]) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص711

(2) انظر: تفسير السعدي، ج1، ص224

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نموذج من تطبيق العدل في القصص القرآني

1- قصة عدل سليمان وداود عليهما السلام من القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء:78،79)

السياق يشير أنها واقعة واحده بعينها رفع حكمها إلى داود لكونه هو الملك الحاكم في بني إسرائيل وقد جعله الله خليفة في الأرض كما قال: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (ص:26)

وحاصل ما ذكره المفسرون في ذلك أن رجلين كانا على عهد داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فانفلتت الغنم فوقعت في الحرث فدمرته فاختصما إلى داود عليه السلام فقال لصاحب الحرث: لك رقاب الغنم. فقال سليمان أو غير ذلك؟ قال ما هو؟ قال يدفع الحرث إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان وتدفع الغنم إلى صاحب الحرث فيصيب من ألبانها ومنافعها حتى إذا كان الحرث كما كان ليلة نفشت فيه غنم القوم دفع الحرث إلى صاحبه ودفعت الغنم إلى صاحبها[1].

وهناك وجه آخر للقصة أن راعياً ذات ليلة بجنب كرم فدخلت الأغنام على الكرم وهو لا يشعر فأكلت القضبان وأفسدت الكرم فذهب صاحب الكرم من الغد إلى داود فقضى له بالغنم لأنه لم يكن بين ثمن الكرم وثمن الغنم تفاوت فخرجوا ومروا بسليمان عليه السلام فقال لهم كيف قضى بينكما. فأخبراه به فقال: غير هذا أرفق بالفريقين. فأخبر داود عليه السلام بقوله فعزم عليه ليبينن له ذلك. فقال: أرى أن تدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها والحرث إلى أرباب الغنم يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم أفسد ثم يترادان فيعود كل من الحرث والغنم إلى صاحبه الأول[2]

إن المتأمل في الآيتين الكريمتين وفي هذه القصة والقضية التي حكم فيهما هذان النبيان الكريمان يتبين لنا ما يلي:

1- إن حكم داود وسليمان عليهما السلام كان عن طريق الاجتهاد ولم يكن نصاً ولو كان كذلك لما اختلفا في الحكم وعليه قول الجمهور[3].

([1]) انظر: تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ج5 ، ص355 .

([2]) انظر: مفاتيح الغيب للفخر الرازي ، ج1 ، ص3155 ،

([3]) انظر: تفسير البحر المحيط، لأبي حيان ، ج6 ، ص307 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- إن دقة فقه داود وسليمان عليهما السلام في القضاء خصهما الله تعالى بشيء من التفضيل عند ذكرهما بعرض قضية حكما فيها ثم قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا . . ﴾(الأنبياء:79) ثم أثنى عليهم تبارك وتعالى بعد ذلك بذكر ما يخص كل واحد منهما فقال جل ذكره ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾(الأنبياء:79) .[1]

3- ثناء الله على سليمان عليه السلام في حكمه في هذه القضية ولذلك قال جل ذكره (ففهمناها سليمان) ففي هذا إلهام من الله له ودلالة على رجحان قوله على قول أبيه داود عليه السلام.[2]

4- يظهر مما ذكره المفسرون أن قضاء كل من داود وسليمان كان حقاً فلم يكن داود مخطئاً في حكمه وإنما لم يتضمن الأرفق بالطرفين لأنه ليس هناك تفاوت بين قيمة الغنم وقيمة الحرث الذي أفسدته ولهذا دفع رقاب الغنم إلى صاحب الحرث ومما يدلل على أن سليمان عليه السلام إنما راعي الأرفق والأصلح قوله تعالى ﴿ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا . . ﴾ ففي هذا دفع لما عسى أن يوهمه تخصيص سليمان بالتفهيم من تخطئة داود في حكمه وأن لم يحكم بالعدل فبين تعالى أنه آتى داود العلم والحكمة كسليمان وذلك يقتضي قدرته على الاجتهاد والدقة في فصل القضايا.[3]

إن ماحكم به داود عليه السلام موافق لما حكم به نبينا ﷺ فيما ماثلها من القضايا حيث جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه [أن ناقة له كانت ضارية دخلت على حائط قوم فأفسدته فكلم رسول الله ﷺ فيها فقضى أن حفظ الأموال على أهلها بالنهار وعلى أهل المواشي ما أصابت مواشيهم بالليل][4] وعليه يتبين لنا أن قضاء داود عليه السلام كان حقاً لكنه كان مجرد تعويض لصاحب الحق وهذا عدل فحسب. وقضاء سليمان عليه السلام كان حقاً أيضاً لكنه استند في حكمه إلى إعطاء الحق لذويه مع الرفق بالمحقوقين باستيفاء حقهم إلى حين فهو يشبه الصلح وفي قضاء داود أعطوا التعويض ناجزاً وهذا هو الأصل في ذلك ولو لم يرض الخصم بتأخير تسليم التعويض لكان المصير إلى حكم داود عليه السلام إذ ليست مراعاة الأرفق واجبة[5]

إن هذا الحكم الذي وقع من نبينا محمد ﷺ ومن سليمان عليه السلام مظهر من مظاهر العدل الفريدة ومبلغ دقيق في فقه القضاء حيث جمع بين العدل وحصول المصلحة مع كون الحق حاصلاً للمحق فلا مانع من الانتفاع بالغنم بإزاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير أن يزول

([1]) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج1 ، ص528 .

([2]) انظر: الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ، ج11 ، ص311.

([3]) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج3، ص530.

([4]) سنن ابن ماجه، كتاب الأحكام، باب الحكم فيما أفسدت المواشي، ح2332.

([5]) انظر: التحرير والتنوير، ج17، ص117.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملك المالك وقد تكون الغنم رأس ماله وليس له سواها فتتعطل منافعه بدفع الغنم إلى صاحب الحرث فيتضرر بذلك[1]

وقريب من هذه القضية في الدلالة على دقة فهم سليمان عليه السلام وعظيم إلهام الله له في فصل الخصومات قوله ﷺ: [بينما امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت هذه لصاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود عليه السلام، فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان ابن داود عليه السلام فأخبرتاه، فقال ائتوني بالسكين أشقه بينكما، فقالت الصغرى لا ، يرحمك الله، هو ابنها، فقضى به للصغرى][2]

إن حكم داود وسليمان عليهما السلام يجب أن يكون نموذجاً يحتذي به كل حكام الدول والمؤسسات والأنظمة حتى يحققوا العدل والمساواة ويتمثلوا بأنموذج الملك العادل والإمام العادل.

2-تحقيق الملك مع النسوة في أمر يوسف عليه السلام

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ * قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ (يوسف: 50-52)

هذه الآيات الكريمة توضح أن الملك طلب من رسوله أن يأتي يحضر يوسف إليه ليخرجه من السجن ولكن يوسف عندما جاءه الرسول امتنع عن الخروج من السجن حتى تتبين براءته التامة وقال للرسول ارجع إلى الملك واسأله عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن وما هي قصتهن فأحضر الملك تلك النسوة وسألهن الملك عن ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه وهل رأيتن منه ما يريب فبرأنه وقلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء حينئذ زال السبب الذي تتبني عليه التهمة ضد يوسف وعندها أعلنت امرأة العزيز عن الحقيقة وقالت أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين[3]

وهكذا حرص يوسف على ألاَّ يستجيب لمَنْ جاء يُخلِّصه من عذاب السجن الذي هو فيه؛ إلا إذا برئتْ ساحته براءةً يعرفها الملك.

وأراد يوسف عليه السلام بذلك أن يُحقق المَلِك في ذلك الأمر مع هؤلاء النسوة اللاتي قَطَّعْنَ أيديهن؛ ودَعَوْنَهُ إلى الفحشاء ومن عدل الملك هنا في هذا المقام أنه حقق في الأمر واستدعي

---

(1) انظر: تفسير أبي حيان، ج6، ص330.

(2) صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب بيان اختلاف المجتهدين، ح 1344.

(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ج1، ص400.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النسوة وسألهن عن ذلك وسلوك الملك يؤكد أنه حريص على يحقق العدل في المسألة ويبرئ يوسف عليه السلام.

وهكذا نجد القصص القرآني يعطينا العبرة التي تخدمنا في واقعنا المعاصر فتحقيق وسؤال الملك للنسوة بعد رفض خروج يوسف من السجن ليس للتسلية وإنما للعبرة التي تخدمنا في إدارة شئون حياتنا.

فضل العدل:

قال تعالى:﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾(الحديد:25)

العدل هو الغاية التي بعث الرسل من أجل تحقيقه بين الناس، وبالعدل تقوم حقوق الله وحقوق خلقه[1] ومن فضائله أن النبي ﷺ مدح كل من يوصف به ووعده بحسن العاقبة يوم القيامة، فقال: [سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله : أمام عادل ...][2] وقال أيضا: [... وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق ...] [3]

وبمفهوم المخالفة فإن الله يحب العدل فالعدل: ضد الظلم، وقد بين القرآن أن الله يكره الظلم، فقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾(آل عمران:57) وقد توعد الظالمين، فقال تعالى:﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً ﴾ (طه:111) وقال : ﴿ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً ﴾(الفرقان:19)

1- إن سياسة العدل تورث التمكين في الحكم والسلطة والحب في قلوب الناس للحاكم فإن العدل محمود محبوب باتفاق أهل الأرض .

2- تورث كذلك الرعب في قلوب أهل الفساد والظلم فلا يجد المعتدي المتجاوز للحد الذي يريد الفساد في الأرض إلا العذاب الرادع عند الحاكم العادل فلا يبقى هناك مطمع لإظهار الفساد في الأرض ولا مقاومة للحق والعدل ولا يجد أهل الإحسان عنده إلا الزلفى والحب والكرامة والتيسير والجزاء الحسن ويكونون عنده موضع الثقة والرعاية فيجعلهم يديرون شئون الحكم ومصالح الخلق فيقيمونها على أكمل وجه وأحسن حال فتستقيم الأمور وتصلح الأحوال أما حين يقدم أهل الفساد وينالون من الحاكم القربى والتمكين في إدارة شئون الحكم وينبذ الصالحون

([1]) السياسة الشرعية ص26

([2]) صحيح البخاري، كتاب الزكاة ، باب الصدقة باليمين، ح116.

([3]) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الصِّفَاتِ الَّتِى يُعْرَفُ بِهَا فِى الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّار ، ح2198 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المخلصون الناصحون فإنها تتصدع أركان الحكم وتتهاوى معالمه وتضعف قواه حتى يصل به الأمر إلى الزوال والاضمحلال.

3- العدل هو الصفة المثلى التي تقوم على أسسها حياة المجتمعات ويسهم في الرقي بالأمم والشعوب يقول تبارك وتعالى: ﴿ ... وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ .. ﴾(الأعراف:85) ولو تأملنا في سير التاريخ والأمم الغابرة لوجدنا أن أساس هلاكها هو بسبب الظلم للنفس والظلم للرسل وأتباعهم من المؤمنين فكان لزاماً أن يعاقبهم الله بسبب ظلمهم والله سبحانه وتعالى أوصى الأنبياء بالعدل وهم قدوات البشرية قال تبارك وتعالى ﴿ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ .. ﴾(الشورى:15).

رابعاً: الآثار السلبية لفقدان العدل:

1. ظهور الطغيان والاستبداد:

عندما يغيب صوت الحق، فلا يكاد يسمع ويعلو صوت سوى صوت الباطل، عندما ينتشر الظلم في أي مجتمع، ولا يرد ويترك الظالم دون عقاب، حينئذ سيبلغ الظلم ذروته، وسيتجاوز الظالم حده، ويظهر الطغيان والاستبداد، ليعم أفراد ذلك المجتمع، إذ إن الطغيان والاستبداد ما هما إلا نبته الظلم وثمرة غرسه.[1] " فإذا كان الظالم عاصيا، فإن الطاغية مفسد، وأي فساد أكبر من كل تلك العواقب الوخيمة التي يترك آثارها على كل ذرة للحياة، في الفرد والمجتمع، ولذلك وصف الله فرعون بالطغيان بسبب مجاوزته الظلم، والجور، ولقد أرسل الله له موسى عليه السلام فقال تعالى: ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾(طه: 24) أي عصى وتكبر وكفر وتجبر وتجاوز الحد".[2] ففرعون بظلمه وطغيانه تجاوز كل حدود الظلم فاستذل شعبه وتأله على قومه واستعبدهم ذبح الأبناء واستحل النساء وهكذا فإن كل تلك النوازل التي أنزلها على قومه ماهي إلا نتاج الظلم الذي لم يرتدع فطال أمده وقويت شوكته فاستبد بقومه يسومهم العذاب.

2. انتزاع الأمن:

إن الأمن الذي تنشده النفوس لتسكن إليه، لهو هدف بعيد المنال، في ظل فقدان العدل، وانعدام الإنصاف، وحين يسود الظلم، ويتمرد الأقوياء على المنهج الرباني، فيستبد القوي ويجور لا يراعي ضعيفاً، ولا يرحم عاجزاً، في ظل هذه الأجواء يزداد الظلم جوراً، ويتربص المظلوم بظالمه، ويتحين الفرصة لأخذ ثأره، عندها ينقلب الأمن خوفاً، ولقد ضرب الله مثلاً لتلك المجتمعات بالقرية الآمنة المطمئنة، لكنها لم تشكر الله على تلك النعم؛ بل كفرت وظلمت، قال

([1]) انظر: ديوان النهضة ، لعبد الرحمن الكوكبي ، ص83

([2]) فتح القدير، ج3 ، ص263

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾(النحل:112) إن الله يضرب المثل بقرية تحيا في اطمئنان، يأتيها الرزق من كل اتجاه، لكنها لم ترع حدود الله في هذا الرزق، ولم تعمل على استخراجه، ولم توزع عائده بما يرضى عدل الله، فجعل لأيامها مذاق الجوع والخوف، وكان هذا المذاق شاملاً لحياتها في كل التفاصيل، بحيث لا يوجد إنسان لا يشمله الجوع والخوف، وكأن الجوع والخوف لباس يضم كل عناصر حياة أهل هذه القرية . [1]

3.هلاك المجتمع

إذا سيطر الظلم، ولم يجد الظالمون من يردهم، ورضي المجتمع، ولم يرتدع الخارجون، فإن ذلك إنذاراً بقرب نهايتهم، وتحقيق وعد الله فيهم بإهلاكهم، كما اهلك الأمم السابقة لما ظلمت وجارت وطغت، قال تعالى:﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾(القمر:51) وقد يكون الهلاك الذي يحل بالظالمين بنفس الأسباب التي سخرها الله للأمم السابقة؛ كقوم نوح، أو قوم هود، أو قوم صالح، وغيرهم من الظالمين، ولقد توعد الله الخارجين عن شرعه، المارقين على أمره، بالهلاك، قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾(القصص:59) وقد يكون إهلاكها في صور أخرى؛ كالذي يحصل اليوم في المجتمعات الظالمة، من القحط والجدب، ومن المجاعات والحروب، ومن تسلط الأعداء وقهرهم، ومن الفرقة والاختلاف، وقد يتخذ أساليب أخرى، كالفيضانات المدمرة، والأعاصير المهلكة، والزلازل والبراكين المروعة، وتفشي الأمراض القاتلة، فتهلك الأمم والشعوب بسبب الظلم، وقد يكون بانقسام المجتمع إلى أحزاب متناحرة، كل فريق يفتك الآخر[2].

الخلاصة:

لقد عنى الإسلام بمبدأ العدل عناية عظيمة، وما ذلك الكم الكبير من الآيات التي تناولها القرآن الكريم في دعوته لإقامة هذا المبدأ، وأمره به، إلا دليل واضح على مكانته السامية، ونلمس هذا الأمر واضحاً كذلك في السنة النبوية المطهرة.

وفي الآثار المترتبة على القيام بالعدل، كحفظ النوع البشري واستمراره، ونمو المجتمع وازدهاره، والتمكين في الأرض، وتهيئة سبل الحياة الهانئة، وتوثيق الروابط الاجتماعية، وتحقيق الأمن، ونشوء الفرد على العزة والكرامة، وشعوره بالرضا والطمأنينة، وقيام حياته على الفضيلة، وتنمية إرادته، وتقوية دافعيته للعمل، آثارا إيجابية مترتبة على التمسك به.

([1]) انظر: تفسير الشعراوي للشيخ محمد متولي الشعراوي ، ج23 ، ص233

([2]) انظر: تفسير ابن كثير، ج6، ص247.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وما ضعف الهمم وخمود العقل وضعف الفكر وضعف المجتمع وسهولة سقوطه وظهور الطغيان والاستبداد وما يتبع ذلك من هلاك المجتمعات وفنائها إلا بسبب انعدام تحقيق هذا المبدأ ولقد اهتم المربون من المسلمين عبر العصور المختلفة بمبدأ العدل وسعوا جاهدين لإقامة موازين الحق ويظهر ذلك واضحاً في كتاباتهم وآرائهم وأقوالهم وأفعالهم .

المطلب الثاني: العنف

أولاً: تعريف العنف لغةً واصطلاحاً:

العنف لغة: العنف: الخرق بالأمر، وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق، فهو عنيف إذا لم يكن رفيقاً في أمره، واعتنف الأمر: أخذه بعنف، والتعنيف: التعيير واللوم[1].

العنف اصطلاحاً: قيل هو: " التشديد في التوصل إلى المطلوب" [2] لكن العنف يعرف بأنه: التعبير عن القوة الجسدية، التي تصدر ضد النفس، أو ضد أي شخص آخر، بصورة متعمدة، أو إرغام الفرد على إتيان هذا الفعل، نتيجة لشعوره بالألم، بسبب ما تعرض له من أذى.[3]

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾(النساء:94). المعنى: يا أيها الذين صدَّقوا الله وصدَّقوا رسوله فيما جاءهم به من عند ربهم، إذا سرتم مسيرًا لله في جهاد أعدائكم، فتأنَّوا في قتل من أشكل عليكم أمره، ولا تعجلوا فتقتلوا من التبس عليكم أمره، ولا تقدموا على قتل أحد؛ إلا على قتل من علمتموه يقينًا حربًا لكم ولله ولرسوله، ولا تقولوا لمن استسلم لكم فلم يقاتلكم، مظهرًا لكم أنه من أهل ملتكم ودَعوتكم لست مؤمنًا، فتقتلوه ابتغاء طلبَ متاعِ الحياة الدنيا، فكما كان هذا الذي ألقى إليكم السلم فقلتم له لست مؤمنًا وقتلتموه، كذلك كنتم أنتم من قبل كفارًا مثلهم فتفضل الله عليكم بإعزاز دينه بأنصاره وكثرة تُبَّاعه.([4]) وقد ورد أن أسامة بن زيد قال: [بعثنا رسول الله ﷺ سرية إلى الحرقات، فنذروا بنا فهربوا، فأدركنا رجلا، فلما غشيناه، قال: لا إله إلا الله، فضربناه حتى قتلناه، فعرض في نفسي من ذلك شيء، فذكرته لرسول الله ﷺ. فقال: من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة. قال: قلت: يا رسول الله؛ إنما قالها مخافة السلاح والقتل. فقال: ألا شققت عن قلبه حتى تعلم من أجل ذلك، أم

([1]) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ج9،ص257.

([2]) معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، ص259

([3]) انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا، قراءة نفسية اجتماعية لظاهرة العنف، (النت).

([4]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ج9 ، ص70.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا، من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة، قال فما زال يقول ذلك حتى وددت أنى لم أسلم إلا يومئذ].[1]

"وفي هذا إشارة إلى أن العبد ينبغي له إذا رأى دواعي نفسه مائلة إلى حالة له فيها هوى وهي مضرة له، أن يُذَكِّرها ما توعد الله به من تجاوز الحد، بالاعتداء على عباد الله، **فمن** خلال الآية، والحديث، رأينا شدة النهي عن العنف وعواقبه الوخيمة، وفي الآية كذلك ترغيبًا للنفس في امتثال أمر الله، وإن شق ذلك عليها".[2]

مجالات العنف [3]

اشتهرت كلمة العنف في عصرنا، وأصبحت مصطلحا شائعا مجرَّما ومذموما، ويستخدم في جميع أنحاء العالم كأداة للتأثير على الآخرين، ومنهج الإسلام يقوم على الرفق واللين لا على الشدة والعنف والغلظة، **ويشمل** العنف مجالات عدة:

- في المجال الأسري: في العلاقة بين الزوج وزوجته، وبين الوالدين والأولاد، وبين رب الأسرة وربتها.
- وفي المجال الاجتماعي: في العلاقة بين أرباب العمل والعمال، وبين الأقوياء والضعفاء بصفة عامة.
- وفي المجال التربوي: في العلاقة بين المعلمين والتلاميذ.
- وفي المجال التشريعي: في تشديد العقوبات على المجرمين حيث يتهم بعض الغربيين الحدود أو العقوبات الإسلامية بالعنف والقسوة.
- في المجال السياسي، وهو أكثر ما اشتهر العنف في عصرنا به، وهو المقصود بالحديث عند الإطلاق. وقد اشتد النكير عليه، والتجريم له في الآونة الأخيرة، وإن لم يحدده من أطلقوه وجرموه.

([1]) مسند أحمد بن حنبل: حديث أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ ج5 – ص207، ح21850 ، صححه شعيب الأرناؤوط

([2]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص194

([3]) انظر: موقع القرضاوي، الإسلام والعنف نظرات تأصيلية . www.qaradawi.net

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: العنف في ضوء القرآن

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ (إبراهيم:13- 14)

هكذا نرى أن الخير حين ينتشر في الناس؛ يغضب منه المستفيدون من الفساد والذين يعيشون عليه بالعنف؛ ويتجه تفكير المفسدين إلى ضرورة العنف مع أهل الخير والرفق واللين، وإخراج من الأرض التي يعيش المفسدون على الاستفادة من أهلها، وإنْ عَزَّتْ الأرض على خمائر الخير، فعليهم أن يعلنوا عودتهم إلى ديانة الكافرين، وهل كان الرسل الذين يُهدِّدهم أهل الكفر بالإخراج من البلاد؛ يقبلون العودة إلى ديانة الكفر؟ طبعاً لا؛ ولم يقبل الرسل تلك المُساوَمة؛ ذلك أن الحق سبحانه وتعالى يُنزِل جنود التثبيت والطمأنينة والسكينة على قلوب رُسُله والمؤمنين؛ فلا يتأثر الرسل ومَنْ معهم بمثل هذا الكلام، وهذا ما يُعبِّر عنه قَوْل الحق سبحانه في آخر الآية :

﴿ فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ﴾ وهكذا يأتي القانون السماوي بالعدل وهو إهلاك الظالمين ، وتلك قضية إيمانية باقية ودائمة أبداً.[1] ويكمل الحق سبحانه وعده لرسله ومَنْ معهم من المؤمنين : ﴿ ولنسكننكم الأرض من بعدهم ﴾ .

والعنف لم يذكر في القرآن الكريم إلا في مواطن الذم كما رأينا، والقرآن الكريم تحدث في سياق الدعوة عن التحذير منه، واجتنابه، وجعل الرفق واللين منهجا للأنبياء في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، ومعاملة الناس، حتى أن جميع الأنبياء اتبعوا منهج القرآن في دعوة أقوامهم، ومجادلتهم ومحاججتهم، قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل:125) والدعوة إلى الله بالحكمة تعني الخطاب الذي يقنع العقول بالحجة والبرهان، والموعظة الحسنة الخطاب الذي يستميل العواطف ويؤثر في القلوب ومن الملاحظ أن الله سبحانه وتعالى قدم الحكمة على الموعظة الحسنة لأنه لا يمكن أن يتأثر القلب والعاطفة إلا إذا ما تم هناك إقناع للعقل.[2]

لذلك استخدم كثير من الأنبياء الحكمة واللين والرفق في دعوة أقوامهم إلى الإسلام كما ورد في قصصهم، فكانوا دائماً يبدؤون خطابهم ودعوتهم بأسلوب يتناسب ويتناغم مع الحكمة واللين، وسنذكر نماذج لعدد من الأنبياء، كيف كان حديثهم وخطابهم مع أقوامهم.

([1]) انظر: تفسير الشعراوي، ج1، ص650.

([2]) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص452

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1. **نوح عليه السلام:** قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الأعراف:59)

2. **هود عليه السلام:** قال تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ (الأعراف:65)

3. **شعيب عليه السلام:** قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف:85)

4. **خطاب إبراهيم مع أبيه:** قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (مريم: 41-45)

5. **خطاب موسى و هارون:** فقد أمر الله سبحانه وتعالى موسى وأخيه هارون بتليين القول لفرعون الذي ادعي الربوبية والألوهية فقال تعالى: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي * اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه :42-44).

وقد استفاد الدعاة إلى الخير بما قص عليهم القرآن في علاج الأنبياء للعنف، وسلكوا طريقهم، فالمصلحون يدعون باللين والرفق استجابة لأمر القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (الإسراء: 53). فالله سبحانه أمر عباده المؤمنين أن يتحروا ــ في خطابهم لغيرهم ــ الكلمة التي هي أحسن، وليس مجرد الكلمة الحسنة، فإذا كانت هناك كلمتان أو عبارتان: إحداهما حسنة، والأخرى أحسن منها، فعلى عباده أن يختاروا التي هي أحسن.[1]

وهكذا يجب أن يتحرى المسلم الأحسن في خطابه وفي جداله، وفي دفعه لسيئة غيره، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: 34).

([1]) انظر: جامع البيان ، ج17 ص321.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القرآن الكريم لا يجيز استخدام العنف إلا عند وقوع الظلم

قال تعالى: ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا * إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾(النساء: 148-149) **وقال تعالى:** ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾(النحل:126) والمراد بالجهر، ما يبلغ إلى أسماع الناس، إذ ليس السرّ بالقول في نفس الناطق ممّا ينشأ عنه ضرّ، وتقييده بالقول لأنَّه أضعف أنواع الأذى فيعلم أنّ السوء من الفعل أشدّ تحريماً. واستثنى مَن ظُلم، فرَخَّص له الجهرَ بالسوء من القول، والتقدير: لا يحبّ الله جَهْر أحد بالسوء، إلاّ جَهْرَ من ظلم، ورخَّص الله للمظلوم الجهر بالقول السيئ، ليشفي غضبه، حتّى لا يثوب إلى السيف، أو إلى البَطش باليد، ففي هذا الإذن توسعة على من لا يمسك نفسه عند لحاق الظلم به، وقد دلَّت الآية على الإذن للمظلوم في جميع أنواع الجهر بالسوء من القول، وهو مخصوص بحيث لا يتجاوز رد المظلوم جرم ظالمه، وبما لا يؤدّي بالمظلوم إلى القذف، فإنّ دلائل النهي عن القذف، وصيانة النفس من أن تتعرّض لِحدّ القذف، أو التعزير، قائمة في الشريعة.[1] ونزلت الآية الثانية، من أجل أن رسول الله ﷺ وأصحابه، أقسموا حين فعل المُشركون يوم أُحد ما فعلوا بقتلى المسلمين من التمثيل بهم، أن يجاوزوا فعلهم في المُثْلة بهم إن رزقوا الظفر عليهم يومًا، فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآية، وأمرهم أن يقتصروا في التمثيل بهم إن هم ظفروا، على مثل الذي كان منهم، ثم حثهم بعد ذلك على ترك التمثيل، والعنف.[2] وذلك لتعزيز وتجسيد روح الإخوة بين المسلمين، والتعايش بينهم وبين غيرهم.

ثالثاً: قصة أول حالة عنف في تاريخ البشرية

قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾(المائدة:27-31)

لقد سجل القرآن الكريم أول حالة عنف حصلت في تاريخ البشرية أدت إلى إزهاق الروح الإنسانية، وهي قتل قابيل -أحد أبناء آدم عليه السلام- أخاه هابيل، ووصف حالة قابيل المتردية نفسياً وروحياً بعد أن لجأ إلى استعمال العنف ضد أخيه هابيل والقرآن الكريم في هذا

([1]) انظر: التحرير والتنوير، ج6 ص6.

([2]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ج17، ص322.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السياق يتكلم عن العنف المستعمل بطريقة سلبية ويدينه إدانة شديدة ويتكلم عن عواقبه الوخيمة مثل إزهاق الأرواح والنفوس وإلحاق الأذى بالناس أو الإفساد في الأرض، ولقد كانت أول جريمة قتل، وليس الزنا أو شرب الخمر، لهذا كان خوف الملائكة من القتل عظيم، وكانوا يخشون أن تصبح الأرض فاسدة بسفك الدماء[1] قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(البقرة:30). ولم يتصور أحد أن يقتل إنسان إنساناً آخر، من أجل شهوة بعد قصة قابيل وهابيل التي تمثل أول جريمة قتل في الدنيا، ولا شك أن الحق في الحياة حق مقدس، فلا يجوز سفك دم حرام، أو الاعتداء على إنسان بغير مسوغ، ولا سبب مشروع، لأن الإنسان صنيعة الله في هذا العالم، وكل اعتداء عليه اعتداء على فعل الله وتجاوز لحده وتحد لإرادته. لذا استنكر القرآن العظيم أول جريمة قتل حدثت في الدنيا وهي قتل قابيل أخاه هابيل[2].

قال رسول ﷺ: (ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم) [3] وقد اجتمع في فعل قابيل هذا وهذا [4] وقد وجد الجزاء العادل، المكافئ لفعله المنكر، وفي هذه العقوبة صيانة النموذج الطيب وتحفظ حرمة دمه، فمثل هذه النفوس يجب أن تعيش وأن تصان، وأن تأمن في ظل شريعة عادلة رادعة؛ لأن حاجة البشريَّة والأمة الآن إلى التشريع والأحكام الإلهية، أشد مِنْ حاجتهم إلى الطعام والشراب، لأنَّ العقاب الذي وضعه الله تعالى لكل جريمة تحدث في المجتمع، من قتل أو سرقة أو زنا، أو غير ذلك من الجرائم، لهو الحل الصحيح الذي تعالج به المشكلة والجريمة، وهذا حق الله فيه، فهو الذي خلقهم ويعلم ما في نفوسهم، ويعلم كل شيء، وإليه تُرجع الأمور. ولأنَّ الله تعالى ما أنزل الكتب، ولا أرسل الرسل، إلا لإصلاح المجتمعات الفاسدة.[5]

([1]) انظر: التفسير الوسيط، للزحيلي، ج1، ص449- 450

([2]) المرجع السابق: ج1، ص449- 450

([3]) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، باب 57 ، ح2511 ، صححه الألباني

([4]) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج3، ص92

([5]) انظر: في ظلال القرآن ، ج2، ص394.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعاً: قصة شدة موقف موسى عليه السلام مع أخيه هارون:

﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي * قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (طه:92-94)

يخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات الكريمات من أن هارون عليه السلام قد نهى قوم موسى عن عبادة العجل فكان جوابهم ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ أي: لا نترك عبادته حتى نسمع كلام موسى فيه وخالفوا هارون في ذلك وحاربوه وكادوا أن يقتلوه[1].

وحين رجع موسى عليه السلام إلى قومه ورأى ما حدث فيهم من الأمر العظيم امتلأ قلبه غيظاً وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه وبدأ يلومه قائلاً له ﴿يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ فقال له هارون بكل رفق ولين ﴿يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ وعبر بلفظ الأم مع أنه شقيقه لأبويه؛ لأن ذكر الأم ها هنا أرق وأبلغ، أي: في الحنو والعطف[2]

ومن العلامات البارزة في هذا المشهد القرآن الكريم اللين في الخطاب، واللطف، والرفق، والصفح، والسماحة ، والبر بين هارون وموسى عليهما السلام ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه:94] وذلك رغم أن المقام مقام تعنيف وغضب ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾.

إن من أبغض ما يحدث اليوم في واقعنا المعاصر افتقاد اللين واللطف والصفح الذي يجمع بين الناس حيث يتحول الخطاب والحديث والحوار إلى الشدة والعنف والسب والشتم وافتراض سوء النية بدل حسن الظن والتأويل غير المبرر للمواقف والقرارات بدل من الاعتذار وحسن التخريج فتتسمم أجواء المحبة والإخوة وتنقلب إلى صراع ونزاع وتشاحن وهذا سببه العنف والشدة .

(1) انظر تفسير ابن كثير، ج5، ص312.
(2) المصدر السابق الجزء والصفحة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامساً: دور الإسلام في مواجهة العنف:

قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً ﴾(المائدة:32) النفوس جُبلت على حبّ البقاء وعلى حبّ إرضاء القُوّة الغضبيّة، فإذا علم الشخص عند الغضب أنّه إذا قتل فجزاؤه القتل ارتدع ، وإذا طمع في أن يكون الجزاء دون القتل، أقدم على إرضاء قوّته الغضبيّة، لذلك عظم القرآن هذا الجرم، فشبه أن من قتل نفسا واحدة فكأنما قتل الناس جميعا، والمقصود من ذلك التشبيه تهويل القتل وليس المقصود أنّه قد قتل النّاس جميعاً، ألا ترى أنّه قابل للعفو من خصوص أولياء الدم دون بقية النّاس، وفي ذلك حثّ لجميع الأمّة، على تعقّب قاتل النّفس، وأخذه أينما ثقف، والامتناع من إيوائِه، أو الستر عليه، كلّ مخاطب على حسب مقدرته، وبقدر بسطة يده في الأرض، من ولاة الأمور، إلى عامّة النّاس، على أنّ فيه معنى نفسانياً جليلاً ، وهو أنّ الدافع الذي دفع القاتل للقتل، يجعله ذا نفس توشك أن تدعوه دَوْماً إلى هضم الحقوق، بحيث لو سنحت له الفرصة لقَتل، ولو دعته أن يقتل النّاس جميعاً لفعل. والمقتول لو تمكّن من القاتل لما رضي إلاّ بجزاء قاتله بمثل جرمه؛ فلا يتعجّب أحد من حكم القصاص قائلاً: كيف نصلح العالم بمثل ما فسد به ، وكيف نداوي الداء بداء آخر ، فبُيّن لهم أنّ قاتل النّفس عند وليّ المقتول كأنّما قتل النّاس جميعاً.[1]

ولقد اعتنى القرآن الكريم بنشر الأمن والأمان في المجتمع الإنساني كله، واعتنى بمحاربة كافة أشكال العنف والإرهاب؛ لأنها تتنافى مع القيم والمعاني السامية، والأخلاقيات الرفيعة، التي حث عليها القرآن في التعامل بين البشر جميعاً، مسلمين وغير مسلمين، فقال تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾(فصلت:34) ففي الآية الكريمة خطاب للنبي ﷺ أن افعل ما أمرتك به يا محمد من دفع سيئة المسيء إليك؛ بإحسانك الذي أمرتك به إليه، فيصير المسيء الذي بينك وبينه عداوة، كأنه من ملاطفتك إياه وبرّك له، وليّ حميم لك، من بني أعمامك، قريب النسب بك[2] **<u>ولقد أشار القرآن الكريم إلى وسيلتين وقائية تقي الإنسان من العنف:</u>**

الوسيلة الأولى: الانتداب لتعليم المجتمع وإصلاح الفساد:

([1]) انظر: التحرير والتنوير ، ج6 ج178.

([2]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن ، ج21، ص471،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:104) وهذا إرشاد من الله للمؤمنين أن يكون منهم جماعة متصدية للدعوة إلى سبيله، وإرشاد الخلق إلى دينه، ويدخل في ذلك العلماء المعلمون للدين، والوعاظ الذين يدعون أهل الأديان إلى الدخول في دين الإسلام، ويدعون المنحرفين إلى الاستقامة، والمجاهدون في سبيل الله، والمتصدون لتفقد أحوال الناس، وإلزامهم بالشرع، كالصلوات الخمس، والزكاة، والصوم، والحج، وغير ذلك من شرائع الإسلام، وكتفقد المكاييل والموازين، وتفقد أهل الأسواق، ومنعهم من الغش، والمعاملات الباطلة، ومن المعلوم المتقرر، وكل ما تتوقف هذه الأشياء عليه فهو مأمور به، كالاستعداد للجهاد بأنواع العدد التي يحصل بها نكاية الأعداء وعز الإسلام، وتعلم العلم الذي يحصل به الدعوة إلى الخير وسائلها ومقاصدها، وبناء المدارس للإرشاد والعلم، ومساعدة النواب ومعاونتهم على تنفيذ الشرع في الناس بالقول والفعل والمال، وغير ذلك مما تتوقف هذه الأمور عليه، وهذه الطائفة المستعدة للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم خواص المؤمنين، الفائزون بالمطلوب، الناجون من المرهوب.[1]

فاذا نجح المجتمع في تحقيق هذه الأهداف فإن مشكلة العنف سوف تقل، فالعنف يولِّد العنف، ولا بد للجهات المعنية أن تعالج هذه الظاهرة في جميع المجالات، فلا بد من تحليل العنف ومعرفة دوافعه ومعالجتها حسب طبيعتها، ويقول القرآن ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾(فصلت:34).

الوسيلة الثانية: العدل

قال تعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الحجرات:9) وهذا النص متضمن لنهي المؤمنين، عن أن يبغي بعضهم على بعض، ويقاتل بعضهم بعضًا، وأنه إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين، فإن على غيرهم من المؤمنين أن يتلافوا هذا الشر الكبير، بالإصلاح بينهم، والتوسط بذلك على أكمل وجه يقع به الصلح، ويسلكوا الطريق الموصلة إلى ذلك، فإن صلحتا، فبها ونعمت، وإن ﴿ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ أي فعلى ولاة الأمور أن يوقفوا ذلك البغي و إن اضطروا إلى قتال الفئة الباغية، وحتى لو اضطروا إلى قتل البعض منهم، وذلك لإيقاف هذا العنف الطارئ الذي طرأ على المجتمع المسلم، ﴿ فَإِنْ فَاءَتْ

([1]) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 142

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ أي: رجعت عن الفئة الباغية إلى رشدها، من فعل الخير وترك الشر الذي من أعظمه الاقتتال، ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ في الصلح، فإن الصلح، قد يوجد، ولكن لا يكون بالعدل، بل بالظلم والحيف على أحد الخصمين، فهذا ليس هو الصلح المأمور به، فيجب أن لا يراعى أحدهما، لقرابة، أو وطن، أو غير ذلك من المقاصد والأغراض، التي توجب العدول عن العدل، { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } أي: العادلين في حكمهم بين الناس وفي جميع الولايات، التي تولوها، حتى إنه، قد يدخل في ذلك عدل الرجل في أهله وعياله في أدائه حقوقهم.[1]

وهكذا نجد أن الإسلام يشجع الناس على التسامح والعفو، وهذا الاتجاه يساعد على تقوية صلابة شخصية الفرد المسلم، واستقرارها، ويقول القرآن في هذا المعنى ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى: 40) فهذه هي المبادئ الإسلامية بخصوص مشكلة العنف والتي ثبتت فاعليتها، إن الإسلام عندما يوفر قاعدة عريضة لمقاومة العنف، فإنه يكون بذلك قد حفظ حقوق الأفراد، وأكد على التزاماتهم، ويكون بذلك قد ساعد على إيجاد مجتمعا متوازنا، وقد أعلن الإسلام عن حقوق الأطفال، والوالدين، والمرأة، وحقوق الفقراء، وحقوق المرضى، وكبار السن، وكل هذه الحقوق إذا اتبعت، وأخذت ما تستحقه، من عناية واهتمام، سوف تضمن مجتمعا يتمتع بالصحة، ويخلو من الظلم والعنف والكراهية.

المطلب الثالث: الإشاعة:

أولاً: تعريف الإشاعة لغةً واصطلاحاً

1- الإشاعة لغة: الإشاعة أو الشائعة معناهما واحد، فالشائعة: الخبر ينتشر ولا تثبّت فيه، والإشاعة: الخبر ينتشر غير متثبّت منه.[2] ويقال شاعَ الشيب: أي: ظهرَ وتفرّق، وشاعَ الخبر في الناس شَيْعاً وشَيَعاناً فهو شائع: أي: انتشرَ وافترق وذاع وظهر ، وأشاع ذِكرَ الشيء: أطارَه وأظهره ، وقولهم: هذا خبر شائع وقد شاعَ في الناس ، معناه قد اتّصل بكل أحد فاستوى علم الناس به ولم يكن علمه عند بعضهم دون بعض ، والشاعة: الأخبار المنتشرة وأشَعت السرّ وشِعْتَ به : إذا أذعتَ به ورجل مِشْياع أي : مذياع لا يكتم سرّاً [3].

1- **الإشاعة اصطلاحاً:** سلاح من أسلحة الحرب النفسيّة، يتمثّل في خبر مدسوس كليّاً أو جزئياً، وينتقل شفهيّاً، أو عبر وسائل الإعلام، دون أن يرافقه أي دليل أو برهان، ويُقصد به تحطيم المعنويات.[4]

([1]) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص800

([2]) انظر: المعجم الوسيط، ج1، ص503.

([3]) انظر: لسان العرب، لابن منظورج8، ص188.

([4]) انظر: موسوعة السياسة، عبد الوهاب الكيالي، ج3، ص423.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: الإشاعة ونماذجها في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾(الأحزاب: 15)، ففي قوله: بألسنتكم، تشبيه الخبر بشخص، وتشبيه الراوي للخبر بمن يتهيأ ويستعد للقائه، استعارة مكنية، فجعلت الألسن آلة للتلقي على طريقة تخييلية بتشبيه الألسن في رواية الخبر بالأيدي في تناول الشيء، وإنما جعلت الألسن آلة للتلقي، مع أن تلقي الأخبار بالأسماع؛ لأنه لما كان هذا التلقي غايته التحدث بالخبر، جعلت الألسن مكان الأسماع مجازاً بعلاقة الأيلولة، وفيه تعريض بحرصهم على تلقي هذا الخبر، فهم حين يتلقونه يبادرون بالإخبار به بلا ترو، ولا تريث، وهذا تعريض بالتوبيخ أيضاً. وأما قوله: **(وتقولون بأفواهكم)** فوجه ذكر بأفواهكم، مع أن القول لا يكون بغير الأفواه، أنه أريد التمهيد لقوله:(ما ليس لكم به علم) ، أي هو قول غير موافق لما في العلم؛ ولكنه عن مجرد تصور؛ لأن أدلة العلم قائمة بنقيض مدلول هذا القول؛ فصار الكلام مجرد ألفاظ تجري على الأفواه.[1]

"وفي هذا من الأدب الأخلاقي، أن المرء لا يقول بلسانه إلا ما يعلمه، ويتحققه؛ وإلا فهو أحد رجلين: رجل يقول الشيء قبل أن يتبين له الأمر، فيوشك أن يقول الكذب، فيحسبه الناس كذاباً، وبحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع، أو رجل مموه مُراء يقول ما يعتقد خلافه، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ (البقرة:204) وقال تعالى: ﴿ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾(الصف:3)" .[2]

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(النور:19) لم يأتِ في القرآن الكريم ذكر صريح للإشاعة أو مشتقاتها، إلاّ مرّة واحدة في هذه الآية، بَيْدَ أنّها وردت في مفهومها الشامل وتطبيقاتها ومداليلها العديدة في الكثير من المواطن والمواقف المشهودة فمثلاً: قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾(النساء:83) لما حذر الله المؤمنين من العود إلى مثل ما خاضوا به من الإفك على جميع أزمنة المستقبل، أعقب تحذيرهم بالوعيد على ما عسى أن يصدر منهم في المستقبل بالوعيد على محبة شيوع الفاحشة في المؤمنين؛ وجُعل الوعيد على المحبة لشيوع الفاحشة في المؤمنين تنبيهاً على أن محبة ذلك تستحق العقوبة؛ لأن محبة ذلك دالة على خبث النية نحو المؤمنين، ومن شأن تلك الطوية أن لا يلبث صاحبها إلا يسيراً، حتى يصدر عنه ما هو محب له، أو يُسَر بصدور ذلك من غيره، فالمحبة هنا كناية عن

([1]) التحرير والتنوير، ج18، ص178.

([2]) المرجع السابق: ج18، ص178.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التهيؤ لإبراز ما يحب وقوعه، وجيء بصيغة الفعل المضارع للدلالة على الاستمرار، وأصل الكناية أن تجمع بين المعنى الصريح ولازمه، فلا جرم أن ينشأ عن تلك المحبة عذاب الدنيا وهو حد القذف، وعذاب الآخرة وهو أظهر؛ لأنه مما تستحقه النوايا الخبيثة.[1]

ومن أدب هذه الآية أن شأن المؤمن أن لا يحب لإخوانه المؤمنين إلا ما يحب لنفسه، فكما أنه لا يحب أن يشيع عن نفسه خبر سوء؛ كذلك يجب عليه أن لا يحب إشاعة السوء عن إخوانه المؤمنين، ولشيوع أخبار الفواحش بين المؤمنين بالصدق أو بالكذب مفسدة أخلاقية؛ فإن مما يرد الناس عن المفاسد، تهيبهم وقوعها، وتجهمهم، وكراهتهم سوء سمعتها، وذلك مما يصرف تفكيرهم عن تذكرها، حتى تنسى وتنمحي صورها من النفوس، فإذا انتشر بين الأمة الحديث بوقوع شيء من الفواحش، وتذكرتها الخواطر، ولم تجد رادعا، واستمر حدوثها، خف وقع خبرها على الأسماع، فدب بذلك إلى النفوس التهاون بوقوعها، وخفة وقعها على الأسماع، فلا تلبث النفوس الخبيثة أن تقدم على اقترافها، وبمقدار تكرر وقوعها، وتكرر الحديث عنها، تصير متداولة. هذا إلى ما في إشاعة الفاحشة من لحاق الأذى والضر بالناس، ضراً متفاوت المقدار، على تفاوت الأخبار في الصدق والكذب، ولهذا ذيل هذا الأدب الجليل بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي يعلم ما في ذلك من المفاسد فيعظكم لتجتنبوا، وأنتم لا تعلمون فتحسبون التحدث بذلك لا يترتب عليه ضر، وهذا كقوله : ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (النور:15)[2].

وهذه بعض نماذج الإشاعة في القرآن الكريم:

1 حادثة الإفلك

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ * لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (النور:11-20)

([1]) المرجع السابق: ج18، ص184. بتصرف

([2]) التحرير والتنوير ج18، ص184. بتصرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه حادثة الإفك وهي إشاعة طعنت في عرض رسول الله ﷺ، وقد هزت بيت النبوة شهراً كاملاً؛ بل هزت المدينة كلها، والمسلمين كلهم، هذه الحادثة التي كلفت الأمة المسلمة كلها أن تمر بها في أشق التجارب في تاريخها الطويل، وما واجهه النبي ﷺ في حديث الإفك، لهو حدث الأحداث في تاريخه ﷺ، فلم يُمكر بالمسلمين مكراً أشد من تلك الإشاعة، وهي مجرد إشاعة مختلقة، بين الله تبارك وتعالى كذبها، ولولا عناية الله لكانت قادرة على أن تعصف بالأخضر واليابس، ولا تُبقي على نفس مستقرة مطمئنة، وبقي المجتمع المسلم في ذلك الوقت يحترق ناراً من تلك الإشاعة ويتعذب ضميره وتعصره الإشاعة الهوجاء، حتى نزل الوحي ليضع حداً لتلك المأساة الفظيعة، وليكون درساً تربوياً رائعاً لذلك المجتمع، ولكل مجتمع مسلم إلى قيام الساعة.

والقرآن جعل الإشاعة من الأمور الشنيعة المستقبحة المستعظمة، لذلك توعد من يحبون أن تشتهر الفاحشة ﴿فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أن يكون لهم ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾عذاب موجع للقلب والبدن، وذلك لغشه لإخوانه المسلمين، ومحبة الشر لهم، وجراءته على أعراضهم، فإذا كان هذا الوعيد، لمجرد محبة أن تشيع الفاحشة، فكيف بما هو أعظم من ذلك، وهو إظهاره، ونقله؟" وسواء كانت الفاحشة، صادرة أو غير صادرة.[1]

وكل هذا من رحمة الله بعباده المؤمنين، وصيانة أعراضهم، كما صان دماءهم وأموالهم، وأمرهم بما يقتضي المصافاة، وأن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فلذلك علَّمكم، وبين لكم ما تجهلونه، وبين لكم هذه الأحكام والمواعظ، والحكم الجليلة، التي فيها من الخير الدنيوي والأخروي، ما لن تحصوه، أو تعدوه.[2]

2- إشاعة النسوة في قصة امرأة العزيز مع يوسف

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾

لما كن النساء أكثر الناس بحثا عن أسرار البيوت، وأقدر من غيرهن على فتح مغاليقها وفضح سترها، فقد صارت حادثة امرأة العزيز على ألسنتهن.

([1]) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص563 .

([2]) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص563 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذه الآيات تتحدث عن الخبر الذي أشيع واشتهر في مصر وتحدثت به النسوة عن إحدى كبريات بيوت مصر وهي امرأة العزيز فجعلن يلمنها ويقلن لها ﴿امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ وهذا أمر مستقبح أن امرأة كبيرة القدر، وزوجها كبير القدر، ومع هذا لم تزل تراود فتاها الذي تحت يدها وفي خدمتها ومع هذا فإن حبه قد بلغ من قلبها مبلغا عظيماً[1].

هذه الحادثة كانت في دائرة ضيقة لا تتعدى العزيز وامرأته ويوسف، إلا أنها سرعان ما تسربت على شكل إشاعة على شفاه أهل المدينة.

وما يلفت الانتباه لدى النسوة أن الدافع الحقيقي لإشاعة الأمر حول امرأة العزيز وانتقادهن إيّاها هو الغيرة والحسد ولم يكن نابعاً من الفضيلة ودليل ذلك أن امرأة العزيز حينما أعدت لهن طعاماً ورأين يوسف قطعن أيديهن وأعجبن بجمال يوسف عليه السلام وأقرت لهن أنها راودته وقالت لهن ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾

إن الإشاعة قديمة منذ قدم الإنسان، وقد ذكر الله تعالى نماذج من ذلك منذ فجر التاريخ، وفي الاطلاع على قصص الأنبياء مع أقوامهم، نجد أن كثيراً منهم أثير حوله الكثير من الإشاعات من قبل قومه، وقد كان لها الأثر في جعل بعض المعوقات في طريق دعوة أولئك الرسل والأنبياء.

3- إشاعة الجنون على نوح عليه السلام

فقد أثار قومه إشاعة أنه يتفضل عليهم ويتأمر وقد أشيع عنه أنه ضال﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾(الأعراف:60) وأشيع عنه أنه مجنون﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾(القمر:9)

4- إشاعة إشاعة الكذب والسفاهة على هود عليه السلام

أشاع قومه عنه السفاهة ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (الأعراف: 66) وأشاعوا عنه أنه أصيب في عقله﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾(هود: 53-54).

5- إشاعة السحر على موسى عليه السلام

موسى عليه السلام حمل دعوة ربه إلى فرعون وملئه وقومه فيملأ فرعون سماء مصر ويسمم الأجواء من حوله من كثرة الإشاعات التي أطلقها فيقول:﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ

[1] المصدر السابق: ص 396

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عَلِيمٌ* يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾(الشعراء:34-35) وقال تعالى:﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴾(طه:57)

سادساً: منهج القرآن الكريم في التعامل مع الإشاعة:

إن مجتمعنا اليوم يعاني من ترويج الإشاعات، ولكي لا تؤثر هذه الإشاعات على الإنسان المسلم والمجتمع والأمة؛ فلا بد أن يوجد منهج واضح ومحدد للتعامل مع الإشاعات، وأذكرها في خمس نقاط وهي مستنبطة من حادثة الإفك التي رسمت منهجاً محدداً لكل مسلم يتعامل فيها مع الإشاعات ومنها:

أ. أن يقدم المسلم حسن الظن بأخيه المسلم، قال الله تعالى:﴿ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾

ب.أن يطلب الإنسان والمستمع للإشاعة الدليل البرهاني على أية إشاعة يسمعها قال الله تعالى: ﴿لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء ﴾ .

ج. أن لا يتحدث بما سمعه ولا ينشره، فإن المسلمين لو لم يتكلموا بأية إشاعة، لماتت في مهدها قال الله تعالى: ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ﴾ .

د. أن يرد الأمر إلى أولى الأمر، ولا يشيعه بين الناس أبداً، وهذه قاعدة عامة في كل الأخبار المهمة، والتي لها أثرها الواقعي، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾(النساء:83).

هـ- التبين والتثبت لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾(الحجرات: 6)

المطلب الرابع: المرأة

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾(النساء: 1) جاء الخطاب بيأيُّها الناس، ليشمل جميع أمّة الدعوة الذين يسمعون القرآن يومئذ، وفيما يأتي من الزمان، فضمير الخطاب في قوله خلقكم، عائد إلى الناس المخاطبين بالقرآن، أي لئلاّ يختصّ بالمؤمنين، إذ غير المؤمنين حينئذ هم كفّار العرب، وهم الذين تلقّوا دعوة الإسلام قبل جميع البشر، لأنّ الخطاب جاء بلغتهم، وهم المأمورون بالتبليغ لبقية الأمم،[1] وبيَّن السبب الداعي الموجب لتقوى الله وصلة الأرحام، من ذلك، وهو أن الله هو من رزقكم، ورباكم بنعمه العظيمة،

([1]) التحرير والتنوير، ج4 ص214.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التي من جملتها خلقكم {مِن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا} ليناسبها، فيسكن إليها، وتتم بذلك النعمة، ويحصل به السرور، وكذلك من الموجب الداعي لتقواه، تساؤلكم به وتعظيمكم، حتى إنكم إذا أردتم قضاء حاجاتكم ومآربكم، توسلتم بها بالسؤال بالله، وفي الإخبار بأنه خلقهم من نفس واحدة، وأنه بثهم في أقطار الأرض، مع رجوعهم إلى أصل واحد ليعطف بعضهم على بعض، ويرقق بعضهم على بعض. وقرن الأمر بتقواه بالأمر ببر الأرحام والنهي عن قطيعتها، ليؤكد هذا الحق، وأنه كما يلزم القيام بحق الله، كذلك يجب القيام بحقوق الخلق، خصوصا الأقربين منهم، بل القيام بحقوقهم هو من حق الله الذي أمر به.[1]

وتأمل كيف افتتح الله هذه السورة بالأمر بالتقوى، وصلة الأرحام والأزواج عموما، ثم بعد ذلك فصل هذه الأمور أتم تفصيل، من أول السورة إلى آخرها، ونبه فيها على مراعاة حق النساء والقيام به، لكون النساء مخلوقات من الرجال، فبينهم وبينهن أقرب نسب وأشد اتصال، وأقرب علاقة.[2]

أولاً: نظرة تاريخية إلى حال المرأة قبل الإسلام:

ولقد كانت المرأة مهانة، مظلومة، مقهورة في كل بقاع الأرض حتى في بلاد العرب قبل الإسلام، حيث كانت المرأة من سقط المتاع، ليس لها حقوق وعليها من الواجبات الكثير، كانت ملكا لزوجها، ولأبنائه من بعده، وكان له أن يمتنع من وطئها، ويعلقها، ويجعلها حبيسة البيت كأي قطعة أثاث فيه، وظلت المرأة على هذا الوضع حتى جاء الإسلام، فنزل القرآن على النبي ﷺ، فرفع الظلم عن المرأة، وساوى بينها وبين الرجل في أمور، وخالف بينهما في أمور، وأخرج المرأة من سجون العادات والقوانين الأرضية إلى رحاب التشريعات الإسلامية، وأرسى القواعد الكلية التي ألغت استعباد الرجل للمرأة، وجعلتهما عضوين فاعلين في منظومة واحدة، يكمل كل منهما الآخر في إطار من المحبة والمودة والرحمة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (النحل: 58) كانَ الرجل إذا وُلدت له بنت فأراد أن يستحييها، ألبسها جبة من صوف أو شعر، تَرعَى له الإبل والغنم في البادية، وإن أراد قتلها تركها، حتى إذا بلغت ست سنوات، يقول لأمها طيّبيها وزينيها، حتى أذهب بها إلى أقربائها، وقد حفر لها بئراً في الصحراء، فيبلغ بها البئر، فيقول لها: انظري فيها، ثم يدفَعُها من خَلْفها، ويُهيل عليها التراب، حتى تستوي البئر بالأرض. وقيل : كانت الحامل إذا أقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة، فإذا ولدت بنتاً، رمت بها في الحفرة، وإن ولدت ابناً حبسته، وكانوا يفعلون ذلك، خشية من إغارة العدوّ عليهم، فيسبي نساءهم، ولخشية

([1]) انظر: المرجع السابق، ص163.

([2]) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص164

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإملاق في سني الجدب؛ لأن الذَّكر يحتال للكسب بالغارة وغيرها، والأنثى عالة على أهلها، قال تعالى: ﴿ لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء: 31).[1]

ثانياً: تكريم القرآن للمرأة:

قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾(آل عمران:195)، إنه ليس مجرد التفكر ومجرد التدبر، وليس مجرد الخشوع والارتجاف، وليس مجرد الاتجاه إلى الله لتكفير السيئات، والنجاة من الخزي ومن النار، إنما هو العمل، العمل الإيجابي، الذي ينشأ عن هذا التلقي، وعن هذه الاستجابة، وعن هذه الحساسية الممثلة في هذه الارتجافة، العمل الذي يعتبره الإسلام عبادة كعبادة التفكر، والتدبر، والذكر والاستغفار، والخوف من الله، والتوجه إليه بالرجاء، بل العمل الذي يعتبره الإسلام الثمرة الواقعية المرجوة لهذه العبادة، والذي يقبل من الجميع: ذكرانا وإناثاً، بلا تفرقة ناشئة من اختلاف الجنس، فكلهم سواء في الإنسانية – بعضهم من بعض – وكلهم سواء في الميزان فلا فرق بين رجل وامرأة[2] فربما تفوق المرأة على الرجل، فأقدس ما جاء به الإسلام للمرأة، هو أنه صان كرامتها الإنسانية، وأوضح لها شخصيتها المستقلة، وأعطاها حريتها السامية في العمل، والتملك، وإبداء الرأي، وجعلها مسئولة عن أعمالها كالرجل تماماً، **<u>والآيات التي تحدثت عن المرأة وبينت منزلتها كثيرة في القرآن منها:</u>**

1. القرآن رفع عن المرأة لعنة الخطيئة الأبدية، والوصمة التي ألصقها بها رجال الدين السابقين، فهي وآدم في المسؤولية سواء: قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا﴾(الأعراف:20) وقال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (البقرة:36)

2. احتفى القرآن بالمرأة، حيث ذم أهل الجاهلية، حيث كانوا يكرهون الإناث فقال تعالى: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾ (النحل: 58-59).

([1]) انظر: التحرير والتنوير، ج30 ص145.

([2]) في ظلال القرآن ج2 ص32.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3. ساوى القرآن بين الرجل والمرأة في النسب الإنساني البشري: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (النساء:1).

4. ساوى بين الرجل والمرأة في العمل والجزاء، والواجبات الدينية، قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ (آل عمران:195) ، وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:97).

5. للمرأة ذمة مالية مستقلة عن زوجها وأهلها: قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ (النساء:32) وقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة:228).

6. فرض القرآن على الزوج مهراً يدفعه لزوجته، وهي حرة التصرف فيه، وفرض عليه كذلك النفقة عليها، وذلك بحسب حاله، يسرا أو عسراً. قال تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً﴾ (النساء: 4).

7. حذر القرآن الأزواج من الإضرار بزوجاتهم، وأمرهم بعشرتهن بالمعروف، أو بمفارقتهن بالمعروف، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ (البقرة:231).

ثالثاً: نماذج في القصص القرآني

1. قصة مريم بنت عمران:

قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ (التحريم:12). أي: صانته وحفظته عن الفاحشة، لكمال ديانتها، وعفتها، ونزاهتها. ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ بأن نفخ جبريل عليه السلام في جيب درعها، فوصلت نفخته إلى مريم، فجاء منها عيسى ابن مريم عليه السلام، الرسول الكريم والسيد العظيم. {وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ} وهذا وصف لها بالعلم والمعرفة، فإن التصديق بكلمات الله، يشمل كلماته الدينية والقدرية، والتصديق بكتبه، يقتضي معرفة ما به يحصل التصديق، ولا يكون ذلك إلا بالعلم والعمل، ولهذا قال: ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ أي: المطيعين لله، المداومين على طاعته، بخشية وخشوع، وهذا وصف لها بكمال العمل، فإنها رضي الله عنها صديقة، والصديقية: هي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كمال العلم والعمل.[1] ولعل نموذج مريم عليها السلام هو النموذج الأول الذي يتبادر إلى الذهن في هذا المجال، نظراً إلى ذلك الاهتمام المكثف، الذي أولاه الخالق تعالى لها في القرآن الكريم، من خلال العدد الكبير من الآيات التي خصصها للحديث عنها، حتى أنه أطلق اسمها على سورة من سوره. وقد أشاد القرآن الكريم بعفة هذه المرأة وطهارتها، وتقواها، في آيات كثيرة؛ بل وفي جميع الآيات التي تحدثت عنها، إلى درجة أنه رفعها إلى مستوى التفضيل المطلق على نساء أهل زمانها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾(آل عمران:42) وحتى أن قدسيتها وطهارتها ارتفعتا إلى مستوى النفخ فيها من روح الله: قال تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(الأنبياء:91) وذلك يثبت لنا أن المرأة كإنسان تمتلك من القدرات، والمواهب، والاستعدادات، ما يجعلها تغدو مثالاً للطهر والتعفف، والنزاهة، تماماً كما هو الحال في الرجل، وقد طلب الله منها أن تحفظ هذه النعمة عليها فقال تعالى: (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ)(آل عمران :42–43). وهذا إخبارٌ مِن الله تعالى بما خاطبَتْ به الملائكةُ مريم عليها السلام، عن أمْر الله لها بذلك، أنَّ الله قد اصطفاها، واختارها لكَثْرة عبادتها وزهادتها، وشرَّفها، وطهَّرها من الأكدار والوساوس، واصطفاها ثانيًا مرَّة بعدَ مرَّة؛ لجلالتها على نِساء العالمين.[2]

2. قصة امرأة فرعون:

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(التحريم:11) " وهي آسية بنت مزاحم رضي الله عنها وقد وصفها الله تعالى، بالإيمان والتضرع لربها، وسؤالها لربها أجل المطالب، وهو دخول الجنة، ومجاورة الرب الكريم، وسؤالها أن ينجيها الله من فتنة فرعون وأعماله الخبيثة، ومن فتنة كل ظالم، فاستجاب الله لها، فعاشت في إيمان كامل، وثبات تام، ونجاة من الفتن" .[3]

يثبت لنا القرآن الكريم من خلال هذا النموذج أن المرأة خلافاً لما أشيع عنها من أنها تمثل كائناً ضعيفاً منقاداً للتأثيرات المختلفة، من الممكن أن تكون على العكس من ذلك نظيراً للرجل في قوة الإرادة، واستقلالية التفكير، وعدم الخضوع لأي تأثير يتنافى مع قناعاتها ورؤاها، بل هي ند للرجل في الجهاد والكفاح وتحمل المصائب في سبيل هذه القناعة.

---

[1]) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص 874

([2]) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج2، ص39.

([3]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج1، ص874.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتعد امرأة فرعون أنموذجاً كاملاً في هذا المجال :﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ﴾(التحريم:11) ومن الجميل والروعة أن القرآن الكريم ذكر في القصة نفسها أي قصة موسى عليه السلام مع فرعون رجلاً هو مؤمن آل فرعون قام بنفس الدور الذي قامت به امرأة فرعون: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾(غافر:28) وكأنه أراد أن يلفت انتباهنا أن المرأة من الممكن أن تناظر الرجل وتنافسه في هذا المجال، وأنها تمتلك من القدرات والاستعدادات ما يجعلها تحكّم تفكيرها وعقلها فيما يعرض عليها من أمور، ثم تختار بعد ذلك الأصح والأصلح على ضوء ذلك التفكير ،ومن ثم تجاهد وتصمد وتقاوم في سبيل تلك القناعات.

3. قصة حكم بلقيس:

قال تعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ (القصص 20-23)

يقول الله تعالى مخبراً عن قول الهدهد لسليمان أنه وجد بلقيس امرأة تملك القوم وهي ملكة سبأ حيث إن سليمان كان لا يرى أن في الأرض أحداً له مملكة معه ولكن تفاجأ بمملكة سبأ وأنها أوتيت مما يؤتاه الملوك[1].

إن ذكر قصة بلقيس في القرآن الكريم تخليد لها حيث إن بلقيس لم تكن امرأة عادية وإنما كانت ملكة تقود الناس وتوجههم وهذا تقدير للمرأة في كل زمان ومكان لأنها تشرفت بذكر هذه القصة في أعظم كتاب على وجه الأرض القرآن الكريم وحكم هذه المرأة يؤكد أن الإسلام أنصف المرأة وكرمها أعظم تكريم وليس كما يدعي البعض أن المرأة مظلومة ومسحوقة في المجتمع ومحرومة من الحقوق وهذا في مجمله وتفصيله يصب في منبع واحد ألا وهو أن الملكة بلقيس كان لها شأن عظيم جعل قصتها مع النبي سليمان تذكر في القرآن الكريم.

إن كثيراً من القصص المذكورة في القرآن عن أقوام لم يؤمنوا برسلهم، وظلوا على كفرهم على الرغم مما جاءهم من العلم إلا أن هذه المرأة وقومها آمنوا برسول الله سليمان عليه السلام ولم يتمادوا في الكفر، وخاصة بعدما علموا أن رسالته هي الحق واعترفت هذه الملكة

(1) تفسير الطبري: ج14، ص446.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رغم موقعها المتقدم بين الناس بأنها كانت ظالمة لنفسها بعبادتها لغير الله حينما قالت ﴿ربي إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ .

رابعاً: القدرة العقلية للمرأة

هذه هاجَرُ عليها السلام في رُجْحان عقلها وثَبات جأْشها، وامتثالها لأوامر ربِّ السماء، حتى لتقرأ أفكارَ زوجها قبْل أن ينطقَ بها قائلةً له: "آلله أمرَك بهذا؟"، وبصبر تلك المرأة وقوَّة تَوكُّلِها على الله عزَّ وجلَّ واحتسابها، تَفجَّرتْ ينابيعُ الخير في صحراءَ قاحلة، لا إنسَ فيها ولا خبر؛ لينسلَّ من هذه الأُمِّ أُمَّة بأَسْرها، ولتكون الأرْض المقدَّسة التي يَفِدُ إليها ملايينُ البشر على مدار الأزمان، يضاعف فيها الأَجْر ويفرض بها أحد أرْكان الإسلام، وليخلد ذِكْر هاجَر العاقلة، كلَّما سعَى ساعٍ بيْن الصفا والمروة، أو طعم مِن ماء زمْزم.

إنَّ إسناد مثْل هذه المهمَّة المحورية لامرأةٍ دون وصْلها بأيِّ مساعد أو كفيل، وجَعْلها العائلَ الرئيسي لطفلٍ رَضيعٍ، بعد أن تركَها زوجُها وحيدةً، يجعلنا نعِي بجلاء مدَى ثقة الإسلام في عقليةِ المرأة، وفي قُدراتها وإمكانياتها، وفي فِكرها الناضِج الذي تفاعل مع الأَزْمة بصورةٍ عمليَّة واقعية، ولَم يكن مجرَّدَ شذرات أقلام على ورق بالٍ، أو صرَخات عاطفية خدَّاعة.

إنَّ عقلَها لَم يُرجِّح العاجلةَ على الآجِلة، ولم يؤثرِ الذاتَ على الغَيْر، إنَّه أنموذج لعقلية وافِرة بالعطاء والتضحية، واليقين بالله والاتِّزان، والصبر والتوكُّل، قلَّما تجده في عالَم الرِّجال

خامساً: نماذج للمرأة في القصص القرآني

الوقت الذي قدم فيه القرآن الكريم نماذج إيجابية للمرأة ، فإنه عرض نماذج شريرة سلبية لها، نذكر بعضاً منها فيما يلي:

1- امرأت نوح وامرأة ولوط :

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾(التحريم:10). " أي: المرأتان، وهما زوجة نوح عليه السلام، وزوجة ولوط عليهما السلام{فَخَانَتَاهُمَا} في الدين، بأن كانتا على غير دين زوجيهما، وهذا هو المراد بالخيانة، لا خيانة النسب والفراش، فإنه ما بغت امرأة نبي قط، وما كان الله ليجعل امرأة أحد من أنبيائه بغيًا، ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا﴾ أي: نوح ولوط ﴿عَنْهُمَا﴾ أي: عن امرأتيهما {مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ} لهما ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ ".[1]

([1]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص874

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" فبيت لوط كان كله من المسلمين، ولم يكن كله من المؤمنين، فلذلك لم ينج منهم إلا الذين اتصفوا بالإيمان والإسلام معاً، والوجدان في قوله:(فما وجدنا) مراد به تعلّق علم الله تعالى بالمعلوم بعد وقوعه، وهو تعلق تنجيزي، ووجدان الشيء إدراكه وتحصيله، ومعنى (وتركنا فيها آية): أن القرية بقيت خراباً لم تعمر، فكان ما فيها من آثار الخراب آية للذين يخافون عذاب الله، قال تعالى: (وإنها لبسبيل مقيم)، أو يعود الضمير إلى ما يؤخذ من مجموع قوله:﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾(الذاريات: 32) على تأويل الكلام بالقصة، أي تركنا في قصتهم، والترك حقيقته: مفارقة شخص شيئاً حصل معه في مكان ففارق ذلك المكان وأبقى منه ما كان معه "[1]

هذان النموذجان يعرضان لنا المرأة عندما تنحرف عن طبيعتها ووظيفتها الطبيعية في مناصرة الزوج، ومؤازرته، وإعانته على تحمل المكاره والمصاعب، رغم عيشها في ظروف من المفترض أن تدفعها إلى الإيمان، إن هاتين المرأتين قد عاشتا كما يصرح بذلك القرآن الكريم في بيتين من بيوتات النبوة، ولكنهما رغم ذلك تخرجتا من هذين البيتين لتحارباهما دون هوادة، وعلى طول الخط من غير أن تتراجعا عن موقفهما، وتعودا إلى رشدهما، حتى استحقتا العذاب الأليم الدائم في جهنم، كما تصرح بذلك الآية القرآنية:﴿ وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ . ورغم أن هذين النموذجين هما في غاية السلبية، إلا أنهما يدلان على أية حال دلالة واضحة على أن المرأة حرة كالرجل في اتخاذ قرارها بنفسها، وتحديد المصير الذي ترتئيه لنفسها، وبينما نرى أن امرأة فرعون قد اختارت لنفسها طريق الإيمان بالدعوة الإلهية والتضحية في سبيلها رغم قسوة زوجها فرعون وبطشه، نرى امرأة نوح وامرأة لوط قد شقتا الطريق المقابل؛ طريق محاربة الدعوة الإلهية ،والثبات والاستمرار في هذه المحاربة.

6- قصة امرأة العزيز:

قال تعالى: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ *وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾(يوسف:23-24). هنا نجد أن امرأة العزيز قد غلَّقتْ الأبواب؛ لأن مَنْ يفعل الأمر القبيح يعلم قُبْح ما يفعل، ويحاول أن يستر فِعْله، وهي قد حاولتْ ذلك بعيداً عن مَنْ يعملون أو يعيشون في القصر، وحدثتْ المراودة وأخذتْ وقتاً، لكنه فيما يبدو لم يَستجِبْ لها، فانتقلتْ من مرحلة المُراودة إلى مرحلة الوضوح في طلب الفعل؛ بأن قالت : تهيأتُ لك؛ وكان ردُّه : {قَالَ مَعَاذَ الله} ولا أحد قادر على أن يتصرف هكذا إلا مَنْ حرسه الله بما أعطاه له من

([1]) التحرير والتنوير ج27 ، ص8

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحكمة والعلم؛ وجعله قادراً على التمييز بين الحلال والحرام، ثم ذكرها بزوجها الذي أغدق عليه الخير، فقال: {إِنَّهُ ربي أَحْسَنَ مَثْوَايَ} وليُذكِّرها بأن لها زوجاً هو ولي نعمتها، والصعوبة لا تأتي فقط من أنها تدعوه لنفسها؛ بل الصعوبة تزداد سوءا لأن لها زوجاً، فليست خالية، وهذا الزوج قد طلب منها أن تُكرِم يوسف ، وتختار له مكانَ إقامةٍ يليق بابن ، ولا يمكن أن يُستَقبل ذلك بالجحود والخيانة. وانظر إلى لقطة النسوة اللاتي تهامسْنَ بالنميمة عن امرأة العزيز وحكايتها مع يوسف، فحين دخل عليهن اتجهت العيون له، وللعيون لغات؛ وللانفعال لغات؛ وإلا لماذا قال يوسف: ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ ﴾ (يوسف:33). وهكذا نعلم أنه قد حدثت مُقدِّمات تدل على أن النسوة نَوَيْنَ له مثل ما نَوَتْه امرأة العزيز؛ وظَنَنَّ أن امرأة العزيز سوف تطرده؛ فيتلقفنه هُنَّ؛ وهذا دَأب البيوت الفاسدة، وهل هناك أفسد من بيت العزيز نفسه ، بعد أن حكم الشاهد أنها هي التي راودتْ يوسف عن نفسه؛ فيدمدم العزيز على الحكاية، ويقول: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هذا واستغفري لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الخاطئين ﴾ (يوسف: 29).

في هذا النموذج وحينما تستسلم المرأة لشهواتها ونزواتها، وعندما تمزق حجب الحياء، التي فطرت عليه المرأة، تتحول إلى كائن شهواني؛ لاهم له سوى إشباع صوت غريزته وإسكاته مهما كلف الثمن، إنها المرأة وهي تلعب في القصص القرآني دور الإنسان الذي جرفته شهواته فاستسلم وانقاد لها دون أن يمنعها من هذا الاستسلام والانقياد أي وازع اجتماعي أو داخلي.

سادساً: اهتمام القصص القرآني بمعنويات المرأة وأحاسيسها:

قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (القصص:7). لقد جمع الله في آية واحدة، خبرين، وأمرين، ونهيين، وبشارتين، فالخبران هما {وأوحينا إلى أم موسى} وقوله: {فإذا خفت عليه} لأنه يشعر بأنها ستخاف عليه؛ لذا لا بد أن يراعي أحاسيسها، ويحافظ على معنوياتها، والأمران هما: {أرضعيه} و{ألقيه}، والنهيان: {ولا تخافي} و ﴿ لا تحزني ﴾ والبشارتان: ﴿ إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ والخوف: توقع أمر مكروه، والحزن: حالة نفسية تنشأ من حادث مكروه للنفس، كفوات أمر محبوب، أو فقد حبيب، أو بعده، أو نحو ذلك. والمعنى: لا تخافي عليه الهلاك من الإلقاء في اليم، ولا تحزني على فراقه. والنهي عن الخوف، وعن الحزن، نهي عن سببيهما، وهما توقع المكروه، والتفكر في وحشة الفراق، وجملة {إنا رادوه إليك} في موقع العلة للنهيين؛ لأن ضمان

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رده إليها يقتضي أنه لا يهلك، وأنها لا تشتاق إليه بطول المغيب. وأما قوله ﴿وجاعلوه من المرسلين﴾ فإدخال للمسرة عليها. [1]

وهكذا نجد كيف اهتمَّ القرآن بمعنويات المرأة، وعواطفها، واهتمامَه بعقلها، ويتضح اعتناءُ القرآن بعواطِفِ المرأة في قصَّة أمِّ موسى عليه السلام، تلك الأُم التي ابتُليتْ بإلْقاء ابنها بيدها في اليمِّ عنْدما خافت عليه وقد أُمِرَتْ بذلك، فيا لها من مشاعرَ أليمة عند كلِّ أمٍّ لا تُضاهيها مشاعِر، وقد لا يحسُّ بها إلاَّ مَن فقَدتْ رضيعَها في هذا العُمر.

"وفي هذه المِحنة يُصوِّر القرآن الكريم، ويُفصِّل مشاعرَ الأمومة بشفافية واعتناء؛ ليتابعَ هذه المشاعر اللحظة بعدَ اللحظةِ، وينقل لنا تطورَها بدقَّة طورًا بعْد طور، فمِن خوف وحزن على المفقود حين تُلْقي الأمُّ رضيعَها في النهر؛ ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ثم يتابع نقْلَ مشاعرها بعدَ وضْعها لرضيعها في اليمِّ، تلك المشاعر الجبلية التي خرجَتْ عن طوْعها، فأصبحتْ والهةً بابنها، ذاهلة عما سواه؛ (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (القصص 10)، فبلَغ من لُطف الله لها وله، أن ردَّ عليها ولدَها، وعطَف عليها نفْعَ فرعون وأهْل بيته، مَعَ الأَمَنةِ مِن القتْل الذي يتخوَّف على غيره، فكأنَّهم كانوا مِن أهل بيت فرعون في الأمان والسَّعة، فكان على فرش فرعون وسُرره"[2]

إنَّ كلَّ هذا الاهتمامِ بنقْل الأحاسيس بتلك الدِّقَّة، والتتابع لكلِّ حال من أحوال تلك المؤمِنة المبتلاة، يجعلنا نُدرك مدى احتفاء القرآن الكريم بالمرأة، وإن تبليغنا بكلِّ هذا الحدث لهو بمثابة إعلانٍ للبشرية بهذا الاهتمامِ الذي لا يُضاهيه شيء، وإنَّه لحريٌّ بكلِّ مؤمنة أن تطمئنَّ، فتقرَّ عينها ولا تحزن بعدَ سماع مِثْل هذه الآيات البيِّنات، ولتوقن بحقٍّ، أنَّ لها ربًّا يعلم دقائق وتفاصيل الأمور، يستجيب لها إنْ دعتْه، ويحفظها إنْ هي حَفِظته. وهو أيضًا دلالةٌ ظاهِرة على أنَّ العاطفة حينما تُوظَّف، فتتوجَّه لأوامِر الله عزَّ وجلَّ، وأنَّ الهوى حينما يسير على مرادِ الله ينتج عنه بطولاتٌ فريدة.

([1]) التحرير والتنوير، ج20، ص 74

([2]) تفسير الطبري، ج18، ص305

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمـــــة

لقد حظيت القضايا الاجتماعية في القصص القرآني بنصيب وافر لتشكل بذلك نموذجاً لضبط العلاقات الاجتماعية وتوجيهها بما يخدم تطور المجتمع وتماسكه ورفعته.

يثبت القصص القرآني في عمومه وقصص الأنبياء والرسل على وجه الخصوص أن العدل هو المبدأ الأساس الذي أرسل الله الرسل من أجله وأنزل الكتاب، وأن أولى مراتب العدل وأعلاها هي كلمة التوحيد وقوله تعالى " قال يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم"

وقد أكدت سياقات القصص القرآني المختلفة على أن العنف مبدأ هدّام يعصف بالفرد والمجتمع و السياق القرآني يكشف في ثناياه عن الدعوة إلى الحلم ودفع السيئة بالحسنة.

يقدم لنا القصص القرآني المبادئ التي ينبغي أن نواجه بها الإشاعة ويصف لنا قبح هذه الظاهرة، ويربط سبحانه وتعالى مسألة الإشاعة بقضية الإيمان ليؤكد على أن السلوك البشري نابع من حسن الإيمان وسلامة القلب.

إن تعامل القصص القرآني مع قضية المرأة بكافة تجلياتها يشير إلى العدل الإلهي في ذلك وإلى حضارية التعامل مع هذه القضية الحساسة التي تأخذ في حاضرنا بعداً مهماً في التدليل على البعد الحضاري فيما يطرح حول المرأة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

نماذج من

ابتلاءات ومحن الأنبياء في القصص القرآني

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإخراج من الأوطان.

المبحث الثاني: الحصار.

المبحث الثالث: تهديد الأنبياء بالقتل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

الإخراج من الأوطان

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الإخراج لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: نماذج من قصص الأنبياء المخرجين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

الإخراج من الأوطان

المطلب الأول : وقفات مع الإخراج ونظائره

أولاً: تعريف الإخراج لغة واصطلاحاً:

1- الإخراج لغة: الخروج نقيض الدخول، يقال: خرج خروجاً ومخرجاً فهو خارج وخروج وخراج، فقد أخرجه وخرج به، وقد يكون المخرج موضع الخروج، ويقال: خرج مخرجاً حسناً، وهذا مخرجه، أما المخرج فقد يكون مصدر قولك أخرجه" [1] ويستعمل الخروج بمعنى الظهور يقال: (خرجت الشمس من السحاب) أي انكشفت، وقد يستعمل في معنى الانتقال يقال: خرجت من البصرة إلى الكوفة، وهو عبارة عن الانفصال من مكانه الذي هو فيه إلى مكان قصده[2].

2- الإخراج شرعاً: "انتقال من مكان إلى مكان أو من دار إلى دار بالنفس اختياراً وبنية مشروعة أو بأسباب خارجة عنه قهراً أو قسراً"[3]

قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (البقرة84) " والمراد به النهى الشديد عن تعرض بعض بني إسرائيل لبعض بالقتل، والإجلاء، والتعبير عن ذلك بسفك دماء أنفسهم وإخراجها من ديارهم، بناء على جريان كل واحد منهم مجرى أنفسهم؛ لما بينهم من الاتصال القوى نسبا ودينا، للمبالغة في الحمل على مراعاة حقوق الميثاق، بتصوير المنهي عنه بصورة تكرهها كل نفس، وتنفر عنه كل طبيعة، فضمير أنفسكم للمخاطبين حتما، إذ به يتحقق تنزيل المخرجين منزلتهم، كما أن ضمير دياركم للمخرجين قطعا، إذ المحذور إنما هو إخراجهم من ديارهم، لا من ديار المخاطبين من حيث أنهم مخاطبون، والخطاب ههنا باعتبار تنزيل ديارهم منزلة ديار المخاطبين، بناء على تنزيل أنفسهم منزلتهم؛ لتأكيد المبالغة وتشديد التشنيع".[4] وهكذا نجد القرآن يبين خطورة الإخراج، وكأن من أخرج أخاه الإنسان بدون وجه حق، فكأنما أخرج نفسه، وهذا تشنيع للإخراج بدون وجه حق، وقد رأى الباحث أن يقسم هذا المبحث إلى مطلبين على النحو التالي:

([1]) لسان العرب، لابن منظور ج2،ص1125.

([2]) الفروق اللغوية ، ص432.

([3]) بحث محكم بعنوان " آثار الإخراج من الديار بين الإيجاب والسلب" أ. د عبد السلام اللوح والشيخ عماد حمتو ص11.

([4]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج1، ص125

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياَ: نظائر الإخراج في القرآن

بعد التدقيق والمتابعة والنظر في كتاب الله وجد الباحث أن كلمة "خرج" ومشتقاتها التي لها علاقة بعنوان المبحث قد وردت في واحدٍ وأربعين موضعاً وهناك عدة ألفاظ للفعل خرج ومشتقاته وذلك مثل " هَجَر " و " بَعُدَ " وبعض ألفاظ أُخرى مثل " التشريد، النفي، الطرد" [1]

المطلب الثاني: نماذج من قصص الأنبياء المخرجين:

قال تعالى :﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ (إبراهيم:13) لما ذكر الله دعوة الرسل لقومهم، ودوامهم على ذلك، وعدم مللهم، ذكر منتهى ما وصلت بهم الحال مع قومهم، وهو توعدهم لهم بإخراجهم من الأرض، وهذا أبلغ ما يكون من الرد، وليس بعد هذا فيهم مطمع، لأنه ما كفاهم أن أعرضوا عن الهدى؛ بل توعدوهم بالإخراج من ديارهم، ونسبوها إلى أنفسهم، وزعموا أن الرسل لا حق لهم فيها، وهذا من أعظم الظلم، فإن الله أخرج عباده إلى الأرض، وأمرهم بعبادته، وسخر لهم الأرض وما عليها، يستعينون بها على عبادته، فمن استعان بذلك على عبادة الله، حل له ذلك وخرج من التبعة، ومن استعان بذلك على الكفر وأنواع المعاصي، لم يكن ذلك خالصا له، ولم يحل له، فعلم أن أعداء الرسل في الحقيقة ليس لهم شيء من الأرض التي توعدوا الرسل بإخراجهم منها، وإن رجعنا إلى مجرد العادة؛ فإن الرسل من جملة أهل بلادهم، وأفراد منهم، فلأي شيء يمنعونهم حقا لهم صريحا واضحا؟! هل هذا إلا من عدم الدين والمروءة بالكلية؟ ولهذا لما انتهى مكرهم بالرسل إلى هذه الحال؛ ما بقي حينئذ إلا أن يمضي الله أمره، وينصر أولياءه، ﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ* وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾(إبراهيم:13-14).[2]

قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾(النساء:66)، ونبينا ﷺ عانى كغيره من الأنبياء، وأخرج من دياره، فقد ورد أنه ﷺ وقف على مشارف مكة عند الهجرة فقال: [والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت][3]

([1]) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، لمحمد فؤاد عبد الباقي ، ص279.

([2]) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص423.

([3]) سنن الترمذي ، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب في فضل مكة، ح3925 ، صححه الألباني.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والله سبحانه وتعالى لا يقدر إلا الخير للذين أخرجوا، فقد يكون في خروجهم الخير، وفي هجرتهم البركة، وفي تركهم لديارهم تمكيناً لهم ورفعة، فالأمن لا يأتي إلا بعد الخوف، والإيواء والنصرة لا تتأتي إلا بعد الاستضعاف والفرقة، فالأنبياء الذين أخرجوا من ديارهم وهجروا وأبعدوا لا يحصى عددهم لذلك سيتناول الباحث أربعة نماذج للأنبياء الذين أخرجوا من ديارهم، وقد ذكرهم القرآن الكريم، وهم على النحو التالي:

أولاً: قصة إخراج لوط عليه السلام:

قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾(النمل:56) لما وصل قوم لوط إلي فلسطين أرسل إليهم نبياً ورسولاً إلى قوم كانوا يسكنون في الجنوب الشرقي منها في عدة قرى مجتمعة، وهم قوم انحرفت فطرتهم وتلوثوا بالفاحشة وانتشر فيهم الشذوذ، وأعلنوا بها دون تحرج ولا استحياء، وعندما نهاهم نبي الله لوط عن هذه الفاحشة، وطلب منهم أن يتقوا الله ويرجعوا إلى الطهارة والعفة، فما كان من ردهم إلا أن جاؤوا بأمر عجيب وغريب، وهو الطرد والإخراج حينها أمرت الملائكة نبي الله لوط أن يخرج من بين هؤلاء المعتدين، ومن آمن معه وأرشدوه إلى طريق الخلاص حيث قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (هود:81) ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾(الحجر:65) والتعبير بلفظ قريتكم بدلاً من القرية فيها إشارة بأنها لهم وحدهم يفعلون فيها ما يشاءون ولا يحق لغيرهم أن ينهي فيها ويأمر.

قال مجاهد " إنهم أناس يتطهرون من أدبار الرجال وأدبار النساء"[1] وفي وصفهم لهم بالطهارة كلمة حق أريد بها باطل حيث إنهم بحق طاهرون من هذه النجاسات والقاذورات التي استمرأ هذا المجتمع الولوغ فيها ولكن هذا القول قالوه سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخار بما كانوا فيه من القذارة وهو قول يصدر من الكثير من على شاكلة هؤلاء الفسقة، وذلك عندما يريد المصلحون تغيير المنكر في مجتمعاتهم فيقول رؤوس الفساد متهكمين أبعدوا هؤلاء المصلحين قال ابن عباس رضي الله عنهما عند تفسيره الآية أنهم عابوهم بما يتمدح به[2]وقال قتادة: "عابوهم بغير عيب، أي أنهم يتطهرون من أعمال السوء"[3]

([1]) تفسير مجاهد، ج2، ص240.

([2]) انظر: تفسير النسفي، ج2، ص 63

([3]) جامع البيان في تأويل القرآن، ج2، ص15.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد علق سيد قطب رحمه الله على هذه الآية قائلاً:" يا عجباً ! ومن يتطهر يخرج من القرية إخراجاً ليبقى فيها الملوثون المدنسون؟ ولكن لماذا العجب؟وما تصنع الجاهلية الحديثة؟ أليست تطارد الذين يتطهرون فلا ينغمسون في الوحل الذي تنغمس فيه مجتمعات الجاهلية وتسمية تقدمية، وتحطيماً للأغلال عن المرأة وغير المرأة، أليست تطاردهم في أرزاقهم وأنفسهم وأموالهم وأفكارهم وتصوراتهم كذلك، ولا تطيق أن تراهم يتطهرون لأنها لا تتسع ولا ترحب إلا بالملوثين المدنسين القذرين؟ إنه منطق الجاهلية في كل حين " [1] "وقولهم: إنهم أناس يتطهرون " سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخار بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظم: " أبعدوا عنا هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهد" [2]

والدكتور محمد البهي رحمه الله قال: " والنفي من البلاد تراه الطبيعة البشرية المستبدة عقوبة ذات فاعلية، تلك الطبيعة التي تخضع للاتجاه المادي وحده، والتي تركز كل سعيها في الحياة لإشباع رغبات الأنانية لأن نفي المعارض من البلد الذي يقيم فيه إلى خارج البلاد كلية، أو إلى بلد آخر فيها من شأنه أن يبعد صوت المعارضة أو يضعفه إلى حين، وهنا تتاح الفرصة للاستمتاع بالمتع المادية للمستبد في غيبة التحريض والإثارة على ما يجري فعلاً في المجتمع من تصرفاته والنفي من البلاد كعقوبة إذن ليس قاصراً على عهد من عهود الإنسانية والمجتمعات دون عهد، وليس وقفاً على زمن معين إنما هو خاصية تتبع الاستبداد وطغيان الوثنية المادية ووقوعه في أي وقت دليل على وقوع الاستبداد، وعلى وجود طغيان مادي متجرد تماماً عن الروحية الإنسانية والقيم الإنسانية[3].

هلاك قوم لوط ونجاة لوط عليه السلام:

عندما أصر قوم لوط على موقفهم المضاد لدعوة نبيهم عليه الصلاة والسلام توجه لوط عليه الصلاة والسلام إلى ربه، ولهج بالدعاء طالباً النجاة والنصرة فقال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾(الشعراء:169) وقال أيضاً ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾(العنكبوت:30) فاستجاب سبحانه وتعالى دعاء نبيه لوط عليه الصلاة والسلام وأرسل ملائكته فمروا على عمه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأخبروه بما أرسلوا إليه. **قال تعالى** ﴿وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾(هود:69،70) إلى قوله تعالى ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ

([1]) في ظلال القرآن، ج3، ص1316.

([2]) الكشاف، ، ج2، ص92، 93.

([3]) تفسير سورة الأعراف، للدكتور محمد البهي ص: 84

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ * يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾(هود :74-76) وقال تعالى: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاماً قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ . . ﴾إلى قوله تعالى:﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾(الحجر: 51-57). وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ * قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾(العنكبوت:31-32) لم تبين هذه الآيات عدد الملائكة الذين جاؤوا لعذاب قوم لوط فعن عثمان بن محيص قال:" كانوا أربعة: جبريل وميكائيل، وإسرافيل ورافئيل" [1]

نزول العذاب:

قال تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾(الأعراف:84)وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾(هود:82) وقال تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ (الحجر: 73-75) قال تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴾(الشعراء:120) وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ * وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾(القمر:34-37) و من خلال الآيات السابقة يتضح أن الله عز وجل أهلك قوم لوط بأنواع من العذاب وهي: المطر، الحجارة المسومة من السجيل المنضود، الصيحة، قلب قراهم بأن جعل عاليها سافلها، الحاصب، طمس عيونهم.

ثانياً: قصة إخراج شعيب عليه السلام:

قال تعالى:﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ (الأعراف:88) لقد أرسل الله سبحانه وتعالى شعيب عليه السلام إلى أهل مدين، وهم عرب يسكنون مدينتهم مدين التي هي قريبة من أرض معان من أطراف الشام مما يلي الحجاز قريباً من بحيرة قوم لوط وكانوا بعدهم فيما حكاه القرآن بمدة قريبة[2].

إن منطق هؤلاء المستكبرين هو منطق الملأ المستكبرين في كل زمان ومكان عندما يقفون أمام الأنبياء ودعاة الحق، ويعاملونهم بهذه المعاملة والجلافة والغلظة والقسوة [3] عندما رأى القوم أن

([1]) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ج2، ص452.

([2]) قصص الأنبياء، ابن كثير ــ ص85-86 بتصرف

([3]) انظر: القصص القرآني، د.صلاح الخالدي، ج2،ص28 بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سخريتهم واستهزاءهم بشعيب لم يقف حائلاً دونه ودون دعوته إلى الله، عند ذلك علموا أنه لا بد من وسيلة أقوى لإسكات صوت الحق، والوسيلة هذه المرة هي التهديد والوعيد، فقد تدارسوا الأمر وتبادلوا الآراء واجمعوا كيدهم على أن يرجموه بالحجارة حتى يموت ويرتاحون منه ومن دعوته؛ ولكن رجعوا إلى صوابهم عندما سكت غضبهم وتذكروا أن لشعيب عشيرة كريمة شريفة بينهم

وما زالت على دينهم، فلو قتلوا ابنها فإن هذه العشيرة ستأخذها عزة الأخوة وشفقة البنوة التي تربطها بشعيب فيغضبون له، وهذا الذي يخشاه القوم، لهذا قالوا لشعيب " ولولا رهطك" نعم إن الكفر ملة واحدة فكما أن القرشيين تآمروا على قتل النبي ﷺ واجمعوا على ذلك، وكما أحجم المدنيون هناك إكراماً لرهط شعيب، أحجم القرشيون هنا إكراماً لبني هاشم، وهذا دليل واضح على احتقار الكفار لأنبيائهم واعتزازهم بالعصبية؛ لهذا ختم قوم شعيب مقالتهم له بقولهم وما أنت علينا بعزيز[1] ولكننا صبرنا عليك إكراماً لرهطك، على أن نضع أمامك خيارين لحل الإشكال القائم بيننا وبينك، هذان الخياران هما: إما تخرج أنت ومن معك من المؤمنين من مدينتنا فتريحنا من سماع ما تقوله لنا وتنجو بنفسك وبمن معك من بطشنا وعداوتنا، والخيار الثاني والذي تتمناه أنفسنا مع أنه صعب عليك تحقيقه ونحن نعلم أنك ستمانع في تنفيذه وهو رجوعك أنت وأنصارك إلى شريعتنا التي كان عليها آباؤنا، وعليها نحن الآن فإن استجبتم لنا فستجدون منا المعاملة الطيبة، وتجلسون بيننا مكرمين لا نمسكم بسوء ولا نخرجكم من قريتنا.

رد شعيب على قومه:

كان منطق شعيب في الرد عليهم، منطق المؤمن بالله، وصاحب الرسالة الحقة، استبعد أولاً أن يكون أمر الاعتقاد عامة، أمر قهر وإكراه، قال **(أولو كنا كارهين)** فإنه يستحيل على الإنسان أن يكون مؤمناً بأمر ما وفي إيمانه شائبة إكراه؛ لأن الإيمان هو التزام إرادي ومشيئي بسلوك معين وتصرفات معينة في الحياة، لا يمكن أن يتم على المدى الطويل إلا بدافع الاختيار المحض في قبول الإيمان في البداية قبولاً إرادياً، واعتبر ثانياً أن الرجوع منه عن عقيدة التوحيد بعد أن كلف من الله برسالة الدعوة إليها، خيانة لأمانة الله سبحانه وتعالى، ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ (الأعراف: 89)

هلاك قوم شعيب:

ما ترك نبي الله شعيب وسيلة ناجحة لإقناع قومه بدعوته؛ إلا أخذ بها وسلكها معهم؛ ولكن قومه أصروا على باطلهم وضلالهم واختاروا الضلال على الهدى، والعذاب على المغفرة،

([1]) انظر: التحرير والتنوير ، ج12 ، ص148 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عند ذلك وبعد هذه المجاهدة والصبر علم شعيب أن هؤلاء قوم طمس الله على قلوبهم فأعماها عن الحق، وعندما اتضحت لشعيب هذه النتيجة توجه إليهم يخاطبهم في حسرة وألم " اعملوا على مكانتكم" ثم توجه إلى الله يدعوه ليحكم بينه وبين قومه ويعجل لهم العذاب قائلاً ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾(الأعراف:89) فاستجاب الله له وحكم بعذابهم واستئصالهم، وهذه سنة الله في الأمم المكذبة لأنبيائهم، قال تعالى:﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾ (الفتح:23) وفي سورة الأعراف قال تعالى:﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾(الأعراف:78)

وكذلك في سورة العنكبوت ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾(العنكبوت:37)

أما في سورة هود فجاء العذاب بالصيحة قال تعالى﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾(هود:67).

ثالثاً: قصة إخراج موسى عليه السلام

قال تعالى﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾(القصص:20) وهذا الرجل هو مؤمن آل فرعون وكان ابن عم موسى عليه السلام، والمراد بأقصى المدينة هو آخرها وأبعدها[1] وإخراج موسى عليه السلام هو نجاة له ولدعوته التي جاء بها، حيث لا يتوقف الباطل عن ملاحقة أهل الحق والدعوة، حينها يكون الخروج رحمة بهم من أن ينالهم أذى المجرمين، حيث يخبرنا الله تعالى عن خروج موسى عليه السلام من مصر خائفاً يترقب ويتلفت خشية أن يدركه أحد من قوم فرعون، وهو لا يدري أين يتوجه ولا إلى أين يذهب، وذلك لأنه لم يخرج من مصر قبلها، ولما ورد ماء مدين وكانت بئراً يستقون منها ومدين هي المدينة التي أهلك الله فيها أصحاب الأيكة وهم قوم شعيب عليه السلام، وعاد موسى عليه السلام إلى مصر بعد اشتياق كبير، وواجه فرعون وكان مطلبه بعد توحيد الله تبارك وتعالى أن يرسل معه بني إسرائيل، ويفك الأسارى من قبضته وقهره وسطوته، ويتركهم يعبدون ربهم حيث شاءوا، ويتفرغون لعبادته وتوحيده[2] "ومدين هي قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين ابن إبراهيم ولم تكن في سلطان فرعون، وبينها وبين مصر مسيرة طويلة وكان موسى لا يعرف إليها الطريق حيث خرج حافياً لا يعيش إلا بورق الشجر فما وصل حتى سقط

([1]) انظر: فتح القدير ــ الشوكاني ،ج4، ص165.

([2]) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج1، ص259.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خف قدمه"[1] وهنا بدأ الصراع بين موسى ومن معه من المؤمنين وبين فرعون ومن معه من الطغاة حيث أمر موسى بالخروج بالمؤمنين من مصر لتنتهي فترة البطش والتنكيل بالمؤمنين وليمضوا إلى قدر الله ليحققوا مرحلة جديدة من تاريخهم ولم يعرف مقدار إقامة بني إسرائيل في مصر يحاول المؤرخون وعلماء الآثار تحديد هذه الفترة بالسنوات فيذهبون إلى أن يوسف عليه السلام دخل مصر في القرن السادس عشر قبل الميلاد تقريباً وذلك في عهد الأسرة التاسعة عشرة ولا يجزم بما قالوه كل ما نقوله أن فترة إقامة بني إسرائيل في مصر كانت طويلة[2] قد عرف الملأ من قوم فرعون ، وهم رجال حاشيته وحكومته والمقربون إليه أنها فعلة موسى . وما من شك أنهم أحسوا فيها بشبح الخطر فهي فعلة طابعها الثورة والتمرد ، والانتصار لبني إسرائيل . وإذن فهي ظاهرة خطيرة تستحق التآمر ولو كانت جريمة قتل عادية ما استحقت أن يشتغل بها فرعون والملأ والكبراء فانتدبت يد القدرة واحداً من الملأ . الأرجح أنه الرجل المؤمن من آل فرعون الذي يكتم إيمانه ، والذي جاء ذكره في سورة (غافر) انتدبته ليسعى إلى موسى ﴿ من أقصى المدينة ﴾ في جد واهتمام ومسارعة ، ليبلغه قبل أن يبلغه رجال الملك : ﴿ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص:21-20) ومرة أخرى نلمح السمة الواضحة في الشخصية الانفعالية التوتر والتلفت، ونلمح معها ، التوجه المباشر بالطلب إلى الله ، والتطلع إلى حمايته ورعايته ، والالتجاء إلى حماه في المخافة ، وترقب الأمن عنده والنجاة :﴿ رب نجني من القوم الظالمين ﴾ ثم يتبعه السياق خارجاً من المدينة ، خائفاً يترقب ، وحيداً فريداً ، غير مزود إلا بالاعتماد على مولاه؛ والتوجه إليه طالباً عونه وهداه ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾(القصص:22) . ونلمح شخصية موسى عليه السلام فريداً وحيداً مطارداً في الطرق الصحراوية في اتجاه مدين في جنوبي الشام وشمالي الحجاز مسافات شاسعة ، وأبعاد مترامية ، لا زاد ولا استعداد ، فقد خرج من المدينة خائفاً يترقب ، وخرج منزعجاً بنذارة الرجل الناصح ، لم يتلبث ، ولم يتزود ولم يتخذ دليلاً ونلمح إلى جانب هذا نفسه متوجهة إلى ربه ، مستسلمة له ، متطلعة إلى هداه : ﴿ عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ﴾ ومرة أخرى نجد موسى عليه السلام في قلب المخافة ، بعد فترة من الأمن بل من الرفاهية والنعمى ونجده وحيداً مجرداً من قوى الأرض الظاهرة جميعاً ، يطارده فرعون وجنده ، ويبحثون عنه في كل مكان ، لينالوا منه اليوم ما لم ينالوه منه طفلاً

([1]) الكشاف، للزمخشري، ج3، ص161.

([2]) انظر: القصص القرآني، صلاح الخالدي،ج3، ص72.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكن اليد التي رعته وحمته هناك ترعاه وتحميه هنا ، ولا تسلمه لأعدائه أبداً فها هو ذا يقطع الطريق الطويل ، ويصل إلى حيث لا تمتد إليه اليد الباطشة بالسوء.[1]

رابعاً: قصة إخراج النبي ﷺ

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:40) " المراد خروجه مهاجراً، وأسند الإخراج إلى الذين كفروا لأنّهم تسببوا فيه بأن دبّروا لخروجه غير مرّة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾(الأنفال:30) ، وبأن آذوه وضايقوه في الدعوة إلى الدين، وضايقوا المسلمين بالأذى والمقاطعة، فتوفّرت أسباب خروجه؛ ولكنّهم كانوا مع ذلك يتردّدون في تمكينه من الخروج خشية أن يظهر أمر الإسلام بين ظهراني قوم آخرين، فلذلك كانوا في آخر الأمر مصمّمين على منعه من الخروج، وأقاموا عليه من يرقبه وحاولوا الإرسال وراءه ليردّوه إليهم، وجعلوا لمن يظفر به جزاءً كبيرا ".[2] ومما دعا النبي ﷺ للخروج هو إجماعهم على قتله كما أوضحت الآية السابقة، فمعنى: (ليُثبتوك) ليحبسوك، يقال: أثبته، إذا حبَسه ومنعه من الحركة وأوثقه، والتعبير بالمضارع في يثبتوك، ويقتلوك، ويخرجوك، لأن تلك الأفعال مستقبلة بالنسبة لفعل المكر؛ إذ غاية مكرهم تحصيل واحد من هذه الأفعال، وأشارت الآية إلى تردد قريش في أمر النبيﷺ حين اجتمعوا للتشاور في ذلك بدار الندوة في الأيام الأخيرة قُبيل هجرته، فاختلفوا في ذلك، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق وسُدوا عليه باب بيت غير كَوة تُلْقون إليه منها الطعام، وقال أبو جهل: أرى أن نأخذ من كل بَطن في قريش فتىً جَلْداً فيجتمعون، ثم يأخذ كل واحد منهم سيفاً، ويأتون محمداً في بيته، فيضربونه ضربة رجل واحد، فلا تقدر بنو هاشم على قتال قريش بأسرها، فيأخذون الدية ونستريح منه، وقال هشام بن عَمرو: الرأي أن تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظْهُرِكُم فلا يضركم ما صنع.[3] فكانت كل الخيارات أمام النبي ﷺ صعبة ومرة، ولما أجمعوا أمرهم على قتله، كان لابد من التضحية والخروج، والنجاة من أجل إكمال هذا الدين، وفعلا كانت هجرة النبي ﷺ محطة فاصلة في تاريخ البشرية، حيث بدأ تاريخ الأمة الإسلامية بها، فمنذ كانت الهجرة، بدأت مرحلة جديدة، وعهد جديد، وانطلاقة جديدة، وتظل جريمة إخراج النبي ﷺ درساً

([1]) انظر : في ظلال القرآن، سيد قطب، ج6،ص334- بتصرف

([2]) التحرير والتنوير ، ج10، ج201.

([3]) المرجع السابق، ج9 ، ص327.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للتاريخ، وعبرة لكل معتبر، وأسوة لكل داعية، فقد ترك أحب الديار، وترك فيها ذكرياته، وترك أهله، وكل ذلك حباً لله والدين والوطن. **قال تعالى:** ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا * سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ (الإسراء:76-77) وكان وعد الله حقا فلم تمض سوى سنتين حتى هزموا في بدر، ليمضي الإسلام شاقا طريقه على يد النبي ﷺ وتفتح مكة، وتخضع جميعها لحكم الإسلام.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الابتلاء والاضطهاد سبب خروج النبي ﷺ

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾(الأنفال:30) إنه التذكير بما كان في مكة ، قبل تغير الحال ، وتبدل الموقف وإنه ليوحي بالثقة واليقين في المستقبل ، كما ينبه إلى تدبير قدر الله وحكمته فيما يقضي به ويأمر ولقد كان المسلمون الذين يخاطبون بهذا القرآن أول مرة ، يعرفون الحالين معرفة الذي عاش ورأى وذاق وكان يكفي أن يذكروا بهذا الماضي القريب ، وما كان فيه من خوف وقلق؛ في مواجهة الحاضر الواقع وما فيه من أمن وطمأنينة، وما كان من تدبير المشركين ومكرهم برسول الله ﷺ في مواجهة ما صار إليه من غلبة عليهم، لا مجرد النجاة منهم! لقد كانوا يمكرون ليوثقوا رسول الله ﷺ ويحبسوه حتى يموت؛ أو ليقتلوه ويتخلصوا منه؛ أو ليخرجوه من مكة منفيا مطرودا، ولقد ائتمروا بهذا كله ثم اختاروا قتله؛ على أن يتولى ذلك المنكر فتية من القبائل جميعا؛ ليتفرق دمه في القبائل؛ ويعجز بنو هاشم عن قتال العرب كلها، فيرضوا بالدية وينتهي الأمر! والصورة التي يرسمها قوله تعالى:{ويمكرون ويمكر الله}، صورة عميقة التأثير؛ ذلك حين تتراءى للخيال ندوة قريش، وهم يتآمرون، ويتذاكرون، ويدبرون، ويمكرون، والله من ورائهم محيط، يمكر بهم ويبطل كيدهم وهم لا يشعرون! إنها صورة ساخرة، وهي في الوقت ذاته صورة مفزعة، فأين هؤلاء البشر الضعاف المهازيل، من تلك القدرة القادرة، قدرة الله الجبار، القاهر فوق عباده، الغالب على أمره، وهو بكل شيء محيط؟.[1] ولقد سلك الرسول كل طريق سليم لتبليغ دعوة الله، وسلك المشركون في المقابل كل طريق يخطر بالبال ليثنوه عن القيام بأمر الله، سلكوا معه طريق الإغراء، والضغط العائلي، والتشويه، وبث الدعايات الكاذبة، والمقاطعة، لعلهم يحطمونه نفسياً فيتوارى خجلاً من هذا الدين، ويعود إلى دين آبائه، ولقد تحدث النبي ﷺ عن إيذائه في بدء الدعوة حيث كان وحيداً في تبليغ دعوته فقال صلى ﷺ [لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، وأخفت في الله وما يخاف أحد...][2] وهكذا اقتضت سنة الله أن جعل لكل نبي أعداء يمكرون به فجعل لآدم إبليس ولموسى فرعون وللنبي ﷺ أبا جهل وأعوانه ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾(الفرقان:31) والله سبحانه لا يضيع عباده، ولن يتركهم، وأجرهم واقع محفوظ، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء100)

([1]) انظر: في ظلال القرآن ، ح3 ، ص392 بتصرف.

([2]) سنن ابن ماجة ، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ، فضل سلمان وأبي ذر والمقداد، ح151 ، صححه الألباني.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن سياسة الإخراج والطرد تتجدد اليوم مع الشعب الفلسطيني فطرد المقدسيين من القدس وإبعاد المجاهدين إلى خارج أماكن سكناهم إنما يعبر عن الظلم الذي يتعرض له شعبنا الفلسطيني العظيم و لا سيما النكبة التي تعرض لها شعبنا الفلسطيني عام 1948 حيث طرد واخرج الشباب والرجال والشيوخ والنساء والأطفال من بيوتهم ظلماً وعدواناً بعد الملاحقات والمطاردات وإيقاع قتلى في صفوف أبناء شعبنا وتدمير البيوت وتغيير معالم البلاد إنها النكبة الحقيقية لشعب أعزل كان يعيش على أرضه مطمئناً مؤمناً وفي خلال أيام اصبح مشرد ومشتت خارج بلده ووطنه.

إن إخراج الأنبياء على يد أقوامهم كان له هدف وهو القضاء على الرسالة التي يحملونها والدعوة التي ينشرونها لذا فإن الداعية اصبح مهدد بالإخراج والطرد من الديار اسوة بالأنبياء الذين حملوا الأمانة وشعبنا الفلسطيني حينما طرد من بلاده ووطنه إنما كان الهدف تغيير معالم فلسطين المسلمة التي باركها الله وقدسها واستطاع اليهود أن يقيموا وطن قومي لهم على أرضنا المحتلة .

واليوم وشعبنا الفلسطيني العظيم وهو يحيى ذكرى نكبته وذكرى خروجه من الديار والأوطان يؤكد أن أقرب إلى العودة وأن العودة أصبحت قاب قوسين أو ادني لا سيما أن هذا العام كان إحياء النكبة يختلف عن كل عام حيث أريقت دماء ابناء شعبنا على الحدود اللبنانية وعلى الحدود السورية وفي قطاع غزة والضفة الغربية والقدس وخرج الآلاف في العواصم العربية والإسلامي يهتفون لفلسطين ولحق العودة ولقد هتفت الثورات العربية المتواصلة في بعض من الدولة العربية لفلسطين ولحق العودة .

إن شعبنا الفلسطيني العظيم عرف طريق العودة إلى الديار فأنبياء الله سبحانه وتعالى عادوا إلى ديارهم منتصرين فاتحين بعد أن أخرجوا قهراً وظلماً وعدواناً ورفعوا لواء الدعوة ونشروا الإسلام في كافة بقاع الأرض وهذا لم يتحقق إلا بإيمانهم الراسخ أن الله سبحانه وتعالى ناصرهم ومؤيدهم فشعبنا اليوم يجب أن يثق تماماً ويعلم علم اليقين ان طريق العودة إلى الديار هو طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهو الإيمان بالله تبارك وتعالى وأنه يؤيد الحق وينصره ولو بعد حين قال تعالى : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ (الحج: 40)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمـــــة

إن الإخراج ابتلاء يبتلى الله به بعض عباده المؤمنين على سنة مقدرة من الله وحيث ان الإحراج عقوبة ثابتة قررها الله سبحانه وتعالى على من خالف أمره ونهيه وثبت من خلال القصص القرآني أن الإخراج من الديار والأوطان وسيلة يتبعها أعداء الله في محاربة الأنبياء والرسل والدعاة إلى الحق، وكان تعامل الأنبياء والرسل مع هذا النوع من الابتلاء يمثل لنا قيمة عليا نحتذي بها، ومنهجاً خالداً نسير عليه في حياتنا وفي تعاملنا مع أعداء الله وفي كل الأحوال ورغم الإخراج من الأوطان والديار دائماً كانت الغلبة للثلة المؤمنة ويتحقق الخير والطمأنينة بعد كل ابتلاء ومحنة لأن الإخراج سنة عامة في الرسل والأنبياء ومن سار على هديهم وقد ثبت أن الإخراج سنة ثابتة دائرة بين الابتلاء والتسليط

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

الحصار

وفيه مطلبان

المطلب الأول: الحصار لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: نماذج حصار النبي ﷺ وأصحابه

المطلب الثالث: وسائل كسر الحصار

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

الحصار

المطلب الأول: الحصار لغة واصطلاحاً:

أولاً: الحصار لغة: للحصار في اللغة تعريفات متعددة منها: المنع، والتَّضْيِيقُ، والحبس، يقال: حَصَره يَحْصُرُه حَصْراً فهو محْصُورٌ ضَيَّقَ عليه، وأَحصره العدوّ إِذا ضيق عليه فَحصِرَ، أَي ضاق صدره، وحَصَرَهُ العدوّ يَحْصُرُونه، إِذا ضيقوا عليه وأَحاطوا به[1].

ثانياً: الحصار اصطلاحاً: ومفهوم " الحصار في كلام العرب هو: منع الذات من فعل ما، سواء بالمنع أو بالتضييق أوبالحبس ".[2] وربما يحتاج ذلك إلى ضرب طوق مادي، أو معنوي، لعزل بقعة من الأرض، أو الناس. وقد يأخذ مفهوم المقاطعة الشاملة في غير الجانب العسكري.

يعد الحصار من أقدم الأساليب الخبيثة التي استخدمها الباطل في صراعه الطويل مع الحق وأهله، صراعاً معنويا ومادياً شاملا، يكشف في ثناياه عن قبح طبع أهل الباطل، ولكنه في الوقت نفسه يكشف عن إفلاسه في مواجهة الثلة المؤمنة، حيث إن الحجة تقرع بالحجة، والمنطق يواجهه منطق مثله، أما وإن الباطل لا يملك منطقا، ولا يهتدي لحجة، فإن طبيعته الشريرة تسوقه سوقا لمثل هذا اللون من ألوان العقاب التي يمارسها بحق الثلة المؤمنة.

قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ (البقرة: 273) بالنظر إلى معنى أحصروا فإننا نجد أن هناك حَصر وهناك أحصر، وكلاهما فيه المنع ، إلا أن المنع مرة يأتي بما لا تقدر أنت على دفعه، ومرة يأتي بما تقدر على دفعه.

فالذي مرض مثلاً وحُصِرَ على الضرب في الأرض، أكانت له قدرة أن يفعل ذلك؟ لا ، ولكن الذي أراد أن يضرب في الأرض فمنعه إنسان مثله فإنه يكون ممنوعاً، إذن فيئول الأمر من الأمرين إلى المنع، فقد يكون المنع من النفس ذاتها، أو منع من وجود فعل الغير، فهم أحصروا في سبيل الله، حُصِرُوا لأن الكافرين يضيقون عليهم منافذ الحياة، أو حَصَرُوا أنفسهم على الجهاد، ولم يحبوا أن يشتغلوا بغيره؛ لأن الإسلام كان لا يزال في حاجة إلى قوم يجاهدون.[3] والحصار أصبح في زمننا وسيلة، وسلاحا يسلطه القوي على الضعيف ليحقق أهدافه وأكثر من يحاصر في هذه الأيام هم المسلمون، وقد رأى الباحث أن يقسم هذا المبحث إلى مطلبين على النحو التالي:

([1]) لسان العرب، لابن منظور ج 4، ص193.

([2]) التحرير والتنوير، ج2، ص222.

([3]) تفسير الشعراوي، ج1 ، ص754.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثا: الحصار ونظائره في القرآن الكريم:

وقد استخدم القرآن الكريم مشتقات الجذر "حصر" في ستة مواضع[1] على النحو التالي:

1. قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ﴾(التوبة:5) **والمعنى:** "احبسوهم وامنعوهم من التصرف"[2]

2. قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ (البقرة: 273)

والمعنى: "حبسوا ومنعوا"[3]

3.قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ (البقرة: 196)

والمعنى: "فإن أحصرتم أي: صددتم عن الوصول إلى البيت ومنعتم من إتمامهما"[4]

4.قوله تعالى:﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران: 39)

والمعنى : "حصورا، أي: مبالغا في منع النفس عن الشهوات والملاهي"[5].

5.قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ (النساء: 90)

والمعنى "حصرت بمعنى: ضاقت صدورهم"[6]

7.قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ (الإسراء: 8)

والمعنى : "حاصراً أي: حابساً"[7].

والمتأمل في المعاني المتعددة للآيات السابقة يجد أنها تدور حول المعاني اللغوية المتمثلة في المنع والحبس والتضييق.

المطلب الثاني: نماذج من حصار النبي ﷺ

أولا: حصار اجتماعي في شعب أبي طالب

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(البقرة:217) " هذا الوصف عام لكل الكفار، لا يزالون يقاتلون غيرهم، حتى يردوهم عن

([1]) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد عبد الباقي ،ص205-206.

([2]) التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين الجياني ، ج1، ص221.

([3]) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج3 ص 322.

([4]) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج1، ص312.

([5]) تفسير البيضاوي: ج 1، ص35.

([6]) تفسير جامع البيان عن تأويل القرآن، الطبري، ج4، ص199

([7]) المرجع السابق: ج2، ص219.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دينهم، وخصوصا، أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، الذين بذلوا الجمعيات، ونشروا الدعاة، وبثوا الأطباء، وبنوا المدارس، لجذب الأمم إلى دينهم، وتدخيلهم عليهم، كل ما يمكنهم من الشبه، التي تشككهم في دينهم". [1] ولكن المرجو من الله تعالى، الذي مَنّ على المؤمنين بالإسلام، واختار لهم دينه القيم، وأكمل لهم دينه، أن يتم عليهم نعمته بالقيام به أتم القيام، وأن يخذل كل من أراد أن يطفئ نوره، ويجعل كيدهم في نحورهم، وينصر دينه، ويعلي كلمته.

استخدمت القيادة القرشية سلاحها الأخير؛ إذ اتخذت قرارها المجرم بفرض الحصار الجماعي على قبيلة بني هاشم، وذلك حين أفلست جميع محاولاتها السابقة لإيقاف مسيرة الدعوة الإسلامية، حتى إذا مني القرشيون بالخيبة في تلك المحاولات جميعاً عزموا على اللجوء إلى سلاحهم الأخير، وكان ذلك في السنة السابعة للدعوة، وكانت كثرة المسلمين قد وفقت إلى الفرار بأنفسها إلى الحبشة، وكان حمزة وعمر رضي الله عنهما، قد اعتنقا الإسلام، وكذلك أبو طالب قد رفض صراحة، أن يخذل الرسول ﷺ نزولا عند مطلب قريش، وباستثناء أبي لهب، وكان بنو هاشم كلهم قد عقدوا العزم على أن ينصروه، ويقاتلوا دفاعاً عنه، حتى الرجل الأخير، وفوق هذا، فقد راح نور الإسلام ينتشر من قبيلة إلى قبيلة، من أجل ذلك قرر القرشيون إن يفرضوا حصارا اجتماعياً على بني هاشم، فلا يتزوجون منهم، ولا يزوجونهم، ولا يبيعونهم شيئاً، ولا يبتاعون منهم شيئاً، [وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا وَكِنَانَةَ تَحَالَفَتْ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي عَبْد الْمُطَّلِبِ أَوْ بَنِي الْمُطَّلِبِ، أَنْ لَا يُنَاكِحُوهُمْ، وَلَا يُبَايعُوهُمْ حَتَّى يُسْلِمُوا إِلَيْهِمْ النَّبِيَّ ﷺ][2]. ثم إنهم كتبوا صحيفة بهذا المعنى، وعلقوها في جوف الكعبة، لكي يعطوها معنى القداسة، فلما سمع بنو هاشم بهذا شخصوا إلى موطن منعزل من مكة يعرف بالشعب.[3]

وشكل الحصار الاجتماعي مصاعب جدية أمام الدعوة الإسلامية، إذ مرت في مرحلة جمود بعد نهضتها السابقة، فلم يعد بالإمكان أن يتصل المسلمون بالقبائل العربية وهم محصورون داخل شعب أبي طالب، ذلك أن بني هاشم قبلوا ببطولة ملحمية أن يقفوا مع الرسول ﷺ في محنته، ويعيشوا في أشد الظروف قسوة في ظل المقاطعة القرشية اجتماعياً واقتصادياً.

دخل النبي ﷺ ومن معه من بني هاشم وغيرهم في شعب بني هاشم مضطرين، وقد اشتد الحصار عليهم، وانقطع العون، وقل الغذاء، حتى بلغ بهم الجهد أقصاه، وسمع بكاء الأطفال من وراء الشعب، وعضتهم الأزمات العصبية حتى رثي لحالهم الخصوم، وقد واجه المحصورون كل ذلك بصبر وصمود راسخ كالجبال، ولم يكتف المشركون بتلك الحملة الشديدة

([1]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص97

([2]) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب نزول النبي صلى الله عليه و سلم مكة، ح1513

([3]) انظر: سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، ج2 ، ص377.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على الإسلام والمسلمين، بل ألبوا العرب عليهم من كل فج، كما لم يكتفوا بما تعاهدوا عليه في الصحيفة الظالمة فحسب، فهذا نداء الوليد بن المغيرة في قريش، أيما رجل وجدتموه عند طعام يشتريه فزيدوا عليه وحولوا بينكم وبينه، ومن لم يكن عنده نقد فليشتر وعلي النقد[1] فيرجع أحدهم إلى أطفاله وهم يولولون من شدة الجوع، وليس في يده شيء يطعمهم، وقد استمروا على ذلك ثلاثة سنوات، وكان لا يصل إليهم شيء إلا سراً لقد بلغ الحصار بالمسلمين ما بلغ حتى ألجأهم أن يطعموا مما لا مساغ له، واستعذبوه في سبيل دينهم وعقيدتهم، وطبيعي أن يستعجل المسلمون الخروج من هذا المأزق لما وعدوا به من النصر والتمكين، وقد أحزنت تلك الآلام بعض ذوي الرحمة من قريش، فكان أحدهم يحمل على البعير زاداً ثم يضربه في اتجاه الشعب، ويترك زمامه ليصل إلى المحصورين فيخفف شيئاً مما بهم من إعياء أو فاقة. [2]

نقض الصحيفة وكسر الحصار

لقد تصدى لإبطال المقاطعة جماعة من قريش بزعامة هشام بن عمرو بن ربيعة، فقد ساءته أحوال المسلمين لما هم فيه من عناء، وكان ذا شرف في قومه، وقد أبلى بلاءً حسناً؛ إذ مشى إلى زهير بن أبي أمية وكان شديد الغيرة على النبي ﷺ والمسلمين؛ إذ كانت أمة عاتكة بنت عبد المطلب، فناشده حق الرحم قائلاً: يا زهير، أرضيت أن تأكل الطعام، وتلبس الثياب، وتنكح النساء، وأخوالك حيث قد علمت؟؟ أحلف بالله لو كانوا أخوال أبي جهل، ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه ما أجابك أبداً قال: فماذا أصنع إنما أنا رجل واحد والله لو كان معي آخر لنقضتها. فقال قد وجدت رجلاً قال فمن هو؟ قال أنا قال أبغنى ثالثاً فذهب إلى المطعم بن عدي فوافقه وطلب منه رابعاً، فذهب إلى أبي البختري، فوافقه على أن ينضم إليهم خامساً، فذهب إلى زمعه ابن الأسود فانضم إليهم، فاجتمعوا هناك وتعاقدوا على القيام في نقض الصحيفة فقال زهير أنا أبدؤكم بالكلام[3]" فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم وغدا زهير فطاف بالبيت سبعاً ثم أقبل على الناس قائلاً: "يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة، قال أبو جهل: كذبت والله لا تشق قال زمعة : أنت والله أكذب ما رضينا كتابتها قال أبو البختري: صدق زمعة، قال المطعم: صدقتما وكذب، من قال غير ذلك وقال هشام: نحوا من ذلك، فنكس أبو جهل رأسه وقال: هذا أمر قضي بليل، فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا باسمك اللهم وقد كان مصير كاتب الصحيفة أن شلت يده على اختلاف في اسمه ".[4]

وهكذا كان مصير الظلم والقطيعة جعل الله بأسهم بينهم شديد، وفك الحصار، وأيد الله الدعوة المحمدية برجال من رؤساء قريش المشركين.

([1]) انظر: السيرة النبوية، لابن إسحاق، ص52

(2) انظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ج7، ص192-193

([3]) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، ج1، ص374-376

4) المرجع السابق، ج1، ص374-376(

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا: الحصار الاقتصادي:

هذا نوع من الحصار تزعمه المنافقون في مواجهتهم الطويلة مع أهل الحق، وظنوا لفرط جهلهم، وقلة فقههم، أنهم بهذا يستطيعون القضاء أو حتى التضييق على النبي والثلة المؤمنة معه.

قال تعالى: ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (المنافقون:7) عن زيد بن أرقم قال : [كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي يقول: (لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا). وقال أيضاً: (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل)، فذكرت ذلك لعمي، فذكر عمي لرسول الله ﷺ فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فصدقهم رسول الله وكذبني، فأصابني هم لم يصيبني مثله، فجلست في بيتي، فأنزل الله عز وجل (إذا جاءك المنافقون) . . . إلى قوله (ليخرجن الأعز منها الأذل)].[1]

إنها " قولة يتجلى فيها خبث الطبع، ولؤم السريرة، وهي خطة التجويع التي يبدو أن خصوم الحق والإيمان يتواصون بها على اختلاف الزمان والمكان، في حرب العقيدة ؛ ذلك أنهم لخسة مشاعرهم يحسبون لقمة العيش هي كل شيء في الحياة كما هي في حسهم فيحاربون بها المؤمنين"، [2] " إنها خطة قريش وهي تقاطع بني هاشم في الشعب لينفضوا عن نصرة رسول الله ﷺ ويسلموه للمشركين! وهي خطة المنافقين كما تحكيها هذه الآية لينفض أصحاب رسول الله ﷺ عنه تحت وطأة الضيق والجوع! وهي خطة الشيوعيين في حرمان المتدينين في بلادهم من بطاقات التموين، ليموتوا جوعاً أو يكفروا بالله، ويتركوا الصلاة! وهي خطة غيرهم ممن يحاربون الدعوة إلى الله وحركة البعث الإسلامي في بلاد الإسلام ، بالحصار والتجويع ومحاولة سد أسباب العمل والارتزاق، وهكذا يتوافى على هذه الوسيلة الخسيسة كل خصوم الإيمان ، من قديم الزمان ، إلى هذا الزمان، ناسين الحقيقة البسيطة التي يذكرهم القرآن بها قبل ختام هذه الآية : ﴿ ولله خزائن السماوات والأرض . ولكن المنافقين لا يفقهون ﴾ ومن خزائن الله في السماوات والأرض يرتزق هؤلاء الذين يحاولون أن يتحكموا في أرزاق المؤمنين، فليسوا هم الذين يخلقون رزق أنفسهم . فما أغباهم وأقل فقههم وهم يحاولون قطع الرزق عن الآخرين! وهكذا يثبت الله المؤمنين ويقوي قلوبهم على مواجهة هذه الخطة اللئيمة والوسيلة الخسيسة ، التي يلجأ أعداء الله إليها في حربهم ويطمئنهم إلى أن خزائن الله في السماوات والأرض هي خزائن الأرزاق للجميع

---

(1) صحيح البخاري- كتاب التفسير، سورة المنافقون،ح4617

([2]) في ظلال القرآن، 7 ، ص218

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والذي يعطي أعداءه لا ينسى أولياءه فقد شاءت رحمته ألا يأخذ حتى أعداءه من عباده بالتجويع وقطع الأرزاق . وقد علم أنهم لا يرزقون أنفسهم كثيراً ولا قليلاً لو قطع عنهم الأرزاق! وهو أكرم أن يكل عباده ولو كانوا أعداءه إلى ما يعجزون عنه البتة . فالتجويع خطة لا يفكر فيها إلا أخس الأخساء وألأم اللؤماء!."[1]

وهؤلاء" توهموا أن العزة بكثرة الأموال والأتباع، فبين الله أن العزة والمنعة لله ولرسوله والمؤمنين"[2] والمنافقون في كل زمان، ينطبق عليهم قوله تعالى: (لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا) وهذا شأن المنافقين في كل زمان يدعون بأن لهم السيادة والقيادة في المجتمعات الإسلامية، لكن الواجب على المؤمنين أن يقفوا لهم بالمرصاد، وأن يوقفوهم على حقيقة أمرهم.

ثالثا: الحصار العسكري ويوم الأحزاب

قال تعالى: ﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾(الأحزاب:10- 11) وكان سبب هذه الغزوة أن قريشاً بعد وقعة أُحد، تهادنوا مع المسلمين لمدة عام، على أن يلتقوا ببدر من العام القابل، فلم يقع قتال ببدر لتخلف أبي سفيان عن الميعاد، فلم يناوش أحد الفريقين الفريق الآخر، إلا ما كان من حادثة غدر المشركين بالمسلمين، وهي حادثة بئر معونة حين غدرت قبائل عُصَيَّةَ ، ورِعْل ، وذَكوان من بني سُليم بأربعين من المسلمين. [3]

فلما أجلى النبي ﷺ بني النَضير لِما ظهر من غدرهم به، وخيانتهم للعهد الذي لهم مع المسلمين، هنالك اغتاظ كبراء يهود قريظة بعد الجلاء، وبعد أن نزلوا بديار بني قريظة وبخيبر، فخرج سلاّم بن أبي الحُقَيق، وحُيي بن أخطب، وغيرهم، في نفر من بني النضير فقدموا على قريش لذلك، وتآمروا مع غطفان على أن يغزوا المدينة، فخرجت قريش وأحابيشها وبنو كنانة في عشرة آلاف وقائدهم أبو سفيان، وخرجت غطفان في ألف قائدهم عيينة بن حصن، وخرجت معهم هوازن وقائدهم عامر بن الطُفَيل، وبلغ رسولَ الله ﷺ عزمهم على منازلة المدينة أبلغتْه إياه خزاعة وخاف المسلمون كثرةَ عدوّهم. [4]

أشار سلمان الفارسي أن يُحْفر خندق يحيط بالمدينة تحصيناً لها من دخول العدوّ، فاحتفره المسلمون والنبي ﷺ معهم يحفر وينقل التراب، وكانت غزوة الخندق، وعندما تم حفر الخندق، أقبلت جنود المشركين وتسمّوْا بالأحزاب لأنهم عدة قبائل تحزبوا، وصاروا حِزباً واحداً، وانضمّ إليهم بنو قريظة، فكان ورود قريش من أسفل الوادي من جهة المغرب، وورود

([1]) في ظلال القرآن، 7 ، ص218

([2]) الجامع لأحكام القرآن: ج18، ص129.

([3]) التحرير والتنوير، ج21 ، ص277.

([4]) السيرة النبوية لابن هشام ، ج4 ، ص177.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

غطفان وهوازنَ من أعلى الوادي من جهة المشرق، وكان جيش المسلمين ثلاثة آلاف؛ وخرج المسلمون إلى خارج المدينة فعسكروا، والخندقُ بينهم وبين العدوّ، وحاصر المشركون المدينة، حصارا عسكريا محكما، ودام هذا الحال بضعاً وعشرين ليلة لم تكن بينهم فيها حرب؛ إلا مصارعة بين ثلاثة فرسان اقتحموا الخندق من جهة ضيقة على أفراسهم، فتقاتلوا، وقُتل أحدهم قتلَه علي بن أبي طالب وفرّ صاحباه، ولحقت المسلمين شدّة من الحصار، وخوف من كثرة جيش عدوّهم؛ حتى همّ النبي ﷺ بأن يصالح الأحزاب على أن يعطيهم نصف ثمر المدينة في عامهم ذلك، وكاد أن يكتب معهم كتاباً في ذلك، فاستشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، فقال سعد بن معَاذ: قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك، ولا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرىً، أو بَيْعاً ، أفحين أكرَمَنا الله بالإسلام، وأعزَّنا بك، نعطيهم أموالنا،! والله لا نعطيهم إلا السيف؛ حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فأبطل رسول الله ﷺ ما كان عزم عليه. [1] واشتد الحصار على المسلمين، وأرهقوا إرهاقا شديدا، ولقد تحدث القرآن الكريم عن حالة الحرج، والتدهور، التي أصابت المسلمين، ووصف ما وصل إليه المسلمون- من جزع، وخوف، وفزع، في تلك المحنة الرهيبة – أصدق وصف حيث قال: ﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾ وكان ظن المسلمين بالله قوياً، وقد سجله القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً﴾(الأحزاب: 22) وهذا الموقف المشرف من المؤمنين يتباين كل التباين على موقف المنافقين الذي كان على العكس تماماً.

موقف المنافقين من حصار المدينة:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً * وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً﴾(الأحزاب:12- 13) وهذه عادة المنافق عند الشدة والمحنة، لا يثبت إيمانه، وينظر بعقله القاصر، إلى الحالة القاصرة، ويصدق ظنه، ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ من المنافقين، بعد ما جزعوا وقلَّ صبرهم، وصاروا أيضًا من المخذولين، فلا صبروا بأنفسهم، ولا تركوا الناس من شرهم، فقالت هذه الطائفة: ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾ يريدون " يا أهل المدينة " فنادوهم باسم الوطن، وهذا إشارة إلى أن الدين والأخوة الإيمانية، ليس له في قلوبهم قدر، وأن الذي حملهم على ذلك، مجرد الخور الطبيعي، {يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ} أي: في موضعكم الذي خرجتم إليه خارج المدينة،

([1]) انظر: التحرير والتنوير، ج21 ، ص279

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكانوا عسكروا دون الخندق، وخارج المدينة، ﴿فَارْجِعُوا﴾ إلى المدينة، فهذه الطائفة تُخَذِّل عن الجهاد، وتبين أنهم لا قوة لهم بقتال عدوهم، ويأمرونهم بترك القتال، فهذه الطائفة، شر الطوائف وأضرها، وطائفة أخرى دونهم، أصابهم الجبن والجزع، وأحبوا أن ينخذلوا عن الصفوف، فجعلوا يعتذرون بالأعذار الباطلة، وهم الذين قال اللّه فيهم: ﴿ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ أي: عليها الخطر، ونخاف عليها أن يهجم عليها الأعداء، ونحن غُيَّبٌ عنها، فَأْذَنْ لنا نرجع إليها، فنحرسها، وهم كذبة في ذلك، {وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ} أي: ما قصدهم ﴿إِلا فِرَارًا﴾ ولكن جعلوا هذا الكلام، وسيلة وعذرًا لهم، فهؤلاء قل إيمانهم، وليس له ثبوت عند اشتداد المحن.[1] وهذا هو دور المنافقين في كل زمان، التخذيل، والتثبيط، ونشر الفوضى، وحرب الإسلام مع اغتنام الفرص.

المطلب الثالث: وسائل كسر الحصار

أولاً: الصبر

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ*وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال:45-46) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ*يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ*الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال:64-66) ذلك أن الله أوجب على المسلمين قتال المشركين، فإذا أقدم المسلمون على القتال لم يكن نصرهم إلا بصبرهم وتأييد الله إياهم، فلو انكشفوا لأعمل المشركون الرماح في ظهورهم فاستأصلوهم، فلذلك أمرهم الله ورسوله بالصبر والثبات، فيكون ما في هذه الآية هو حكم الصبر عند اللقاء، وفيه أيضا، النهي عن أن تولوا المشركين الأدبار، وتنبيها إلى أن الله هو الذي يدفع المشركين عنكم وأنتم أقل منهم عَددا وعُدة، وذلك لأمن المسلمين، وهو توجيه لنهيهم عن أن يولوهم الأدبار. وأَمْرهم الصبر والثبات، وهو تعريض بضمان تأييد الله إياهم إن امتثلوا لقوله: (واصبروا إن الله مع الصابرين) فإنهم إذا امتثلوا ما أمرهم الله كان الله ناصرهم، وذلك يؤكد الوعيد على تولية الأدبار، بقوله: ﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (الأنفال:16) لأنه يقطع

([1]) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص660

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عذر المتولين والفارين.[1] وقد قال النبي ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو، وانتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس خطيبا قال: [أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف". ثم قال: اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم][2]

واستعمل النبي ﷺ سلاح التشكيك والدعاية لتمزيق ما بين الأحزاب من ثقة وتضامن فلقد كان يعلم ﷺ أن هناك تصدعاً خفياً بين صفوف الأحزاب، فاجتهد أن يبرزه ويوسع شقته ويستغله في جانبه، فقد سبق أن أطمع غطفان ففك عزمها، وهو الآن في الساعات الحرجة، إذ أسلم سراً نعيم بن مسعود الغطفاني، وأتى النبي ﷺ ليعلن إسلامه، فقال له النبي ﷺ: "خذل عنا، فإن الحرب خدعة" وبدأ يخذل عن النبي ﷺوصحابته.[3] وقد نجحت دعاية نعيم بن مسعود أيما نجاح، فغرست روح التشكيك وعدم الثقة بين قادة الأحزاب، ووقع الخلاف الشديد بين الأحزاب واليهود، مما أدى إلى كسر شوكتهم وتثبيط عزيمتهم.[4] وأرسل الله على جيش المشركين ريحاً شديدة فأزالت خيامهم وأكْفأت قدورَهم وأطفأت نيرانهم ، واختلّ أمرهم، وهلك كراعهم وخُفهم، وحدث تخاذل بينهم وبين قريظة، وظنت قريش أن قريظة صالحت المسلمين، وأنهم ينضمون إلى المسلمين على قتال الأحزاب، فرأى أهل الأحزاب الرأي في أن يرتحلوا، فارتحلوا عن المدينة، وانصرف جيش المسلمين راجعاً إلى المدينة. والريح المذكورة هنا هي ريح الصَّبا، وكانت باردة، وقلعت الأوتاد والأطناب، وسفت التراب في عيونهم، وماجت الخيل بعضها في بعض، وهلك كثير من خيلهم وإبلهم وشائهم. وفيها قال النبي ﷺ: [نُصرتُ بالصَّبا وأُهلكتْ عاد بالدبور]. والجنود التي لم يروها هي جنود الملائكة الذين أرسلوا الريح، وألقوا التخاذل بين الأحزاب، وكانوا وسيلة إلقاء الرعب في نفوسهم، ولأن الله عليم بما لقيه المسلمون من المشقة والمصابرة في حفر الخندق، والخروج من ديارهم إلى معسكرهم خارج المدينة، وبذلهم النفوس في نصر دين الله، جازاهم بالنصر المبين قال تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ (الأحزاب:25) " فسلط عليهم هواء فرق شملهم، كما كان سبب اجتماعهم من الهَوَى، وهم أخلاط من قبائل شتى، أحزاب وآراء، فناسب أن يرسل عليهم الهواء الذي فرق جماعتهم، وردهم خائبين خاسرين بغيظهم وحَنَقهم، لم ينالوا خيرًا لا في الدنيا، مما كان في أنفسهم من الظفر والمغنم، ولا في الآخرة بما تحملوه من الآثام في مبارزة الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، بالعداوة، وهمهم بقتله، واستئصال جيشه، ومَنْ هَمّ بشيء وصَدق هَمَّه بفعله، فهو في الحقيقة كفاعله".[5] فالجيش القرشي لم يعتاد هذا الجو البارد القارص، فمكة جوها دافئ في الشتاء، مما جعلهم يتضررون أشد الضرر بهذه الريح الباردة، وجعلهم يفكرون جدياً بالرجوع، وانقلب الحال وأصبح النبي ﷺ يلاحق أعداءه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: [لما

([1]) انظر: التحرير والتنوير، ج9 ، ص292

([2]) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس، ح2804 .

([3]) تهذيب الآثار، لمحمد بن جرير الطبري، ج4، ص175.

([4]) انظر: سيرة ابن هشام ج3، ص278 بتصرف

([5]) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج6 ، ص396

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل عليه السلام فقال: وضعت السلاح، والله ما وضعناه، فاخرج إليهم، قال: أين؟ قال: ها هنا، وأشار إلى قريظة، فخرج النبي ﷺ إليهم][1] وقال النبي ﷺ حين أجلى الأحزاب عنه: [الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير إليهم].[2]

ثانياً: الجهاد في سبيل الله

قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(البقرة:195) "هذه الجملة معطوفة على جملة ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾(البقرة:190) فإنهم لما أمروا بقتال عدوهم وكان العدو أوفر منهم عدة حرب، أيقظهم إلى الاستعداد بإنفاق الأموال في سبيل الله، فالمخاطبون بالأمر بالإنفاق جميع المسلمين لا خصوص المقاتلين".[3]

وأعظم الإنفاق ما كان في الجهاد في سبيل الله، فإن النفقة فيه جهاد بالمال، وهو فرض كالجهاد بالبدن، وفيها من المصالح العظيمة، الإعانة على تقوية المسلمين، وعلى توهية الشرك وأهله، وعلى إقامة دين الله وإعزازه، فالجهاد في سبيل الله لا يقوم إلا على ساق النفقة، فالنفقة له كالروح، لا يمكن وجوده بدونها، وفي ترك الإنفاق في سبيل الله، إبطال للجهاد، وتسليط للأعداء، وشدة تكالبهم، فيكون قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ كالتعليل لذلك، والإلقاء باليد إلى التهلكة يرجع إلى أمرين: ترك ما أمر به العبد، إذا كان تركه موجبا أو مقاربا لهلاك البدن أو الروح، وفعل ما هو سبب موصل إلى تلف النفس أو الروح، فيدخل تحت ذلك أمور كثيرة، فمن ذلك، ترك الجهاد في سبيل الله، أو النفقة فيه، الموجب لتسلط الأعداء، ومن ذلك تغرير الإنسان بنفسه في مقاتلة أو سفر مخوف، أو محل مسبعة أو حيات، أو يصعد شجرا أو بنيانا خطرا، أو يدخل تحت شيء فيه خطر ونحو ذلك، فهذا ونحوه، ممن ألقى بيده إلى التهلكة.

ولما كانت النفقة في سبيل الله نوعا من أنواع الإحسان، أمر بالإحسان عموما فقال: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ وهذا يشمل جميع أنواع الإحسان، لأنه لم يقيده بشيء دون شيء، فيدخل فيه الإحسان بالمال كما تقدم.[4] وقد بين النبي ﷺ أن الرزق يبارك فيه ويكثر بالجهاد في سبيل الله فقال: [جعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري][5] وقد رأينا كيف أنعم الله على المسلمين وفتح عليهم الأرزاق بعد غزوة بدر.

([1]) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب،ج5، ص111، ح4117.

([2]) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق،ج5،ص110،ح4109.

([3]) التحرير والتنوير ،2، 212،

([4]) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص90

([5]) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في الرماح، ح1066

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن حصار قطاع غزة من قبل الكيان الإسرائيلي والرباعية وأمريكيا يتشابه تماماً مع حصار النبي صلى الله عليه وسلم حيث يعتبر وصمة عار في جبين هذا العالم الذي ينادي بحقوق الإنسان والمساواة بين الجميع ومحاربة الظلم وتحقيق العدل وغيرها من الشعارات التي تصطدم بالحضارة والازدهاء والتقدم الذي يتغنون به.

إن حصار غزة يستهدف فئة مؤمنة ملتزمة بمبادئها ، متمسكة بثوابتها ، لا تقبل أنصاف الحلول مهما كانت المغريات ،ورغم هذا الحصار الذي ابتدأ منذ 4 سنوات مضت تخلله حصار خانق وقتل وانتهاك تسبب في قتل المئات من أبناء شعبنا الفلسطيني ، إلا أن الراية ما زالت مرفوعة ، والقلاع ما زالت محصنة شامخة عصية على الاختراق .

والتاريخ يتكرر اليوم في قطاع غزة فالفرق بين من كانوا في شعب ابي طالب ومن هم الان في شعب قطاع غزة أن المسلمين جميعاً كانوا في الشعب ولم يكن احد منهم بالخارج ليتحرك لفك الحصار فهم محصورين ومحاصرين مع النبي صلى الله عليه وسلم .

واليوم المحاصر والمحصور هم جماعة صغيرة كنقطة فى محيط وفى الخارج المليار والنصف من المسلمين لا يتحركون لفك الحصار أو الشجب والاستنكار إننا بالفعل نعيش اليوم في زمن الغثائية رغم انتشار الإسلام في كافة أرجاء الأرض .

والغريب في ذلك أن من فك الحصار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضا من المشركين ، صمدوا حتى قهروا بقية أهلهم من المشركين ورفع الحصار عن محمد وصحبه ومن فى الشعب جميعا واليوم يا للعجب من يحاول فك الحصار والمقاطعة عن أهل غزة هم الأوربيون وقوافل كسر الحصار التي انطلقت من البلدان الأوربية

إن ثمة اتفاق يوحد بين ملِ الكفر – في الماضي والحاضر والمستقبل – هو محاربة الإسلام ومحاصرة المؤمنين، وعدم الرضا إلا بمللهم المنحرفة **{حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ}**.

إن الحصار عن قطاع غزة بدأ يتفكفك وذلك بعد سنوات من ثبات شعبنا الفلسطيني على مبدأه وثوابته فكان بإمكان شعبنا الفلسطيني أن يرفع الحصار من الوهلة الأولى وذلك باعتراف لدولة الكيان المسخ إسرائيل فوق أرضه وباعتراف شروط الرباعية ولكن الثبات والإرادة والصبر الذي تحلى بها شعبنا أثبتت انها الأنجع في الوصول إلى الهدف وتحقيق المراد.

إن شعبنا الفلسطيني بعد 4 سنوات محكمات من الحصار بدأ يتنسم عبير الحرية من خلال قوافل كسر الحصار التي تصل لقطاع غزة ومن خلال الهبات والثورات العربية التي تخدم عدالة قضيته وتساند شعبنا وتعمل على كسر الحصار عن قطاع غزة وإنهاء الاحتلال الصهيوني لأرضنا وبلادنا المقدسة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة:

كان الحديث في هذا المبحث عن الحصار في ضوء القرآن الكريم وتعريف الحصار وانواعه واشكاله وكيف تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع الحصار في شعب أبي طالب وكيف تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع حصار الأحزاب للمدنية المنورة.

وذكرت في هذا المبحث وسائل كسر الحصار التي استخدمها الحبيب صلى الله عليه وسلم في كسر الحصار عن الشعب وكيف تحولت الفئة القليلة المحاصرة إلى كثرة وأخذت بعدها الشعبي والإعلامي في مكة والمدينة وأصبحت حديث الساعة في ذلك الوقت مما دفع الناس أن يتعاطفوا ويتضامنوا مع هؤلاء المحاصرين .

لقد بدا الحصار واضحاً بأسلوب من أساليب الكفر والظلم في مواجهة أهل الإيمان وبدأت طريقة الأنبياء في تعاملهم مع هذه الوسيلة القاسية واضحة من خلال ما ذكرته في المبحث وعلى كل الأحوال يمكن القول أن الصور المختلفة للحصار كانت دائماً تبوء بالفشل على المحاصرين وتحقق الخير والنصر لأهل الحق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

التهديد بالقتل

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تهديد إبراهيم عليه السلام بالقتل.

المطلب الثاني: تهديد موسى عليه السلام بالقتل.

المطلب الثالث: محاولة قتل النبي ﷺ وأتباعه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

التهديد بالقتل

تعريف القتل لغةً :

فعل يحصل به زهوق الرّوح يقال : قتله قتلاً : أزهق روحه ، والرّجل قتيل والمرأة قتيل إذا كان وصفاً ، فإذا حذف الموصوف جعل اسماً ودخلت الهاء نحو : رأيت قتيلة بني فلان[1] .

تعريف القتل اصطلاحاً:

يقال : قتله بضرب أو حجر أو سمّ : أماته. لا يخرج المعنى الاصطلاحيّ عن المعنى اللّغويّ : إنّ القتل فعل من العباد تزول به الحياة[2]

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾(الفرقان:68-69) ذكر الله تنزه عباد الرحمن عن الشرك، وقتل النفس والزنا، وهذه القبائح الثلاث كانت غالبة على المشركين، ووَصْفُ النفس بالتي حرم الله، بيانٌ لحُرمة النفس التي تقررت من عهد آدم فيما حكى الله من محاورة ولدَيْ آدم بقوله: ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾(المائدة:27)، فتقرر تحريم قتل النفس من أقدم أزمان البشر، ولم يجهله أحد من ذرية آدم، فذلك معنى وصف النفس بالموصول في قوله: التي حرم الله وكان قتل النفس متفشياً في العرب بالعداوات، والغارات، وبالوأْد في كثير من القبائل، وبالقتل لفرط الغَيرة، وقوله: (إلا بالحق) تهيئة لمشروعية الجهاد.[3] ورغم حرمة القتل فقد استخدمه أعداء دين الله كوسيلة رئيسة لثني أتباع دين الله عن دينهم، وقد قسم الباحث هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب، على النحو التالي:

المطلب الأول: تهديد إبراهيم عليه السلام بالقتل:

قال تعالى ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(العنكبوت24) وقال تعالى ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ (الأنبياء:68) قال إبراهيم عليه السلام موبخا قومه، ومعلنا شركهم على رءوس الأشهاد، ومبينا عدم استحقاق آلهتهم للعبادة: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾(الأنبياء:66) فلا نفع ولا دفع. ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾(الأنبياء:67) فما أضلكم وأخسر صفقتكم، وما

---

(1) لسان العرب، لابن منظور، ج11، ص552

(2) المصدر السابق الصفحة والجزء.

(3) انظر: التحرير والتنوير، ج19، ص73.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أخسكم، أنتم وما عبدتم من دون الله، إن كنتم تعقلون، عرفتم هذه الحال، وارتكبتم الجهل والضلال على بصيرة، صارت البهائم، أحسن حالا منكم. فحينئذ لما أفحمهم، ولم يبينوا حجة، استعملوا قوتهم في معاقبته.[1]

وكان قوم إبراهيم عليه السلام الذين ولد فيهم، يعبدون الكواكب السيّارة، والأصنام، حتى كاد أن يكون لكل منهم صنم خاص به، سواء الأغنياء، أو الفقراء منهم. وقد عاب إبراهيم عليه السلام على قومه شركهم بالله، وعبادتهم الأصنام، وجادل أباه وقومه في ذلك، ثم أراد أن يلفت أنظارهم إلى باطل ما هم عليه من عبادة غير الله؛ بما جاء به من حجج مقنعة، وقوية، وقيامه بتكسير أصنامهم إلا كبيرهم، ولكن لم يرجعوا عن كفرهم وضلالهم[2] فكان قرارهم هو إحراق إبراهيم عليه السلام بعد مواجهات معهم كانت على النحو التالي:

1- حواره مع أبيه:

بدأ إبراهيم عليه السلام حوارا مع أبيه، بالدعوة إلى الله فنهاه عن عبادة الأصنام قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾(الأنعام74) لقد أنكر إبراهيم عليه السلام على أبيه عبادة الأصنام، وقال له: إني أراك وقومك تسلكون مسلك الضلال، فأنتم لا تهتدون إلى الطريق الصحيح، إنكم تائهون لا تهتدون إلى أين تذهبون، إن ضلالكم هذا واضح لا شبهة فيه لأن الأصنام والأوثان التي تعبدونها، والتي اتخذتموها آلهة لكم لا تصلح أن تكون آلهة في أنفسها[3] لكن هذه المواجهة، لم تقنع والد إبراهيم عليه السلام لأتباعه، فكان نصيبه الهلاك، قال النبي ﷺ [يَلْقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك لا تعصني ؟ فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب ، إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يُبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله: إني حرَّمتُ الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم، ما تحتَ رجليك؟ فنظر، فإذا هو بِذِيخٍ[4] متلطخ، فيؤخذ بقوائمه، فيُلْقى في النَّار]. [5]

([1]) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص526

([2])انظر صحيح قصص الأنبياء لابن كثير، بقلم أبي أسامة الهلالي ص103.

([3]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري ج9 ص342.

([4]) الذِّيخ : ذكر الضّباع والأنثى ذِيخة، وأراد بالتلطّخ التلطُّخ برَجيعِه، أو بالطِّين، وفي رواية، فيمسخ الله أبا إبراهيم عليه السلام ضبعا، فيأخذ بأنف إبراهيم عليه السلام، فيقول: يا عبدي أهذا أبوك. فيقول إبراهيم عليه السلام: لا وعزتك. انظر فتح الباري ج8 ص494.

([5]) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {واتخذ الله إبراهيم خليلا} ح3350.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- حواره مع قومه:

توجه إبراهيم عليه السلام إلى قومه مبلّغا رسالته ودينه، وقد آمن وأيقن أن الله واحد لا شريك لـــه، وبدأ يضرب الأمثال لقومه، مخفيا عنهم حقيقة إدراكه، يريد إقناعهم دون أن يكشف أمره، لعلهم يستجيبون، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ*فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ* فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ*فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ*إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام75-79) فتح الله بصيرة إبراهيم، فألهمه إلى قدرته في ملكوت السموات والأرض، وقـد كـان آزر وقومه يعبدون الأصنام، والكواكب، والشمس، والقمر، فأراد أن ينبههم على الخطـأ، فلمـا رأى كوكبا قال لقومه هذا ربي على زعمكم، لأنهم كانوا يعبدون الكواكب والشمس والنجوم والقمـر، وكذلك قال إبراهيم لقومه عن القمر: إنه ربي على زعم أنكم تقولون أنه إله ورب، وكذلك عـن الشمس، فلما غابت وأَفَلت، وقد رأى أفول الشمس قال للناس مبرّئا نفسه من الكفر والشرك: إني بريء من شرككم بالله تعالى ومن هذه الأصنام، التي جعلتموها آلهة مع الله، وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ*إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1] وبذلك يكون إبراهيم عليه السلام حنيفا، أي مائلا للحق ومنحازا له، وينفي إبراهيم عليه السلام عن نفـسه الـشرك؛ ولكن القوم لم يقتنعوا بكل هذه الحجج القويّة والدعوة الواضحة. وتشتد المواجهة، ويقرر إبراهيم عليه السلام تكسير أصنامهم ، قال تعالى: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ* فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ* قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ*قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ*قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ* قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ* قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ (الأنبياء57-63) أقسم عليه السلام أن يحطم أصنامهم بعد أن يلهوا في عيدهم، فدعاه أبوه ليحضر العيد {فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ} (الصافات89) ولمـا خرجـوا إلى عيدهم ذهب مسرعا متخفيا، وحطم أصنامهم؛ إلا كبيرهم كما بينت الآيـة، وبعـد عـودتهم تفاجئوا بالحدث، فتذكروا أن الذي توعدهم هو إبراهيم عليه السلام الـذي أفحمهـم بإجابتـه.[2] لكـنهم سرعان ما عادوا، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ (الأنبيـاء65)

([1]) انظر فتح القدير ج2 ص133 ، في ظلال القرآن ج2 ص1141.

([2]) انظر صحيح قصص الأنبياء ص110.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهنا أعلن إبراهيم عليه السلام دعوته، قال تعالى: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء66-67)

3- **القرار بالقتل:**

قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء68) وهنا يأتي القرار الجائر بالقتل، فعندما أعيتهم الحيلة في دفع إبراهيم، وعجزوا عن مجادلته، قالوا ظلماً وعدواناً: حرقوا إبراهيم، وهذا ميلا منهم إلى إظهار الغلبة بأي وجه كان، وعلى أي أمر اتفق، ولهذا قالوا: ﴿وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ انصروها بالانتقام من هذا الذي فعل بها ما فعل، إن كنتم فاعلين للنصر[1] قال ابن كثير: "شرعوا يجمعون حطبا، من جميع ما يمكنهم من الأماكن، فمكثوا مدة يجمعون له، ثم عمدوا إلى حفرة عظيمة، فوضعوا فيها ذلك الحطب، وأطلقوا فيه النار، فتأججت والتهبت، وعلا لها شرر لم ير مثله قط، ثم وضعوا إبراهيم في كفة منجنيق، صنعه لهم رجل من الأكراد، ثم أخذوا يقيدون إبراهيم عليه السلام، ويكتفونه، وهو يقول: لا إله إلا أنت سبحانك، لك الحمد ولك الملك، لا شريك لك، فلما وضع الخليل عليه السلام في كفة المنجنيق مقيداً مكتوفاً، ثم ألقوه إلى النار، قال: حسبنا الله ونعم الوكيل".[2]

4- **نجاة إبراهيم عليه السلام من القتل:**

عن ابن عباس أنه قال [حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قيل له ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران173)].[3] ودخلت امرأة على السيدة عائشة -رضي الله عنها- فرأت في بيتها رمحا موضوعا فقالت: [يا أم المؤمنين، ما تصنعين بهذا ؟ قالت: نقتل به هذه الأوزاغ. فإن نبي الله ﷺ أخبرنا أن إبراهيم لما ألقي في النار، لم تكن في الأرض دابة إلا أطفأت النار، غير الوزغ[4]، فإنها كانت تنفخ عليه فأمر رسول الله ﷺ بقتله].[5]

وقيل لما ألقي إبراهيم في النار التي أعدها له نمرود ليحرقه فيها، قال: اللهم أنت في السماء واحد وأنا في الأرض واحد أعبدك فرأى نفسه واحدا لله في أرضه وهي مرتبة الانفراد

([1]) انظر فتح القدير ج3 ص415 ، البداية والنهاية ج1 ص137.

([2]) البداية والنهاية ج1 ص137.

([3]) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم الآية 4563.

([4]) الوزغ: جَمْع وَزَغَة بالتَّحْريك وهي التي يُقال لها : سَامٌّ أبْرَصَ وهو نوع من الزواحف أشبه بالسحلية يقال له(أم بريص) ، انظر النهاية في غريب الأثر لابن الأثيرج5 ص394.

([5]) رواه البخاري دون تفصيل ، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: واتخذ الله إبراهيم خليلا ح3359. سنن ابن ماجة، كتاب الصيد، باب قتل الوزغ ح3231 صححه الألباني ، ورواه البخاري دون تفصيل ، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: واتخذ الله إبراهيم خليلا ح3359 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالله وذلك أعظم المراتب فهو قد جاز مقام الهيبة والأنس، إلى مقام الأمانة والإمامة، فالله أمان لأهل الأرض في كل محفل وعرض[1] وهنا تتجلى قدرة الله عزّ وجل، قال تعالى: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ إنها قدرة المولى، فهو يعلم بأنهم لن يصلوا إليه، وهو مكنهم من إيقاد النار، فما أرسل سحابة تمطر فتطفئ عليهم النار، ولم يجر سيولاً على النار، وما أنزل عليهم صواعق تهلكهم، وكل هذا في قدرة الله؛ لتكتمل المعجزة، وتظهر الآية، وما أعظمها من آية ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾. قال الشنقيطي: " ذكروا عن نبي الله إبراهيم أنهم لما كتفوه مجرداً ورموه إلى النار، قال له جبريل: هل لك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، وأما إلى الله فنعم؟ قال: لم لا تسأله؟ قال: علمه بحالي كاف عن سؤالي. وما ذكر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة: من أنه أمر النار بأمره الكوني القدري أن تكون برداً وسلاماً على إبراهيم: يدل على أنه أنجاه من تلك النار لأن قوله تعالى: ﴿كُونِي بَرْدًا﴾ يدل على سلامته من حرِّها وقوله: ﴿وَسَلاماً﴾. يدل على سلامته من شرِّ بردها الذي انقلبت الحرارة إليه وإنجاؤه إياه منها الذي دل عليه أمره الكوني القدري هنا، جاء مصرحاً به في العنكبوت، في قوله تعالى: ﴿فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ (العنكبوت24) وأشار إلى ذلك هنا بقوله: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾ (الأنبياء71)." [2] قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت24).

المطلب الثاني: تهديد فرعون لنبي الله موسى عليه السلام بالقتل:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ * وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ * وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (غافر 26:-28).

قد كان بنو إسرائيل في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم وقد سُلِط عليهم فرعون يستعملهم في أخس الأعمال، ويكُدُّهُم ليلا ونهارًا في أشغاله وأشغال رعيته، ويقتل مع هذا أبناءهم، ويستحيي نساءهم، إهانة لهم واحتقارا، وخوفا من أن يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأهل مملكته منه، ويكون سببا في هلاكه وذهاب دولته على يديه[3]

وقد بين الله في كتابه نِعَمَهُ على بني إسرائيل، وأنه أنعم عليهم بأن رفع عنهم العذاب، ومنع عنهم العذاب، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ

([1]) انظر: فيض القدير ، ج5 ص298، ح7374.

([2]) أضواء البيان ج4 ص641.

([3]) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ج3 ص490.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (البقرة 49-50) وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ (الأعراف141)

قال الشعراوي: "كلمة نجَّى وكلمة أنجى بينهما فرق كبير كلمة نَجَّى تكون وقت نزول العذاب وكلمة أنجى يمنع عنهم العذاب الأولى للتخليص من العذاب والثانية يبعد عنهم عذاب فرعون نهائيا . ففضل الله عليهم كان على مرحلتين مرحلة أنه خلصهم من عذاب واقع عليهم والمرحلة الثانية أنه أبعدهم عن آل فرعون فمنع عنهم العذاب"[1]

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ قال ابن كثير:"أي خلصتكم منهم وأنقذتكم من أيديهم بصحبة موسى -عليه السلام-، وقد كانوا يسومونكم، أي: يوردونكم ويذيقونكم ويولونكم سوء العذاب وذلك أن فرعون -لعنه الله- كان قد رأى رؤيا هالته، رأى نارا خرجت من بيت المقدس فدخلت دور القبط ببلاد مصر، إلا بيوت بني إسرائيل، مضمونها أن زوال ملكه يكون على يدي رجل من بني إسرائيل"[2] وقد تحققت رؤيا فرعون، فكان أن ولد موسى، وكفله فرعون، وأصبح رجلا قويا، وبدأت محنته مع فرعون قبل النبوة، حيث كانت النجاة الأولى له من القتل، وبعد النبوة نجا وقومه من بطش فرعون.

أولا: قصة محاولة قتل موسى عليه السلام قبل النبوة:

قال تعالى : ﴿وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ (طه:40) قال الشنقيطي: " لم يبين هنا جل وعلا في هذه الآية الكريمة سبب قتله لهذه النفس، ولا ممن هي، ولم يبين السبب الذي نجاه به من ذلك الغمّ، ولا للفتون الذي فتنه، ولكنه بين في سورة القصص، خبر القتيل المذكور في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (القصص: 15-16)، وأشار إلى القتيل المذكور في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (القصص 33)، وقد أشار تعالى في سورة القصص أيضاً إلى غمّ موسى، وإلى

([1]) تفسير الشعراوي ج1 ص330.

([2]) تفسير ابن كثير ج1 ص120.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السبب الذي أنجاه الله به منه في قوله: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ* فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص:20-21)[1] والذي يظهر أن موسى كان مخالفا لمذهب فرعون قبل النبوة ، وذلك يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾. قال أبو اسحق الحويني: " قوله تعالى:{وَدَخَلَ} إشارة إلى أنه خرج منها، فيا ترى كيف خرج؟ ولماذا خرج؟ وهو ربيب فرعون الذي رباه في قصره، فكان المناسب أن يكون من أهل المدينة؛ لكن قوله عز وجل: {وَدَخَلَ} إشارة إلى أنه فارقها، ويدل على هذا أيضاً قوله تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ فقد صار موسى معروف المذهب مخالفاً لفرعون، حتى إنه صار له شيعة وأتباع، ولو لم يعرف الرجل، أن موسى لم يبق ربيبا عند فرعون، ما استغاث به، فهذا يدلنا على أن موسى عليه السلام فارق بيئة الظلم والقصر، وترك كل ذلك وخرج، وأظهر مخالفة فرعون فعلاً، فصار يخاف على نفسه فخرج"[2] ولما دخل المدينة كانت الحادثة ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ عن ابن عباس – رضي الله عنهما– في قوله ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ﴾ قال: إسرائيلي، ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ قال: قبطي، ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ﴾ الإسرائيلي ﴿عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ القبطي ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾، قال: فمات، قال : فكَبُرَ ذلك على موسى عليه السلام[3]

ولكن الحادثة تكررت، رغم خوف موسى مما حدث، قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ* فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (القصص18– 19) نظر موسى إلى الإسرائيلي وأقبل عليه ليخلصه وقال له: إنك لذو فساد في الخلق والدين؛ لأنك أمس قاتلت واليوم تقاتل أيضا. فظن الإسرائيلي أن موسى يريد قتله فقال: ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ﴾ أي تضرب وتقتل كما تشاء ولا تخاف عقوبة ذلك بدلا من أن تكون من الذين يصلحون بين المتخاصمين، فلما سمع القبطي ما قال مقاتله الإسرائيلي، نقلها إلى القصر وكان من عماله، فاجتمع رجال

([1]) أضواء البيان ج4 ص444 بتصرف.

([2]) الشاملة الحديثة ، دروس الشيخ أبو إسحاق الحويني ج2 ،ص130.

([3]) انظر: الدر المنثور ج11 ص437.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القصر برئاسة فرعون يتداولون القضية، وينظرون إلى ظروفها ونتائجها وما يترتب عليها[1]وهنا لا بد للباحث من توضيح وهو: أن موسى عليه السلام لم يقتل عن عمد ليحاول القتل عن عمد مرة أخرى كما يصور البعض، وإنما حاول موسى أول مرة دفع أذى الكافر، عن الإسرائيلي المضطهد بضرب القبطي، بوكزه وليس بقتله، والذي أراده موسى عليه السلام في المرة الثانية هو نفس ما أراده في الأولى وهو: دفع أذى الكافر عن الإسرائيلي المضطهد بضربه والبطش به ، وهذا هو الظاهر من الآيات القرآنية، وليس في الآيات ما يدل على أنه تعمد قتل القبطي في المرتين، ومن ادعى أن موسى عليه السلام كان متعمداً للقتل في أي منهما فعليه أن يأتي بالدليل.

وعليه أصبح موسى مطلوبا لفرعون وجيشه ، وبسبب سرعة توبته وندمه وحرصه على الإصلاح ، وإقامة العدل ، دون محاباة حتى ولو كان على نفسه تاب الله عليه ، ومما يدل على عدله وصدق توبته ، قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ* قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (القصص15-16) وسخر الله لموسى من ينقل له أخبار فرعون ومكائده، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ* فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص:20-21)

أرسل فرعون إلى موسى من يطلبه ، ويأتي به للقتل، فجاء رجل من أبعد المدينة – يقال إنه مؤمن آل فرعون ويقال غيره- يخفي أمره، وأخبر موسى بأن فرعون وملأه يريدون قتله ، ونصحه بالخروج من مصر، قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فخرج يلتفت ويترقب ، وأفلت من القوم فلم يجدوه، وخرج في حال فزعه إلى طريق مدين ، وكان موسى لا يعرف ذلك الطريق، ولم يصحب أحدا، فسار واثقا بالله ومتوكلا عليه، وقال في هذه المحنة العصيبة ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص21) واحمني من شرهم وسوئهم، فاستجاب الله دعاءه ونجاه من فرعون وبطشه، فسدده إلى الطريق ، وجعله تحت رعايته ، وعنايته وعصمته[2] ونجى الله موسى لتبدأ مرحلة جديدة في حياته ، فيستقر في مدين فترة ، ويسمع على لسان شعيب، أنه أصبح في مأمن من فرعون قال تعالى: ﴿جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص25) ويتزوج ويمضي فترة العقد الذي عقده مع شعيب، ويُعِدُّهُ الله لمهمةٍ عظيمة، وهي الرسالة، فيرسله إلى فرعون ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾

([1]) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج 4 ص 61.

([2]) انظر: التفسير الوسيط ج3 ص1910.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(النازعات17) ويطلب موسى هارون ليعينه على هذه المهمة ، ويكلفهم الله جميعا ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه: 43-44) ويعود موسى إلى مصر ويأخذ هارون وينطلق إلى فرعون، ويبدأ الصراع من جديد مع فرعون وقومه.

ثانيا : محاولة قتل موسى عليه السلام وقومه بعد النبوة:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ﴾ (البقرة50) لم يستجب فرعون لموسى، وظل وقومه على كفرهم، وعتوهم، وعنادهم، ومخالفتهم لنبي الله موسى عليه السلام، وأقام الله على أهل مصر الحجج العظيمة القاهرة، وأراهم من خوارق العادات ما بهر الأبصار، وحير العقول، وهم مع ذلك لا ينتهون، ولا يرجعون. وتمادى فرعون في سطوته وجبروته، وكفره، وطغيانه، يتعالى في الأرض: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (يونس83) في جميع أموره وشئونه وأحواله، حتى اعتبر نفسه إلهاً معبوداً، ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾(النازعات24) ولما دله موسى عليه السلام في لقائه الأول على التوحيد، وأن له إلها هو رب السموات والأرض وما بينهما، هاج فرعون وثار، وأنهى الحوار معه بالتهديد الصريح، وهذا هو سلاح الطغاة عندما يفتقرون للحج والبراهين والمنطق: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (الشعراء:29) لأجعلنك في عداد المسجونين، وتبقى فيه حتى تموت، وكان سجن فرعون أشد وأسوأ من القتل.[1] وهنا رد عليه موسى ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ (الشعراء30) فهو يتحدى فرعون، ويحرجه أمام ملئه، فلو رفض فرعون الإصغاء، سيظهر واضحا أنه خائف من حجة موسى ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (الشعراء31) عن ابن عباس قال: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ﴾ (الشعراء32) فتحولت حية عظيمة فاغرة فاها، مسرعة إلى فرعون، فلما رآها فرعون أنها قاصدة إليه، اقتحم عن سريره، واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل][2] ولكن بطانة السوء التي تمد في الطغيان وتكون حائلا أمام الهدى لابد أن يكون لها دور في الطغيان قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (الأعراف109-110) قال ابن كثير "وهم الجمهور والسادة من قوم فرعون موافقين لقول فرعون فيه، بعد ما رجع إليه رَوْعه، واستقر على سرير مملكته بعد ذلك، قال للملأ حوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ فوافقوه وقالوا كمقالته، وتشاوروا في أمره، وماذا يصنعون في أمره، وكيف

([1]) انظر: التفسير الوسيط ج2 ص1823.

([2]) انظر: تفسير ابن كثير ج3، ص455.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تكون حيلتهم في إطفاء نوره وإخماد كلمته."[1] قال تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ * وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (الأعراف: 111-114)

أرسل فرعون في مدنه حاشرين يجمعون خبراء السحر، فجاء السحرة فرعون وعرفوا صعوبة الموقف فطالبوه بالأجر العظيم إن هم غلبوا موسى وأخاه، فوافق فرعون على طلبهم، وزادهم أيضاً أن يجعلهم من خواصه، ورجال قصره، فقال: ﴿وإنكم لمن المقربين﴾ وهنا تقدموا لموسى وكأنهم على ثقة في قوتهم السحرية، وأن الجولة ستكون لهم، تقدموا بإلقاء آلاتهم السحرية، فقالوا: ﴿يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين﴾ (الأعراف115) أي ألق عصاك أو نلقي نحن عصيَّنا، فقال لهم موسى ألقوا، فألقوا فعلاً فسحروا أعين الناس، وجاءوا بسحر عظيم كما أخبر تعالى، الأمر الذي استرهب النظارة، حتى إن موسى عليه السلام أوجس في نفسه خيفة، فنهاه ربه تعالى عن ذلك، وأعلمه أنه الغالب بإذن الله تعالى.[2] قال السعدي: "خيروه، موهمين أنهم على جزم من ظهورهم عليه بأي حالٍ كانت، فقال لهم موسى: ﴿أَلْقُوا﴾ فألقوا حبالهم وعصيهم، ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ (طه66) أي يخيل لموسى أنها حيات تسعى عندها ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ (طه67) كما هو مقتضى الطبيعة البشرية، وإلا فهو جازم بوعد الله ونصره، ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ (طه68) وستقهرهم، ويذلوا لك ويخضعوا ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ (طه69) أي: عصاك ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (طه69) أي: كيدهم ومكرهم، ليس بمثمر لهم ولا ناجح، فإنه من كيد السحرة، الذين يموهون على الناس، ويلبسون الباطل، ويخيلون أنهم على الحق، فألقى موسى عصاه، فتلقفت ما صنعوا كله وأكلته، والناس ينظرون لذلك الصنيع، فعلم السحرة علما يقينا أن هذا ليس بسحر، وأنه من الله، فبادروا للإيمان، ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (طه70) فوقع الحق وظهر وسطع وبطل السحر والمكر والكيد في ذلك المجمع العظيم فصارت بينة ورحمة للمؤمنين وحجة على المعاندين"[3] وازداد تهديد فرعون ووعيده حيث إنه هزم في الجولة الثانية، رغم أنه لم يؤمن إلا القليل، قال تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ...﴾ (يونس83) وتمادى فرعون مع أتباعه في كفرهم وضلالهم وعنادهم، وذلك متابعة

([1]) انظر: المرجع السابق الصفحة والجزء.
([2]) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج 2 ص 218.
([3]) تفسير السعدي ج 1 ص 508.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لملكهم فرعون الذي أمرهم بعبادته، وأراد فرعون قتل موسى، فقال للملإ ما أخبر الله به في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (غافر26) قال فرعون مدعياً أنه يعلم من حقيقة موسى ما ينبغي أن يقتل من أجله، وهو: خوفه أن يبدل دينهم، أو أن يظهر الفساد في أرضهم، وبين لهم أنه لا يخفي عنهم خلاف ما يظهره، وقال لهم: ما أهديكم بهذا إلا طريق السداد والصواب.[1] وهذا هو معيار أعداء الله دائما، حيث تصبح الطهارة والإصلاح فسادا في معاييرهم؛ لكن الله يدافع عن الذين آمنوا، فيسخر من يكون مدافعا عن نبي الله موسى، وناصحا له، قال تعالى:﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ (غافر28) ويسخر الله في مجلس فرعون من يدافع عن موسى، فقال: كيف تستحلون قتله، تجعلون ذنبه وجرمه، أنه يقول ربي الله، ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (غافر28) اشتهرت اشتهارًا علم به الصغير والكبير، فالإنصاف أن هذا لا يوجب قتله[2] ويرد الله كيدهم. ورغم كثرة الابتلاءات التي أصابتهم، وكان لموسى دور في رفعها عنهم، ظلوا مستكبرين مستنكفين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا * قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ (الإسراء101–102) ومن هذه الآيات العصا، واليد يدخلها في الجيب، أو تحت جناحه وإبطه وتخرج بيضاء من غير سوء أو علة، وأخذ آل فرعون بالسنين، وسنين تأتي للجدب الشديد الذي يستمر لفترة من الزمن، فيهدم مقومات الحياة، وأولها الطعام والشراب، فيصيبهم بنقص الثمرات، فكيف كان استقبال فرعون وملئه للآيات التي مع موسى عليه السلام؟ قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾(الأعراف103) لقد ظلموا بها لأنهم رفضوا اتباع المنهج الحق، وظلوا على فسادهم، والمفسدون هم الذين يعمدون إلى الصالح في ذاته فيفسدونه، برغم أن المطلوب من الإنسان أن يستقبل الوجود استقبال من يرى أن هناك أشياء فوق اختياراته ومراداته، فإذا نظر الإنسان في الأشياء التي بها مقومات الحياة، مما لا يدخل في اختياره يجدها على منتهى الاستقامة[3] ولكن النصح والإرشاد لم يؤثر في قلب فرعون، قال السعدي: " ثم لم يزل فرعون وقومه، مستمرين على كفرهم، يأتيهم موسى بالآيات البينات، وكلما جاءتهم آية، وبلغت منهم كل مبلغ، وعاندوا موسى، وعاهدوه لئن كشف الله عنهم، ليؤمنن به، وليرسلن معه بني إسرائيل، فيكشفه الله، ثم ينكثون، فلما يئس موسى من

([1]) انظر: أضواء البيان ج7 ص86.

([2]) انظر: تفسير السعدي ج 1ص 736.

([3]) انظر: تفسير الشعراوي ج7 ص4273 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إيمانهم، وحقت عليهم كلمة العذاب، وآن لبني إسرائيل أن ينجيهم من أسرهم، ويمكن لهم في الأرض، أوحى الله إلى موسى: ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ (طه79)"[1]

وصار فرعون يزداد ضلالا وفسادًا فأمر هامان أن يبني له صرحًا ضخمًا قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ (غافر36-37) أمر فرعون وزيره هامان أن يبني له صرحا، وهو: القصر العالي المنيف الشاهق، وكان اتخاذه من الآجرّ المضروب من الطين المشوي، كما قال: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا﴾ (القصص 38)، وذلك ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ﴾ (غافر36) أبواب السموات. وقيل: طرق السموات ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ (القصص 38) ، وهذا من كفره وتمرده، أنه كذب موسى في أن الله، عز وجل، أرسله إليه، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ (غافر37) أي: بصنيعه هذا الذي أراد أن يوهم به الرعية أنه يعمل شيئا يتوصل به إلى تكذيب موسى، عليه السلام؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ (غافر37).[2]

ولما يئس موسى عليه السلام من إيمانهم وإيمان فرعون، دعا عليهم وأمن على دعائه أخوه هارون عليهما السلام، فقال في دعائه ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يونس88-89) قال ذلك، غضبًا عليهم، حيث تجرؤوا على محارم الله، وأفسدوا عباد الله، وصدوا عن سبيله، ولكمال معرفته بربه بأن الله سيعاقبهم على ما فعلوا، بإغلاق باب الإيمان عليهم قال تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا﴾ على دينكما، واستمرا على دعوتكما، ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا تتبعان سبيل الجهال الضلال، المنحرفين عن الصراط المستقيم، المتبعين لطرق الجحيم، فأمر الله موسى أن يسري ببني إسرائيل ليلا وأخبره أنهم يتبعون.[3]

([1]) تفسير السعدي ج 1 ص 591.

([2]) انظر: تفسير ابن كثير ، ج4 ص101.

([3]) انظر: تفسير السعدي ج 1 ص 372 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويأمر الله تعالى: موسى أن يخرج ببني إسرائيل من أرض مصر ليلا ويذهب بهم إلى أرض فلسطين، فتجهز موسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى * فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ * وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ (طه77-79) أمر الله موسى أن يخرج ببني إسرائيل أول الليل، ليتبعهم فرعون وجنوده، ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (الشعراء53) يجمعون الناس، ليوقع ببني إسرائيل، وقال مشجعا لقومه: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾ (الشعراء54-55) ونريد أن ننفذ غيظنا في هؤلاء العبيد، الذين أبقُوا منا، ولتحذروا منهم، فهم أعداء للجميع، فخرج فرعون وجنوده، في جيش عظيم، ونفير عام، لم يتخلف منهم سوى أهل الأعذار، الذين منعهم العجز[1]

وخرج بنو إسرائيل يَجِدُّون في السير حذرًا من فرعون وظلمه وطغيانه، فخرج وراءهم جيش كبير يتبع آثارهم، ويريد البطش والفتك بهم، فأدركهم، ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ﴾ (الشعراء61) وعاين كل من الفريقين صاحبه ورءاه، ولم يبق إلا المواجهة والمقاتلة، هنا شعر بنو إسرائيل بالخطر، فالبحر أمامهم، والعدو خلفهم، وفرعون وجنوده يريدون الفتك بهم، فضجوا بالعويل والصياح، وقالوا لموسى عليه السلام وهم خائفون ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الشعراء61)[2] فقد كان البحر أمامهم وفرعون من خلفهم ولا مفر من هلاكهم؛ ومن الطبيعي أن يدركهم فرعون، ولقد لجأ موسى إلى الله جل في علاه، فأمره أن يضرب بعصاه البحر، ويتفرق البحر، ويصير كل فرق كالطود والجبل العظيم ، وبعد أن ساروا في البحر، وخرجوا منه، أغرق الله فرعون أمامهم، وأنجاهم منه سبحانه[3] قال تعالى: ﴿فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾(الشعراء60-66).

وتنشرح صدور بني إسرائيل بفرحة النجاة، ويأخذ موسى عليه السلام عصاه ليضرب البحر ليعود إلى طبيعته، وحتى لا يعبره فرعون ويلحق به، لكن الحق سبحانه يأمره، أن يتركه على حاله. قال تعالى: ﴿واترك البحر رهوا إنهم جند مغرقون﴾ (الدخان24) فعندما نزل فرعون وجنوده

([1]) انظر: تفسير السعدي ج1 ص 591.
([2]) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج 3 ص 653 .
([3]) انظر: تفسير الشعراوي ج5 ص2784 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البحر، واكتمل عددهم في قاعه، أطلق الخالق سبحانه للماء قانون سيولته، فأطبق على فرعون وجنوده، وكانت آيةً من آيات الله، شاهدة على قدرته سبحانه، وأنه إنْ شاء أنجى وأهلك بالشيء الواحد[1] قال تعالى: ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ*ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ*إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ*وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الشعراء 65-68) فهو العزيز الرحيم، ومن عزته قدر لفرعون أن ينجو ببدنه؛ ليكون للناس بعده آية، فيعتبر به الطغاة على مر الزمان، فيرتدعوا عن ظلمهم وطغيانهم، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (يونس92) فما أعظمه من إله، لقد أنجى أولياءه فلم يُغْرِق منهم أحدا، وأغرق أعداءه فلم يُنْجِ منهم أحدا.

المطلب الثالث: محاولة قتل النبي ﷺ وأتباعه:

إنَّ الصراعَ بين الحق والباطل سنة الله في أرضه، وأينما وجد الإنسان وجد الصراع، ويتنوع هذا الصراع، ويأخذ أشكالا مختلفة، وتزداد ضراوته، إذا كان صراعا مبنيا على اختلاف في العقيدة، لقد نزل الوحي على رسول الله ﷺ، فانطلقت به أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها– إلى ورقة بن نوفل فقال:[... هذا الناموس الذي أنزل على موسى، ياليتني فيها جذعاً[2]، أكون حيا حين يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: أمخرجي هم. فقال ورقة: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا][3] وتحققت نبوءة ورقة ، فعودي النبي ﷺ أشد العداء، وقد ذكر الله تعالى في كتابه عداوةَ الكافرين للمؤمنين، وذكر أسبابها، وأنها لا تزول حتى يتحول المسلم إلى دينهم، فقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة 109) وذكر سبحانُه غايتَهم التي يسعونَ إليها ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة32).

فأعداء الله يستعملون شتى الوسائل للصد عن سبيل الله، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة 117). وصدق الله العظيم فقد واجه المشركون دعوة النبي ﷺ بأساليب مختلفة ، ووسائل متنوعة؛ للصد عن سبيل الله، وتشويه معالم الدين، وقد باءت تلك الوسائل والأساليب بالفشل الذريع ، فاتجهوا إلى أسلوب أخير أشد خسة

---

(1) انظر: المرجع السابق ج14 ص8574 .

(2) أصْل الجَذع من أسْنان الدَّوابّ وهو ما كان منها شابًّا فَتِيًّا، والقصد: يا ليْتَني كنْتُ شابًّا عند ظُهُور نبوتك حتى أبَالِغ في نُصْرَتِها وحِمَايَتِها، انظرالنهاية في غريب الأثر ج 1 ص 713.

(3) صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب بدء الوحي ح4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأعظم ضرواة ، فتفننوا في أذية المؤمنين وتعذيبهم ، قال طارق بن عبد الله المحاربي[1]: إني بسوق ذي المجاز[2]، إذ أنا بإنسان يقول: يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، وإذا رجل خلفه يرميه، قد أدمى ساقيه وعرقوبيه ويقول: يا أيها الناس، إنه كذاب فلا تصدقوه. فقلت من هذا ؟ فقالوا: محمد، زعم أنه نبي، وهذا عمه أبو لهب، يزعم أنه كذاب.[3]

وقد كان النبي ﷺ في منعة عمه أبي طالب، ورغم ذلك لما فشلوا في المفاوضات مع أبي طالب، ولم يترك النبي ﷺ عن كشف زيف آلهتهم ، والدعوة إلى نبذ دين الآباء والأجداد، ولم تجد قريش أمامها إلا سبيلاً واحداً ، وهو سبيل الاعتداء على ذات الرسول ﷺ، فانطلقت الألسن المجرمة بالسخرية والشتم ، وامتدت الأيدي الآثمة بالأذى، عن عبد الله بن مسعود قال: [إن النبي ﷺكان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض أيكم يجيء بسلى جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم، فجاء به، فنظر حتى سجد النبي ﷺ ووضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغير شيئا، لو كان لي منعة، قال فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض، ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة، فطرحت عن ظهره، فرفع رأسه ثم قال: اللهم عليك بقريش – ثلاث مرات – فشق عليهم إذ دعا عليهم، اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط. فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله ﷺ صرعى في القليب قليب بدر] [4] وعن عروة بن الزبير أنه سأل عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: [ما أكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته قال –: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سفه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، قال: فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به يقولون له: أنت الذي تقول كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: نعم، أنا الذي أقول ذلك. قال: فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع ردائه. قال: وقام أبو بكر الصديق ﷺ دونه يقول وهو يبكي ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ (غافر28)، ثم انصرفوا عنه،

([1]) طارق بن عبد الله المحاربي، من محارب، صحابي، نزل الكوفة، أسلم بعد الهجرة ، وقد هاجر مع مجموعة من قبيلته إلى المدينة ودخلها ورسول الله ﷺ يخطب في المسجد، وسمع منه، قيل أنه مات سنة 32هـ، انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج6 ص42.

([2]) ذِي المجَاز: هو موضع عند جبل عرفات، كان يقام به سوق من أسواق العرب في الجاهلية فيجتمعون فيها للتبايع والتجارات، فمنهم من يحج، ومنهم من ينصرف إلى داره بلا حج، وقيل سمي بالمجاز لأن إجازة الحاج كانت فيه، انظر النهاية في غريب الأثر ج1 ص837، شرح مشكل الآثار للطحاوي ج9 ص229.

([3]) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ج20 ص600 ، وانظر التحرير والتنوير ج 30 ص 601.

([4]) صحيح البخاري ، كتاب الوضوء ، باب إذا ألقى على ظهر المصلي قذر أو جيفة لم تفسد عليه ، ح240.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت منه قط][1] ولو تتبعنا ، المواقف التي أساءت فيها قريش للنبي ﷺ بالقول والفعل لطال الأمر. أما العصبة المؤمنة، فقد تحملوا من صنوف العذاب، وألوان البلاء، ما تنوء بحمله الجبال، وتتفطر لسماعه القلوب ، وتقشعر منه الجلود ، فأما ذووا المكانة والشرف فكانوا في عزٍ ومنعة من قومهم، ومع ذلك لم يسلم كثير منهم من الأذى والابتلاء، فهذا أبو بكر دنا منه عتبة بن ربيعة، فجعل يضربه بنعلين، ونزا على بطن أبي بكر، حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب، حتى أدخلوه منزله، ولا يشكون في موته، فتكلم آخر النهار فقال : ما فعل رسول الله ﷺ؟[2] ومثل هذا حدث مع كثير من الصحابة الذين كانوا في عز ومنعة.

أما الضعفاء، فهذا صهيب بن سنان ﷺ يُعذَّب حتى يفقد وعيه ولا يدرى ما يقول، وكان بلال يُوضع في عنقه حبلٌ، ثم يُسَلَّم إلى الصبيان، يطوفون به في جبال مكة، ويجرونه، حتى كان الحبل يؤثر في عنقه، وكان أمية يشده شدًا ثم يضربه بالعصا، و يرغمه على الجلوس في حر الشمس، كما كان يُكْرِهُه على الجوع . وأشد من ذلك كله أنه كان يخرجه إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في الرمضاء، في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول : لا والله لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك : أحد، أحد، ويقول: لو أعلم كلمة هي أغيظ لكم منها لقلتها. وكان المشركون يخرجون عمار بن ياسر ووالديه ﷺ إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء، فيعذبونهم بحرها ومر بهم النبي ﷺ وهم يعذبون فقال: [صبرًا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة] وعمار من أنزل الله فيه: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ. . .﴾ (النحل106). وكان خباب بن الأرت مولى لامرأة من قريش، وكان حدادًا، فلما أسلم عذبته بالنار، فكانت تأتى بالحديدة المحماة فتجعلها على ظهره أو رأسه، ليكفر بمحمد ﷺ، فلم يكن يزيده ذلك إلا إيمانًا وتسليمًا، وكان المشركون أيضًا يعذبونه فيلوون عنقه، ويجذبون شعره، وقد ألقوه على النار، ثم سحبوه عليها، فما أطفأها إلا صديد ظهره.[3]

الهجرة إلى الحبشة

قال تعالى: ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ (العنكبوت56) مع قسوة التعذيب ، وازدياد مأساة المسلمين ، رأى النبي ﷺ بحسن سياسته أن يبعد أصحابه عن مكة ، لينجوا من بطش قريش ، ويرتاحوا فترة من الزمن حتى يقضي الله أمره، ولم يكن ذلك إلا

([1])رواه البخاري دون تفصيل في كتاب المناقب ، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا ح 3678، مسند الإمام أحمد ، مسند المكثرين ، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص ح6996 حسنه شعيب الأرناؤط وقد رواه البخاري دون تفصيل في كتاب المناقب ، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا ح 3678.

([2]) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ج3 ص29 ، الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري ص78.

([3]) انظر: الرحيق المختوم لصفي الرحمن المبارك فوري ص57-58 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بوحي من الله تعالى، فالقرآن كان يهيئ نفوس المسلمين لترك الوطن والأهل والمال في سبيل الله، بحيث لا تكون هذه الأشياء عقبة في سبيل نشر الدعوة وإقامة شعائرها، قال الله تعالى: ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ (العنكبوت56) وقد أخرج الطبري بسنده عن مجاهد، في قول الله: {إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ}، قال: فهاجروا، وجاهدوا، ويريد بهذا من كان بمكة من المؤمنين.[1] فكان هذا دافعا ليأمر النبي ﷺ أصحابه أن يهاجروا إلى الحبشة، لينجوا الضعفاء من بطش قريش، وقد ورد أن النبيﷺ قال لأصحابه لما رأى المشركين يؤذونهم ولا يستطيع أن يكفهم عنهم: [إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا، ومخرجا][2]، فكان أول من خرج منهم عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ وخرج الصحابة ﷺ ، وكان لا يزيد عددهم عن إحدى عشر رجلا وأربعة نسوة[3]

وفي الهجرة الثانية زاد العدد وخرج كمٌّ من الصحابة، فعن ابن مسعود قال: [بعثنا النبي ﷺ إلى النجاشي ونحن نحوا من ثمانين رجلا، فيهم عبد الله بن مسعود، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن عرفطة، وعثمان بن مظعون، وأبو موسى الأشعري] [4] وبهذا نجا هؤلاء الصحابة ، وبقي النبي ﷺ وبعض أصحابه، وازداد بطش المشركين عليهم، وضاقت الدنيا بالمسلمين، حتى أن أبا بكر، خشي على نفسه وهو من هو، فقرر الهجرة، والخروج من مكة، واستأذن النبي ﷺ بذلك فأذن له، ولما خرج قابله ابن الدغنة[5] فأعاده وأجاره، ثم بعد ذلك رد أبو بكر عليه جواره[6] وازداد الإيذاء على النبي ﷺ حتى وصل الحال أن حاول المشركون قتله، وخاصة بعد وفاة عمه أبي طالب، حيث أقدمت قريش على ما لم تكن تقدم عليه من قبل ، وكان ﷺ يذكر ما لاقاه من أذى قريش قبل أن ينال الأذى أحدًا من أتباعه فيقول: [لقد أخفت في الله عز وجل وما يخاف أحد ، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد][7] ولما وصل الأمر أن يفكروا في قتل النبي ﷺ كان لابد من تدخل إلهي ، لينجي النبي ومن معه من المؤمنين ويرد كيد الكافرين.

([1]) انظر: تفسير الطبري ج18 ص434.

([2]) سنن البيهقي الكبرى لأحمد بن الحسين البيهقي، باب الإذن بالهجرة ح17512 ، ج 9 ص 9 صحيح، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، باب السفر والجهاد والغزو والرفق بالحيوان ح2063 ص375.

([3]) انظر: فتح الباري ج7 ص367

([4]) مسند الإمام أحمد ، مسند المكثرين من الصحابة رضوان الله عليهم ، مسند عبد الله بن مسعود ، ح4386، حسنة ابن حجر في فتح الباري ج7 ص367 .

([5]) هو ربيعة بن رفيع السلمي والدغنة أمه، وهو قاتل دريد بن الصمة، انظر أسد الغابة ج1 ص359.

([6]) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ج2 ص18.

([7])سنن الترمذي ، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ، باب منه ، ح2472 قال الترمذي حسن صحيح وصححه الألباني.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الهجرة إلى المدينة:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال30) اجتمعت قريش في دار الندوة، وتشاورت في شأن النبي ﷺ، وفكرت، ومكرت، فأصدروا حكماً بقتله ﷺ، وبعثوا من ينفذ جريمة القتل، فطوقوا منزل النبي ﷺ، فخرج النبي ﷺ بعد أن رماهم بحثية من تراب، قائلاً: شاهت الوجوه، فلم يره أحد، وخرج وهاجر إلى المدينة، فكان في نجاته ﷺ من يد قريش، نعمة عظمى على النبي ﷺ وعلى سائر المؤمنين.[1]

إن نجاح الإسلام في تأسيس وطن له، وسط صحراء تموج بالكفر والجهالة، لهو أعظم كسب حصل عليه منذ بدأت الدعوة، وقد تنادى المسلمون من كل مكان هلموا إلى يثرب ، فلم تكن الهجرة تخلصا فقط من الفتنة والاستهزاء ، بل كانت منحةً من الله على إقامة مجتمع جديد في بلد آمن يأمن المسلم فيه على نفسه ودينه. [2]

ومع سماع قريش بإسلام أهل المدينة وأن النبي ﷺ حالفهم عليهم ، ازداد أذاهم على المسلمين، فأمر ﷺ جميع المسلمين بالهجرة إلى المدينة، فصاروا يتسللون خيفةَ قريش أن تمنعهم، وقد أراد أبو بكر الهجرة فقال لهﷺ: على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي، فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: نعم، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده استعدادًا لذلك [3] وعقدت مؤتمرا في دار الندوة، وقرروا أن يختاروا من كل قبيلة فتىً جلداً ليقتلوا النبي ﷺ فيتفرق دمه بين القبائل، ويرضى بنو مناف بالدية، واجتمع الفتيان الموكلون بقتل النبيﷺ على بابه ليقتلوه، وكان النبي ﷺ قد أعد علي بن أبي طالب لذلك ، وتركه مكانه ، ليؤدي بعض الأمانات لأصحابها ، وليضرب مثلا في الفداء، وخرج النبي ﷺ واستقر في غار ثور، وقامت قيامة قريش لنجاة النبي ﷺ من القتل، وخرجوا على إثره، ووقفوا على فم الغار، ويرتعد أبو بكر خوفاً على النبي ﷺ، ويقول النبي ﷺ قولته المشهورة[4] فقد روي عن أبي بكر الصديق ﷺ قال: [كنت مع النبي ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين، فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم رفع قدمه لرآنا، فقال النبي ﷺ: ما ظنك باثنين الله ثالثهما] [5] قال

([1]) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج 2 ص 302 ، تفسير السعدي ص 319 وقد أخرج أحمد هذه لحادثة بسند ضعيف ح3241.

([2]) انظر: فقه السيرة للشيخ الغزالي ص163.

([3]) انظر: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الخضري ص72.

([4]) انظر: السيرة النبوية دروس وعبر للدكتور مصطفى السباعي ص51-52.

([5]) صحيح البخاري كتاب المناقب ، باب هجرة النبي ﷺ ح3922.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة40) واندحر كفار قريش، ونَجَّى الله نبيه محمداً ﷺ مع أبي بكر ﷺ، وخرج رسول الله ﷺ وصاحبه إلى المدينة.

سراقة بن مالك:

انطلق النبي ﷺ وصاحبه إلى المدينة ، ولم ييئس المشركون من العثور عليهما، عن سراقة بن خعشم قال: [جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره، فركبت فرسي حتى دنوت منهم، فعثرت بي فرسي، فخررت عنها، فقمت، فأهويت يدي إلى كنانتي، فاستخرجت منها الأزلام[1]، فاستقسمت بها، أضرهم أم لا، فخرج الذي أكره، فركبت فرسي، وعصيت الأزلام، وقربت منهم حتى سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات، فساخت يدا فرسي في الأرض، حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عُثَان[2] ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام، فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان، فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم؛ أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ. فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، فلم يرزآني[3] ولم يسألاني، إلا أن قال: أخف عنا، فسألته أن يكتب لي كتاب أمنٍ، فأمر عامر بن فهيرة، فكتب في رقعة من أديم، ثم مضى رسول الله ﷺ][4] ووصل النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، وكان يوما تاريخيا أغر ، فقد كانت البيوت والسكك ترتج بأصوات التحميد والتهليل.[5] وصدق الله إذ قال:﴿ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (النمل 53) وقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم:47).

([1]) الأزلام: هي السهام التي كان أهل الجاهلية يضربون القرعة بها، إذا أراد أحدهم أن يسلك طريقا أو يقضي حاجة يخرجها ويضرب القرعة يفعل أو لا يفعل انظر مختار الصحاح للرازي ص158.

([2]) العثان: هو الغبار الذي يشبه الدخان، انظر فتح الباري ج7 ص242.

([3]) فلم يرزآني: أي لم ينقصاني مما معي شيئاً ، انظر فتح الباري ج7 ص242.

([4]) صحيح البخاري كتاب المناقب ، باب هجرة النبي ﷺ ح 3906.

([5]) انظر نور اليقين ص113.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

لقد كان التهديد بقتل الأنبياء عليهم السلام وسيلة من وسائل الكفر للقضاء على الدعوة ولكن على الرغم من قسوة هذا النوع الذي استخدمه الكفار وهو التهديد بالقتل للأنبياء ودعاة الحق إلا أنه ظل عاجزاً عن أن ينال من عزيمتهم ويفت من عضدهم وظلت طريقة التعامل التي رسمها القرآن في قصص الأنبياء منارة تضيئ لنا الطريق ونهتدي بها في صراعنا مع أهل الباطل.

فمحاولة قتل موسى عليه السلام باءت بالفشل أمام الإيمان الصادق لنبي الله موسى عليه السلام ولم يكتب الله سبحانه وتعالى النجاة لهؤلاء المؤمنين والتمكين إلا بعد مرحلة من التمحيص والتهديد وعليه فإن طريق الدعوة إلى الله طريق محاطة بالأشواك ومعرض كل من يحمل دعوة الله سبحانه وتعالى ان يقتل أو يخرج من وطنه أو يحاصر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

عـــــوامل النصر والتمكين في القصص القرآني

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عوامل فردية.

المبحث الثاني: عوامل جماعية.

المبحث الثالث: عوامل تربوية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

عوامل فردية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قوة الإيمان بالله.

المطلب الثاني: سعة العلم.

المطلب الثالث: مواصفات المجاهد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

عوامل فردية

وقال وتعالى:﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء:105)، أي كتب الله ذلك عنده في اللوح المحفوظ وهو الذكر وجزم به، والوعد بالتمكين مؤكد غاية التوكيد، مجزوم به من الله تعالى في أم الكتاب عنده، وفي سائر كتبه المنزلة، ولقد تكاثرت الآيات وتظاهرت على توكيده كذلك في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ*إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ*وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (الصافات: 171 – 173) شرع الله الجهاد ليرد العدوان، وليزيل الباطل، وليحمي العقيدة، وليحقق السلام، الذي يقوم على العدل والتفاهم والصدق دون الإضرار بأحد، أو الإساءة إليه [1]، ومن هنا رأينا الإسلام يسعى إلى السلام بقلب مفتوح، ويرفض الاستسلام كما يرفض السلام الذي يقوم على الغدر، أو الخيانة، أو الخداع ، وتاريخ الجهاد الإسلامي على طول الزمان وعرضه، مشرق ناصع، يرد الحقوق لأصحابها، ويزيل البغي والظلم، اللذين ينشرهما البغاة والظالمون، ولقد حققت المعارك الإسلامية نصراً مؤزرا على طول الزمان وعرضه، ولم تر الدنيا في تاريخها معارك أشرف من معارك الإسلام، ولا أسمى منها غاية، وقد خاضها رجال كانوا رهبانا بالليل وفرسانا بالنهار، فملئوا الدنيا عدلا ونورا وحققوا ألوهية الله في الأرض كما هي محققة في السماء، ونشروا العدل والمساواة في ربوع الأرض، فعم نور الله الكون وتحقق لهم قول ربهم، **(وإن جندنا لهم الغالبون)** وكان ذلك بعوامل النصر التي خطها لهم ربهم في قرآنه، ونفذها رسول الله وخلفاؤه وأصحابه من بعده، وصدق وعد الله لهم في قوله تعالى:﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور:55)، فكانوا كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران:110) آن لهذه الأمة أن تعود إلى النبع الصافي الذي شرب منه آباؤها الأولون، فعزُّوا وسادوا، وكانوا إذا تكلموا أنصتت لهم الدنيا لتسمع مقالتهم، ولتكن طوع أرادتهم، ورهن إشارتهم، وما أحوجنا اليوم لأن نعيد أمجاد ماضينا، لنمحو عارا علق بجباهنا في دنيا كشرت لنا عن أنيابها، ولأجل ذلك قسم الباحث هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب، على النحو التالي:

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج3، ص210.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول : قــوة الإيمان بالله:

أولاً: قوة إيمان إبراهيم وأم موسى:

1-قوة إيمان إبراهيم حين ألقي في النار:

جاءت قصص الأنبياء والرسل في القرآن الكريم تشير إلى هذا المعنى فقد كان الرسل والأنبياء على مستوى من الإيمان لا يدانيه شك ولا يخالطه وهن إيمان بالله وبنصرته مكن لهم في الانتصار على أعدائهم، ولا يمكن الفصل بين الإيمان وهو حالة قلبية مستقرة في الأعماق وبين السلوك الذي ينبئ عن الإيمان فإذا وقر الإيمان في القلب صافياً لا تشوبه شائبة بان ذلك على السلوك في الامتثال في أمر الله والانتهاء عما نهى؛ ولذلك يمكن القول أن الاستجابة إلى أمر الله واجتناب نهيه يدل دلالة قوية على حضور الإيمان في القلب وبالقدر نفسه حين تغيب الاستجابة لأوامر الله ونواهيه فإن هذا مؤشر على غياب الإيمان في قلب الفرد أو على عدم صفاء الإيمان في قلب الفرد حتى وإن كان ينطق بالشهادتين صبحاً وعشيا ويمكن فهم هذا المعنى من واقع سياق القصص القرآني مع الأنبياء والرسل فهذا إبراهيم عليه السلام استقر الإيمان في قلبه﴿ ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾

(**الأنبياء: 68: 70**) فكان له الغلبة والتمكين وكانت له النار برداً وسلاماً وباء خصومه بالهزيمة.

2-قوة إيمان أم موسى

هذه قصة أم موسى في القرآن تنتصب للدلالة القوية على هذا المعنى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾(القصص: 7) حيث دفعها إيمانها بالله وامتثالها لأمره وتصديقها لوعده أن تلقي بوليدها في اليم فيما يشير المنطق العقلي المجرد عن عوامل الإيمان أن الغرق المؤكد سيكون نصيب هذا الوليد العاجز، ولكن الإيمان الذي استقر في قلب أم موسى والثقة بصدق وعد الله التي هيمنت عليها هي التي جعلتها تصنع هذا .

إن القصص القرآني يعلمنا أن الإيمان الصافي الذي لا تشوبه شائبة إذا استقر في القلب وإذا ترجم إلى استجابة عملية لأمر الله ونهيه فإن نتائجه ستكون واضحة جلية يصغر معها منطق العقل المجرد وتقديره وتتفكك إزاءها قوانين الطبيعة وما استقر في العقول منها لأن المولى حينها يكون قد تدخل وأفاض على العبد المؤمن بعطاياه وإلا ما الذي يجعل موسى عليه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السلام يصدح بقوله ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾(الشعراء:62)غير ذاك الإيمان القوي الراسخ الذي استقر في قلبه وهذه الثقة العجيبة في صدق وعد الله﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(الروم: 6)

الأسباب التي تقوي الإيمان

أ- التفكر بالله

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(آل عمران:191) .

- عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها سُئلت عن أعجب ما رأته من رسول الله ﷺ فبكت ثم قالت: [كان كل أمره عجباً ، أتاني في ليلتي التي يكون فيها عندي، فاضطجع بجنبي حتى مس جلدي جلده، ثم قال: يا عائشة ألا تأذنين لي أن أتعبد ربي عز وجل؟ فقلت: يا رسول الله : والله إني لأحب قربك وأحب هواك – أي أحب ألاّ تفارقني وأحب مايسرك مما تهواه – !! قالت: فقام إلى قربة من ماء في البيت فتوضأ، ولم يكثر صب الماء، ثم قام يصلي ويتهجد فبكى في صلاته حتى بل لحيته، ثم سجد فبكى حتى بلّ الأرض، ثم اضطجع على جنبه فبكى، حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الفجر، رآه يبكي فقال يا رسول الله: ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال له: ويحك يا بلال، وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله عليّ في هذه الليلة هذه الآيات :(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ....) فقرأها إلى آخر السورة ثم قال: ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها] !![1] .

- والتفكر في آيات الله تعالى وفي مخلوقاته العلوية والسفلية؛ لا شك أنها دليل واضح على كمال عظمة الله وجلاله وكبريائه، إذا تأملت في مخلوقات الله، وتأملت في آياته الكونية – العلوية والسفلية– تبين لك أن الذي خلقها قادر على كل شيء، بل لو تأمل الإنسان في نفسه لرأى في خلقه أعجب العجب، وعرف أن الله ما خلق جزءا من أجزائه عبثا، وأن كل شعرة أو كل أنملة في موضعها، وأنها من أعجب صنع الله تعالى، والقادر لا يمكن أن يعجزه شيء.

([1]) صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، باب التوبة: ذكر البيان بأن المرء عليه إذا تخلى لزوم البكاء على ما ارتكب من الحوبات وإن كان بائنا عنها مجدا في إتيان ضدها، ح620. صححه شعيب الأرناؤوط

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب-تعاهد القرآن وتدبره:

قال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (ص:29) وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (النساء:82). " يأمر تعالى بتدبر كتابه، وهو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم ذلك، فإن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته. فإنه يعرِّف بالرب المعبود، وما له من صفات الكمال؛ وما ينزه عنه من سمات النقص، ويعرِّف الطريق الموصلة إليه وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه، ويعرِّف العدو الذي هو العدو على الحقيقة، والطريق الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب. وكلما ازداد العبد تأملا فيه ازداد علما وعملا وبصيرة ".[1]

- لذلك أمر الله بذلك وحث عليه وأخبر أنه هو المقصود بإنزال القرآن، كما قال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (ص:29) وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (محمد: 24) ومن فوائد التدبر لكتاب الله: أنه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين والعلم بأنه كلام الله، والتفكر فيه وما فيه من القصص فإنه مما يقوي الإيمان ويرسخه في القلوب؛ لأنه كلام الله تعالى سيما إذا قُرِئَتِ التفاسير التي تمسك أهلها بالتفسير الصحيح وبالمعاني الصحيحة، وتجنب تفاسير المحرفين والمخرفين، فالله وحده القادر على التمكين للمؤمنين

ت-التزود من العلوم النافعة:

قال تعالى: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (آل عمران:7) وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران:18)

" والراسخون في العلم يطمئنون ابتداء إلى صدق ما يأتيهم من عند الله يطمئنون إليه بفطرتهم الصادقة الواصلة، ثم لا يجدون من عقولهم شكاً فيه كذلك؛ لأنهم يدركون أن من العلم ألا يخوض العقل فيما لا مجال فيه للعلم "[2]

وهكذا فإن التزود في العلوم النافعة التي تنفع صاحبها في الدنيا ويقطف ثمرة نفعها في الآخرة واحدة من أسباب رسوخه وعدم ضلاله وانحرافه ومن ثباته على الحق ليكون مؤهلاً للاستخلاف في الأرض حتى تحل عليه نعمة المولى في التمكين والنصر

([1]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، 189.

([2]) في ظلال القرآن، ج1 ، ص339،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ث- الإكثار من الأعمال الصالحة:

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾(هود:114) الخطاب للنبي ﷺ وهذا الخطاب يتناول جميع الأمّة بقرينة أنّ المأمور به من الواجبات على جميع المسلمين، لا سيما وقد ذكر معه ما يناسب الأوقات المعيّنة للصلوات الخمس، ولمّا لم تعيّن الصلوات المأمور بإقامتها في هذه المدّة من الزمان كان ذلك مجملاً فبينته السنةُ والعملُ المتواتر بخمس صلوات هي الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء، والمقصود أن تكون الصّلاة أول أعمال المُسلم إذا أصبح وهي صلاة الصبح وآخر أعماله إذا أمسى وهي صلاة العشاء لتكون السيّئات الحاصلة فيما بيْن ذلك ممحوة بالحسنات الحافّة بها.[1] ثم إن ذلك يحتاج إلى المداومة، والإكثار من التقرب إلى الله، فقد ثبتت محبة الله لمن أكثر العبادة والتقرب إلى الله، قال النبي ﷺ [إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله، ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته][2]

إن الأعمال الصالحة تطهر القلب وتزكي النفس وتسمو بالإنسان حتى تجعله يرى بنور الله والحديث السابق دليل قوي على ذ لك فكثرة الأعمال الصالحة تقوي الإيمان، فإذا أكثر الإنسان من ذكر ربه ومن عبادته ومن دعائه، وأكثر من العبادات البدنية كالصلاة والصيام والصدقات وما أشبهها قوي بذلك إيمانه، وزاد يقينه، ودخل في محبة الله، وهل يخذل الله من يحب؟.

الإيمان والعمل الصالح سبب للاستخلاف:

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور:55).

- "أخبر الله تعالى أن الإيمان والعمل الصالح سبب للاستخلاف المذكور، وقال تعالى: ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم﴾ الآية وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا

([1]) انظر: التحرير والتنوير، ج12، ص178

([2]) صحيح البخاري، كتاب الرقاق ، باب التواضع، ح6137 ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: 46) فأخبر أن ائتلاف قلوب المؤمنين وثباتهم وعدم تنازعهم سبب للنصر على الأعداء"[1]

وهو وعدٌ قطعه الله على نفسه للمؤمنين الذين ينشرون الخير ويعملون الصالحات أن الغلبة سوف تكون لهم وأن التمكين من نصيبهم مهما طال الزمن ومهما بدا للمستعجلين بطء هذا الوعد ولعلنا نلاحظ أن نعمة الأمن التي تعقب الخوف تكون سبباً العمل الصالح لأن الإيمان والعمل الصالح إيذان بالتمكين وإيذان بإشاعة الأمن وإيذان بتحقيق العبودية الحقة وترسيخ عقيدة التوحيد على وجه الأرض.

- "وإيمان المرء بالله يرفع عن قلبه حبه للنفس والمال والأهل واعتقاده بأن هناك أحد غير الله يميته وهذا يجعله موقناً بأن الله هو المالك الوحيد لنفسه وماله فعندئذ يضحى في سبيل مرضاة ربه بكل غال ورخيص عنده، ومن أجل ذلك لا يكون أشجع ولا أجرأ ممن يؤمن بالله تعالى فلا تخيفه الجيوش ولا السيوف ولا الرصاص ولا القنابل وهو يعلم علم اليقين ويؤمن تماماً أن الله سبحانه وتعالى هو المميت"[2].

- إنه الإيمان الذي يبث في الإنسان طاقة خلاقة تدفعه على العمل والبذل بأقصى درجاته كما يرى سيد رحمه الله "ولهذا فإن الإيمان بالله قوة دافعة وطاقة مجمعة فما تكاد حقيقته تستقر في القلب حتى تتحرك لتعمل ولتحقق ذاتها في الواقع حيث أنها تستولي على مصادر الحركة في الكائن البشري كلها وتدفعها في الطريق وهذا هو سر الإيمان في النفس "[3]

أثر الإيمان وحقيقته:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ*وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ*وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ*وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ*أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (المؤمنون:57-61) " .

من هنا يبدو أثر الإيمان في القلب، من الحساسية والإرهاف والتحرج، والتطلع إلى الكمال، وحساب العواقب، مهما ينهض بالواجبات والتكاليف، فهؤلاء المؤمنون يشفقون من ربهم خشية وتقوى؛ وهم يؤمنون بآياته، ولا يشركون به، وهم ينهضون بتكاليفهم وواجباتهم، وهم يأتون من الطاعات ما استطاعوا، ولكنهم بعد هذا كله: ﴿يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم

([1]) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص126

([2]) انظر: فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، للصلابي، ص 208-209.

([3]) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج6، ص 3323.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿راجعون﴾ لإحساسهم بالتقصير في جانب الله، بعد أن بذلوا ما في طوقهم، وهو في نظرهم قليل"[1] وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله ﴿الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة﴾ هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر، وهو يخاف الله عز وجل؟ قال: [لا يا بنت الصديق! ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق. وهو يخاف الله عز وجل].[2]

- "إن قلب المؤمن يستشعر يد الله عليه، ويحس آلاءه في كل نفس وكل نبضة، ومن ثم يستصغر كل عباداته، ويستقل كل طاعاته، إلى جانب آلاء الله ونعمائه، كذلك هو يستشعر بكل ذرة فيه جلال الله وعظمته؛ ويرقب بكل مشاعره يد الله في كل شيء من حوله، ومن ثم يشعر بالهيبة، ويشعر بالوجل، ويشفق أن يلقى الله وهو مقصر في حقه، لم يوفه حقه عبادة وطاعة ولم يقارب أياديه عليه معرفة وشكراً، وهؤلاء هم الذين يسارعون في الخيرات، وهم الذين يسبقون لها فينالونها في الطليعة".[3]

- إن أثر الإيمان حينما يتغلل في القلب يبدو واضحاً وجلياً على الجوارح ليس فقط في القلب من حيث خشوعه واطمئنانه وليس فقط على الوجه في بشره ونوره وإنما على الجوارح كل الجوارح ويتحول هذا الإيمان إلى طاقة خلاقة تسارع إلي عمل الخير وتمد يدها إلى دروب المنفعة التي تعود على الأمة بالخير والنماء والتمكين.

- وحقيقة الإيمان لا يتم تمامها في جماعة حتى تتعرض للتجربة والامتحان والابتلاء وحتى يتعرف كل فرد فيها على حقيقة طاقته وعلى حقيقة غايته ثم تتعرف الجماعة على حقيقة اللبنات التي تتألف منها ومدي تماسك هذه اللبنات في ساعة الشدة، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت: 2-3) والاستفهام في قوله تعالى ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ﴾ إنكاري ومعناه أن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان. [4]

وعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: [**أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً. قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ مِنْ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى**

([1]) في ظلال القرآن، ج5 ، ص237.

([2]) مسند الإمام أحمد ، حديث السيدة عائشة، ج6 ، ص159 ، ح25302. ضعفه شعيب الأرناؤوط

([3]) انظر: في ظلال القرآن، ج5 ، ص237.

([4]) انظر: تفسير ابن كثير، ج3،ص405 بتصرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ] [1] وفي ظلال الآية الكريمة يقول سيد قطب رحمه الله: " إن الإيمان ليس كلمة تقال، إنما هو حقيقة ذات تكاليف وأمانة ذات أعباء وجهاد يحتاج إلى صبر وجهد يحتاج إلى احتمال فلا يكفي أن يقول الناس : آمنا وهم لا يتركون لهذه الدعوى حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا ويخرجوا من الفتنة صافية عناصرهم وخالصة قلوبهم كما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به حتى يصبح خالصاً ثميناً رفيعاً"[2]

هي إذن تلك الحقيقة الراسخة المستقرة في القلب أن الإيمان ليس دعوة إنما يحتاج إلى برهان على صدقه وخلوصه من كل شائبه وحينما يختبر الإيمان في القلب عن طريق الابتلاء فإن صاحبه يخرج أكثر قوة ومنعه ومحصناً من نوازع الشر ومنقاداً لأمر الله تبارك وتعالى ومهيأ للتمكين والاستخلاف.

المطلب الثاني: سعة العلم:

قال تعالى:﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (الزمر:9)

إن العلم سلاح وأي سلاح، العلم بمفهومه الشامل الذي يشمل كل شيء يمكن المؤمن من السير على بينه، وفي الاتجاه الصحيح، وعلى هدي وبصيرة. وهل يمكن أن جاهلاً يمكن له في الأرض؟ وفي الآية السابقة "مقابلة بين العامل بطاعة اللّه وغيره، وبين العالم والجاهل، وأن هذا من الأمور التي تقرر في العقول تباينها، وعلم علما يقينا تفاوتها، فليس المعرض عن طاعة ربه، المتبع لهواه، كمن هو قانت أي: مطيع للّه بأفضل العبادات وهي الصلاة، وأفضل الأوقات وهو أوقات الليل، فوصفه بكثرة العمل وأفضله، ثم وصفه بالخوف والرجاء، وذكر أن متعلق الخوف عذاب الآخرة، على ما سلف من الذنوب، وأن متعلق الرجاء، رحمة اللّه، فوصفه بالعمل الظاهر والباطن.[3]

وهذه نماذج القصص القرآني تؤكد هذه الحقيقة فإن الأنبياء والرسل وأولئك الذي مكن لهم من الأولياء والصالحين كانوا على قدر واسع من العلم الشامل لدروب الحياة ومن تلك الأمثلة:

([1]) مسند الإمام أحمد، حديث مصعب بن سعيد، ج3،1ص، 78، ح 1481

([2]) تفسير الظلال، سيد قطب، ج5، ص270

([3]) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان 720

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1- سعة العلم عند طالوت وتحقيق النصر

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ..... ﴾(البقرة: 247-251)

"بين الله أنه فضل طالوت عليهم بالعلم والجسم، بقوة الرأي والجسم اللذين بهما تتم أمور الملك، لأنه إذا تم رأيه وقوي على تنفيذ ما يقتضيه الرأي المصيب، حصل بذلك الكمال، ومتى فاته واحد من الأمرين اختل عليه الأمر، فلو كان قوي البدن مع ضعف الرأي، حصل في الملك خرق وقهر ومخالفة للمشروع، قوة على غير حكمة، ولو كان عالما بالأمور وليس له قوة على تنفيذها لم يفده الرأي الذي لا ينفذه شيئا"[1].

هكذا نجد المولى سبحانه وتعالى قد أشار إلى علة بعثه طالوت ملكاً وهي أنه اصطفاه أولاً وزاده بسطة في العلم والجسم وهكذا نجد أن العلم والقوة سلاحان بهما يحلق الفرد نحو التمكين .

وإن على الأمة اليوم وعلى كل أصحاب القرار أن يسلحوا أبناءهم بالعلم ليس العلم السطحي البسيط وإنما العلم الذي يدرس جوهر الأشياء وينفذ إلى بواطنها فينعكس بذلك على حياة الأفراد وإذا ما أضفنا إلى ذلك امتلاك عناصر القوة حق لنا أن نتطلع إلى التمكين وإلى قيادة البشرية.

ثانياً: سعة علم " ذو القرنين" سبب التمكين

قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا *قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا *آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا *فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾(الكهف: 94-97)

"كان يأجوج ومأجوج أهل فساد وشر وقوة لا يصدّهم شيء عن ظلم من حولهم لقوتهم وجبروتهم، حتى قدم الملك الصالح ذو القرنين، فاشتكى له أهل تلك البلاد ما يلقون من شرهم، وطلبوا منه أن يبني بينهم وبين يأجوج ومأجوج سداً يحميهم منهم، فأجابهم إلى طلبهم وأقام سدا

([1]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ج5، ص295.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منيعا من قطع الحديد بين جبلين عظيمين، وأذاب النحاس عليه حتى أصبح أشدّ تماسكا فحصرهم بذلك السد واندفع شرهم عن البلاد والعباد".[1]

فلم يتأتى دفع هذا الشر ووقف هذا الفساد القادم إليهم إلا بما أوتي ذو القرنين من علم فإن الله سبحانه وتعالى قد أعطاه من كل شيء سببا. فذو القرنين كان عالماً بالأسباب والمسببات علماً عميقاً، وليس علماً سطحياً هذا العلم مكنه من أن يدفع تلك القوة الغاشمة عن أولئك الذين استنجدوا به.

هذا العلم هو السبب في أن الله تعالى أعطى ذا القرنين ملكاً، فإنه أعطي هذا العبد الصالح ما لم يعط أحداً مثله فقد دانت له البلاد وطاف حتى بلغ مشرق الشمس ومغربها وهو على علمه وقوته كان عبداً لله ولذلك نراه يذكر بحقيقة وعد الله قال تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً ﴾(الكهف: 98)

المطلب الثالث: مواصفات المجاهد:

قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (الحج:78)

الجهاد: هو بذل الجهد في مقارعة الأعداء، والسعي التام في نصرة دين الله، وقمع دين الشيطان، وهو ذروة الأعمال الصالحة، وجزاؤه، أفضل الجزاء، وهو السبب الأكبر، لتوسيع دائرة الإسلام وخذلان عباد الأصنام، وأمن المسلمين على أنفسهم وأموالهم وأولادهم.[2] وبما أن الجهاد يعرف ببذل الجهد، وهذا يؤدي إلى المشقة، فلا بد للمجاهد من أن يتصف بمواصفات تعينه على قهر أعدائه منها:

أولا: الصفات العامة للمجاهد[3]

لقد وضعت سورة التوبة الصفات التي يجب أن يتحلى بها المجاهدون وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(التوبة: 111-112)

([1]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ج18 ، ص111 .

([2]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص98 .

(3) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج4، ص219.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1- التائبون

وهم التائبون من الذنوب كلها والتاركون للفواحش.

2- العابدون

القائمون بعبادة ربهم ومحافظين عليها وهي الأقوال والأفعال.

3- الحامدون

من أخص الأقوال حمد الله وهم كثيرين الحمد لله تبارك وتعالى

4- السائحون

الصائمون حيث أن الصيام أفضل الأعمال وهو ترك الملاذ من الطعام والشراب والجماع

5- الراكعون والساجدون

الذين يؤدون الصلاة وينفعون خلق الله

6- الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر

الذين يرشدون الناس إلى طاعة الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

7- الحافظون لحدود الله

الذين يحفظون حدود الله في تحليله وتحريمه علماً وعملاً فقاموا بعبادة الحق ونصح الخلق.

هذه الصفات الكريمة التي يتحلى به كل من باع نفسه لله سبحانه وتعالى وكل من جاهد بماله ليصبح مجاهداً معطاءاً .

قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾(البقرة:177)

هناك صفات عامة ينبغي أن يتصف بها المجاهد كونه مسلماً قبل ان يكون مجاهداً وهي:

1- الإيمان وإقامة الصلاة هما منبع الفضائل الفردية، لأنهما ينبثق عنهما سائر التحليات المأمور بها، والزكاة.

2- إيتاء المال أصل نظام الجماعة صغيرها وكبيرها، والمواساة تقوى عنها الأخوة والاتحاد وتسدد مصالح للأمة كثيرة.

3- ببذل المال في الرقاب يتعزز جانب الحرية المطلوبة للشارع حتى يصير الناس كلهم أحراراً.

4- الوفاء بالعهد فيه فضيلة فردية وهي عنوان كمال النفس، وفضيلة اجتماعية وهي ثقة الناس بعضهم ببعض.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5- الصبر فيه جماع الفضائل وشجاعة الأمة ولذلك حصر فيهم الصدق والتقوى حصراً ادعائياً للمبالغة ، ودلت على أن المسلمين قد تحقق فيهم معنى البر، وفيه تعريض بأن أهل الكتاب لم يتحقق فيهم ، لأنهم لم يؤمنوا ببعض الملائكة وبعض النبيين ، ولأنهم حرموا كثيراً من الناس حقوقهم ، ولم يفوا بالعهد ، ولم يصبروا.[1] ويتبع هذه الصفات:

- الطهارة بشقيها المادي والمعنوي: قال تعالى: ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾(التوبة: 108)
- أداء الفرائض بأكملها: قال تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:71)
- الصدق مع الله: قال تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾(الأحزاب:32)
- إيثار الآخرة على الدنيا: قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (النور:37).

تلكم الصفات السابقة التي تشير إليها الآية هي من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها المؤمن وهي صفات حينما تتكامل مجتمعة في فرد أو جماعة فإنها توجد المؤمن الحقيقي الذي يتخلق بقيم الإسلام العليا " فلله در هذا الاستقراء البديع؛ الذي يعجز عنه كل خطيب وحكيم، غير العلام الحكيم، وقد جمعت هذه الخصال جماع الفضائل الفردية، والاجتماعية، الناشئ عنها صلاح أفراد المجتمع، من أصول العقيدة، وصالحات الأعمال

ثانيا: الصفات الخاصة للمجاهد:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة:54) وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾(الحج: 41) وقال تعالى: ﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾(محمد:38)

ومواصفات المجاهد يصعب حصرها وتناولها بشيء من التفصيل، لكننا نذكر بعضها: لقد بين الله سبحانه وتعالى في الآيات الكريمات صفات المؤمن الحقيقي الذي يستطيع بإيمانه أن

([1]) انظر: تفسير التحرير والتنوير، ج2 ، ص132 بتصرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يحقق النصر على أعدائه في هذه الأرض وشرعت الآيات تبين مواصفات أولئك المجاهدين الذين يأتي الله بهم فهم ابتداءً يحبون ربهم وحبهم لله يتمثل في التزامهم بأوامره ونواهيه والوقوف عند حدوده وحب لهم يتمثل في نصرته ثم هم قبل ذلك وبعده يجمعون بين صفتين عظيمتين:

1- أذلة على المؤمنين وأعزة على الكافرين فهم ليسوا أذلاء في طبيعة خلقهم، إنما هم أعزة في تكوينهم، ولكن حالة الذل حالة طارئة لا تكون إلا حينما يتعلق الأمر بإخوانهم المؤمنين.

2- يتسمون بالشجاعة لا يخافون لومة لائم، لأن همهم الأول ومبتغاهم هو أن يرضوا ربهم. إنه فضل عظيم يؤتيه لمن أحب من عباده وإن على الثلة المؤمنة اليوم أن تتخلق بهذه الأخلاق وأن تتمثل بهذه الصفات ولكننا وللأسف نجد حال المسلمين على غير ذلك.

إن من صفات هذه الثلة المؤمنة أنها حينما تمكن في الأرض، تقيم شعائر الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وهي الأسباب التي أوجبت تمكينها في الأرض.

أ – يحب الله ويحبـــه الله.

قال تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾، وهذه أول صفة ذكرها الله في معرض تـــهديد من ارتد عن الإسلام، وبالعودة إلى الآيات التي ذكرناها سابقاً نجد أن هذه الصفة من أهم الخصال التي يجب أن يتحلى بـــها يريد أن يحقق الله على يديه أمر إعزاز الإسلام والمسلمين، ومحبة الله عبده رضاه عنـــه وتيسير الخير له، ومحبة العبد ربـــه انفعال النفس نحو تعظيمه والأنس بذكره وامتثال أمره والدفاع عن دينـــه.[1]

وإننا في هذه الأيام وفي هذه الديار لفي أشد الحاجة إلى التذكير بهذه المعاني والعمل بمقتضاها وترك ما ينافيها وذلك بعرض أعمالنا وأقوالنا على المحجة البيضاء التي تركنا عليها خير الورى.

ب- أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين.

قال تعالى: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ فهذه من صفاتهم، فهم للمؤمنين أذلة من محبتهم لهم، ونصحهم لهم، ولينهم ورفقهم ورأفتهم، ورحمتهم بهم وسهولة جانبهم، وقرب الشيء الذي يطلب منهم وعلى الكافرين بالله، المعاندين لآياته، المكذبين لرسله – أعزة، قد اجتمعت هممهم وعزائمهم على معاداتهم، وبذلوا جهدهم في كل سبب يحصل به الانتصار عليهم، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾(الفتح: 29) وقال

([1]) انظر: التحرير والتنوير، ج6 ، ص23

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى:﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح: 29) فالغلظة والشدة على أعداء الله مما يقرب العبد إلى الله، ويوافق العبد ربه في سخطه عليهم، ولا تمنع الغلظة عليهم والشدة دعوتهم إلى الدين الإسلامي بالتي هي أحسن. فتجتمع الغلظة عليهم، واللين في دعوتهم، وكلا الأمرين من مصلحتهم ونفعه عائد إليهم.[1]

ت – لا تأخذه في الله لومة لائم

قال تعالى: ﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(المائدة: 54) وقال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: 111).

والحديث عن الجهاد وأثره في إعزاز أمة الإسلام يطول، ويكفي أن النبي ﷺ ذكر في الأحاديث الصحيحة أن الأمة سيصيبها الذل والصغار إن هي تركت هذه الشعيرة العظيمة، وأنه لا يُرفع عنها لباس الهوان هذا إلا العودة الصادقة إلى ممارسة هذه الشعيرة، وتربية الأجيال على معانيها وطلب معاليها، والعذاب الذي يتهددهم ليس عذاب الآخرة وحده؛ فهو كذلك عذاب الدنيا، عذاب الذلة التي تصيب القاعدين واستغلالها للمعادين، وهم كذلك يخسرون من النفوس والأموال أضعاف ما يخسرون من الكفاح والجهاد، ويقدمون على مذابح الذل أضعاف ما تتطلبه منهم الكرام لو قدموا لها الغداء، وما من أمة تركت الجهاد إلا ضرب عليها الذل فدفعت مرغمة صاغرة لأعدائها أضعاف ما كان يتطلبه منها كفاح الأعداء.[2]

ث– الصبر والثبات

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(آل عمران: 200)

وهذا حض المؤمنين على ما يوصلهم إلى الفلاح – وهو: الفوز والسعادة والنجاح، وأن الطريق الموصل إلى ذلك لزوم الصبر، الذي هو حبس النفس على ما تكرهه، من ترك المعاصي، ومن الصبر على المصائب، وعلى الأوامر الثقيلة على النفوس، فأمرهم بالصبر على جميع ذلك. والمصابرة الملازمة والاستمرار على ذلك، على الدوام، ومقاومة الأعداء في جميع الأحوال.[3]

([1]) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان 235

([2]) انظر: في ظلال القرآن ، ج4 ، ص31 بتصرف.

([3]) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص162

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد اقتضت حكمة الله جل أن يكون هناك تدافع بين الناس وذلك لوجود الخير والشر والحق والباطل، ومن خلال هذه المدافعة تتمايز الصفوف، قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (البقرة:251) ، فبين سياق هذه الآيات أن هناك فريق مظلوم، يجب عليه أن يدفع هذا الظلم الذي حصل له، وهو فريق الحق، وأن هناك فريق معتد ظالم متكبر، وهو فريق الباطل، يجب أن يردع وأن يوقف عند حده.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

لقد أكدت الآيات القرآنية القصصية على أن قوة الإيمان بالله هي حجر الأساس في الصراع مع أهل الباطل وهي السر في ثبات الثلة المؤمنة في مواجهة أعدائها الظالمين وحينما كان يغيب هذا العنصر الأساس كانت تختل نتائج المعركة.

وبرز في القصص القرآني دور العلم كعامل مهم من عوامل النصر والتمكين والعلم ليس المقصود به العلم الشرعي وإنما المقصود بمفهومة الشامل الذي يشمل وجوه المنافع المختلفة في تحقيق مصالح الخلق كما برز في قصة ذي القرنين وقصة طالوت وجالوت.

أتاح القصص القرآني للباحث التقاط جملة من المواصفات التي تحلت بها الثلة المؤمنة في صراعها مع أهل الباطل والذي ينبغي علينا في هذا العصر أن نتحلى بها في مواجهة هذا الظلم الذي نواجهه من قوى الاستكبار العالمي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

عوامل جماعية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قوة الجماعة.

المطلب الثاني: استقلال الجماعة وعدم التبعية.

المطلب الثالث: انفتاح الجماعة ومرونتها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: قوة الجماعة

أولاً: تعريف القوة:

"القوة ضد الضعف، والجمع قوى وقِوّي والقوة مبعث النشاط والحركة والنمو" [1] والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن مادة (قوى) وما اشتق منها ذكرت فيما يقرب من أربعة وأربعين موضعاً وبمعان متعددة لا تخرج عن معني القوة[2]

- **مشهد من قصة لوط وقومه**

قال تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ * وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ * قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ * قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ هود(77-80)

هذه الآيات تتحدث عن قوم لوط حين أبوا إلا أن يمضوا في طلب الفاحشة فخاطبهم لوط بقوة الجماعة والعشيرة في قوله ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ لكنت نكلت بكم وفعلت الأفاعيل[3].

ففي ضوء هذه الآية نجد أن لوطاً عليه السلام كان حريصاً أن تكون له عائلة او عشيرة أو جماعة قوية يستند إليها ويعود لها في أثناء صراعه مع قومه وقوة الجماعة تكون لإحقاق الحق وإبطال الباطل فقوة الجماعة هامة وضرورية لمواجهة الكفر وأعوانه ولكي لا نقف ضعفاء أمام الأمم الأخرى التي تداعت علينا كتداعي الأكلة على قصعتها فالمطلوب أن نقوي أنفسنا بقوة الجماعة والوحدة بين المسلمين بدل هذا التشرذم والتفرق.

- **مشهد من قصة شعيب وقومه**

قال تعالى : ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (هود:91)

هذه الآيات الكريمات جاءت في ثنايا قصة شعيب مع قومه حينما نهاهم عن البخس في المكيال والميزان كان جوابهم له ﴿يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾و تضجروا من نصائحه ومواعظه لهم وذلك لبغضهم لما يقول وهددوه بالرجم الذي هو أقبح من القتل لولا جماعته وقبيلته[4] .

([1]) المعجم الوسيط: ج2، ص775

(2) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، باب القاف، ص587،588

(3) انظر: تفسير الطبري: ج15، ص418.

([4]) تفسير تسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ج1، ص388

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهكذا نجد أن شعيباً كان منيعاً حصيناً برهطه وهذه المنعة هي التي جعلت قومه يحجمون عن أن يمسوه بسوء أو يرجموه على حد قولهم وقد أعلنوا بوضوح لو لا رهطك لرجمناك وهي أمنية لم تتحقق لهم بفعل قوة جماعته وهكذا نجد أن الجماعة المؤمنة حينما تكون قوية ومتماسكة تحمي أبناءها وقادتها وتحول قوتها دون أن تمسها يد الكفر بسوء.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً ﴾ (الإسراء:5) أي: " سلطنا عليكم جنداً من خلقنا أولي بأس شديد، أي: قوة وعدة وسلطة شديدة " [1]

لقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن بني إسرائيل سيصبح لهم قوة وسلطان في الأرض المقدسة ولكنه سبحانه وتعالى اخبرنا أن عباداً من عباده سوف يبعثهم " **أولي بأس شديد**" أي يتمتعون بقوة وصلابة ويستعيدون الديار ويتبرون فيها علو بني إسرائيل وهنا تكمن معنى القوة حيث وصفهم المولى (أولي بأس شديد).

إن من صفات الفئة المؤمنة أنها ينبغي أن تمتع بقوة وصلابة لتتمكن من إقامة سلطان الله في الأرض، وإقامة العدل بين الناس، فإن الحق إن لم تسانده القوة يكون فتنة لأصحاب النفوس الضعيفة والهمم القاصرة العاجزة، ولقد طلب الإسلام من أتباعه أن يكونوا أقوياء أعزة أتقياء وحثهم على ذلك أفرادا وجماعات، وأمرهم بكل ما يحقق هذه القوة ويؤدي إليها، من سعي حثيث، وكسب شريف، وعمل، وجهاد، وتعاون، واتحاد، ونحو ذلك، ونهاهم عن الضعف، والتخاذل، والتدابر، والتنافر، والعجز والتكاسل، وعن كل ما يجلب الوهن والذلة، ومن هنا حث رسول الله ﷺ المؤمن على أن يكون قوياً في نفسه، وقوياً في بدنه، وقوياً في عقيدته، وقوياً في طاعته، وقوياً في صبره واحتماله، وقوياً في جهاده ونضاله، لا تزعزعه الشدائد، ولا تثنيه الخطوب، حتى لا بد أن يكون قويا في مظهره، يمثل الرجولة والصلابة.

ثانياً: قوة الجماعة من قوة الرجال:

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَّخَاسِرُونَ ﴾ (يوسف:14) وقال تعالى: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾(هود:80)

ومرة تلو مرة تتم الإشارة إلى معاني القوة تلك التي سيشاد عليها وبها سلطان الحق، ويتنوع التعبير عن أشكال القوة في القصص القرآني فمرة " **إنهم فتية آمنوا بربهم**" حيث الإشارة إلى معنى الفتوة والقوة وأخرى في التعبير عن معنى القوة والعصبة " **قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة**" ومرة في التعبير المباشر بمعني القوة" **قال لو أن لي بكم قوة**"، إن الجماعة المؤمن تتسم بالقوة إذا كانت

([1]) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج5 ، ص47

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

متماسكة ومتحدة تسير نحو هدف واحد، وليس المقصود هنا قوة الجماعة من قوة الرجال أن كل واحد من الرجال ينبغي ان يكون قوياً وقوة الرجال فرادى أمر مطلوب، ويجب أن نسعى إليه ولكن الرجال حتى وإن كانوا ضعافاً وتماسكوا وتوحدوا فإن معنيً من معاني قوة الجماعة يتحقق بهم على ضعفهم ولقد علمتنا التجارب أن العصي إذا اجتمعن فإنهن يستعصين على الكسر، وأما إذا افترقن فإنهن يتكسرن واحدة واحدة وفي قصة يوسف السابقة أظهر إخوة يوسف استهجانا أن يضيع يوسف من بينهم، وذلك لعلمهم بأنهم يدا واحدة، ولا يمكن لأحد أن يكسر شوكتهم، حتى ولو كان مجموعة من الحيوانات المفترسة، فالقوة دوما مع الجماعة، وفي هذه إشارة إلى أهمية القوة المادية المتمثلة في الرجال الأقوياء، والآلة القوية، والسيف والرمح، والبندقية والمسدس والرشاش، كل هذه الآلآت الحربية وغيرها، تحتاج إلى رجال أقوياء في أجسامهم؛ لحملها واستعمالها. قال النبي ﷺ:[المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير..][1] فأخبرنا ﷺ أن المؤمن القوي مظهر من مظاهر القوة التي يعز الله بها الإسلام؛ ولذلك نرى كيف كان لإسلام حمزة بن عبد المطلب، وإسلام عمر بن الخطاب، وكذلك إسلام خالد بن الوليد، وقع كبير، وفرحة عظيمة؛ لأن الله أعز إسلامه بالرجال الأقوياء، ولقد ظهرت نتيجة قوة هؤلاء المسلمين الأقوياء، وانتشرت خيراتها، فدحض الله بهم كلمة الشرك، وقوة الإيمان تشمل كل قوة يمكن للمسلم عن طريقها تحقيق هدفه سواء كان هدفه تحقيق القوة المعنوية أو المادية.

القوة المادية والمعنوية يكمل بعضها البعض:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد: 25)

"فالله سبحانه وتعالى قارن إنزال الكتب والأمر بالعدل بإنزال الحديد، وفي هذا إشارة إلى أن الكتاب يمثل القوة التشريعية، والعدل يمثل القوة القضائية، وإنزال الحديد يمثل القوة التنفيذية، فإن التشريع الإلهي، لا بد له من قاض يحكم به بالعدل، ولا بد من قوة تنفذ حكمه؛ فإن الحق وحده لا يسير إلا بالقوة، كل ذلك ليقوم الناس بالقسط، فإن الظلم من شيم النفوس وطبائعها".[2]

ولا بد إذن أن تتكامل القوة المعنوية مع القوة المادية وهذا ما يوضحه نص الآية الكريمة فالبينات والكتاب يمثلان الحق الذي تدعو إليه الفئة المؤمنة والميزان يمثل الوسيلة والطريقة التي تحق هذا الحق والحديد هو رمز للقوة التي تحرسهما معاً ،وهنا يجب أن تتكامل الأدوار وهي أدوار يرسمها لنا الله ويقررها "ولما كان الناس فريقين فريقاً يقوده العلم والحكمة

([1]) صحيح مسلم، كتاب القضاء ، باب الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله، ح6945

([2]) انظر: التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، ج2، ص481.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفريقاً يقوده السيف والعصا وكان ما يزغ بالسلطان أكثر مما يزغ بالقرآن وكان العدل لا بد له من حام يحميه وهو الدولة والملك وأعوانه والجند وهؤلاء لا بد لهم من عدة يحمون بها العدل في داخل البلاد وفي خارجها أعقب هذه بقوله : {وأنزلنا الحديد } أي خلقنا الحديد لتكون منه السيوف والرماح والدروع والسفن البحرية وما أشبه ذلك وفيها القوة التي ترغم أنف الظالم وتحمي المظلوم" [1]

لما كانت القوة المعنوية وحدها لا تكفي لصد عدوان المعتدين، وقمع الظالمين، والطامعين، ورد كيد المناوئين، وإحباط مكر المتربصين، كان لا بد من قوة مادية تساندها وتكون مرهبة للأعداء، ومرغمة للأقوياء، وزاجرة للأشرار، وقامعة للكفار، تنصر الحق، وتدفع الظلم، وترفع راية الإسلام، تحت رعاية حكومة رشيدة، قوية، يقظة، متوثبة، تسهر على تحقيق العدالة، والأمن للمواطنين، وحماية الثغور، ومصالح المسلمين.

تجهيز قوة الجماعة واجب:

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال:60)

"أمر الحق سبحانه وتعالى المسلمين بإعداد هذه القوة المرهبة وبذل كل ما يستطيعون لها وتوفيرها، والإعداد التهيئة والإحضار، بكلّ ما يدخل تحت قدرة الناس اتّخاذه من العُدّة والخطاب لجماعة المسلمين ووُلاَة الأمر منهم، فاتّخاذ السيوف والرماح والأقواس والنبال من القوة في جيوش العصور الماضية، واتّخاذ الدبابات والمدافع والطيارات والصواريخ من القوّة في جيوش عصرنا".[2]

ومن الملاحظ أن المولى سبحانه وتعالى قدم لفظ (قوة) وهي اللفظة النكرة لتدل على أن ولاة الأمر مطالبون بالإعداد في كل عصر وزمان كافة أشكال القوة التي تناسب عصرهم لأن مظاهر القوة في كل عصر تتبدل وتتغير ومن هنا نفهم ورود(قوة) نكرة وبهذا الاعتبار يُفسر ما رواه عن عقبة بن عامر أنّ رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية على المنبر ثم قال: [ألاَ إنّ القوة الرمي][3] قالها ثلاثاً ، أي أكمل أفراد القوة آلةُ الرمي ، أي في ذلك العصر . وليس المراد حصر القوة في آلة الرمي.

([1]) تفسير المراغي ج27، ص182-183.

([2]) انظر: التحرير والتنوير، ج10، ص55.

([3]) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فَضْلِ الرَّمْيِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ وَذَمِّ مَنْ عَلِمَهُ ثُمَّ نَسِيَهُ، ح5055 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"{ترهبون به عدو الله وعدوكم}، وعدو الله وعدوهم: هم إذ عُدُّوا أعداءً لهم، فهم أعداء الله. والإرهاب جعل الغير راهباً، أي خائفاً ، فإنّ العدوّ إذَا علم استعداد عدوّه لقتاله خافه ، ولم يجرأ عليه، فكان ذلك هناءً للمسلمين وأمناً من أن يغزوهم أعداؤهم".[1]

المطلب الثاني: استقلال الجماعة وعدم التبعية

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (التوبة:23)

هذه الآية جاءت " نهيٌ لكل فردٍ من أفراد المخاطَبين عن موالاة فردٍ من المشركين "[2] واستقلال الجماعة قائم على شرط الإيمان وعدم موالاة غير المؤمنين إن على مستوى الفرد ومستوى الجماعة وهي دعوة إلى أن تظل الجماعة قائمة ومستقلة وتتخلص من تأثيرات حتى الأقربين منها ولو كانوا الأبناء والآباء فتمايز الجماعة المؤمنة شرط لانتصارها وبقائها وتأييد الله لها. ولذا نجد أن الخطاب القرآني الذي وجه إلى نوح كان واضحاً " قال يا نوح إنه ليس من أهلك" لتظل الجماعة المؤمنة مع نوح وقومه قائمة على شرط الإيمان حتى تضمن تأييد الله لها ونصرتها على أعدائها.

﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة:51)

" نهى الله تعالى المؤمنين بهذه الآية عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء في النصرة والخلطة المؤدية إلى الامتزاج والمعاضدة وحكم هذه الآية باق وكل من أكثر مخالطة هذين الصنفين فله حظه من هذا المقت الذي تضمنه قوله تعالى : { **فإنه منهم** } "[3].

وهكذا يتضح لنا أن الجماعة المؤمنة يجب ان تتخلص من التبعية والموالاة لغيرها حتى ولو كانوا اليهود او النصارى لتظل مستقلة وقائمة بذاتها في كل أحوالها في قرارها ومأكلها ومشربها وملبسها وحاجة أبنائها، وإن على ولي الأمر أن يحرص على أن تظل هذه الاستقلالية قائمة، وإلا فإنه يوقع الأمة في حرج وضيق.

---

(1) انظر: التحرير والتنوير، ج10، ص56.

(2) تفسير إرشاد العقل السلم إلي مزايا القرآن العظيم، لأبي السعود، ج3، ص 154.

(3) تفسير ابن عطية،ج2، ص252.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن العوامل التي تحافظ على استقلالية الجماعة وعدم تبعيتها ما يلي

أولاً: الاتحاد

وهو فريضة شرعية على الجماعة المسلمة لبقاء تماسكها واستقلاليتها كمال يقول سبحانه ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران:103)

فبعد أن أمر سبحانه وتعالى المؤمنين بالاعتصام بحبل الله وهو القرآن الكريم فإنه أمرهم بالجماعة ونهاهم عن الفرقة(ولا تفرقوا) وذكرهم بما امتن به على الأوس والخزرج حيث جعلهم أخوة بهذا الدين بعد أن كانوا أعداء تشتعل بينهم المعارك والحروب لأتفه الأسباب ووصف سبحانه وتعالى رابطة الإخوة التي تجمعهم بأنها نعمة وفي هذا تقدير عظيم لأهمية الاتحاد والتآلف بين المؤمنين وتذكير لهم بأن يحافظوا على هذه النعمة فلا يفرطوا فيها بالتنازع والاختلاف.[1]

وترغيباً في الاتحاد والاستقلال أخبر الرسول ﷺ [إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال][2] وقرن الرسول ﷺ الاتحاد بالعبادة والتوحيد إشعاراً بأن الاتحاد ركن من أركان هذا الدين، حيث قال الإمام النووي: "وأما قوله ﷺ (ولا تفرقوا) فهو أمر يلزم جماعة المسلمين، وتآلف بعضهم ببعض، وهذه إحدى قواعد الإسلام" [3] وحث الرسول ﷺ على لزوم الجماعة، ونهى عن الفرقة، فعن ابن عمر قال: [خطبنا عمر بالجابية فقال: يا أيها الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا، فقال: أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشوا الكذب، حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن][4] وحفاظاً على وحدة الأمة أهدر رسول الله ﷺ دم من أراد تفريق شملها فقال ﷺ:[من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم، فاقتلوه][5]

([1]) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج1، ص388 بتصرف.

([2]) صحيح مسلم ، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة ، ح4578

([3]) شرح النووي على صحيح مسلم، ج12، ص11

([4]) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، ح2165

([5]) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب حُكْمِ مَنْ فَرَّقَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ مُجْتَمِعٌ، ح4904

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن العلاقة التي تربط بين المؤمنين في المجتمع الإسلامي، أيا كانت ألوانهم وأجناسهم وأوطانهم، لهي علاقة عظيمة، لا يصل إليها اتحاد بين البشر، ويتبين أن الآصرة التي يجتمع عليها المؤمنون هي آصرة العقيدة فقط، وهي تتقدم على غيرها من الروابط والعلاقات الأرضية، حتى آصرة النسب، بل وتفرض على المؤمن أن يقف في وجه أخيه من والديه وقت المعركة إن خالف عقيدة الإيمان والتوحيد، وتوجب عليه أن يقف بجوار أخيه المؤمن، ليدفع عنه أعداء هذه العقيدة.

كما وتتعين وحدة أبناء الجماعة في المعارك مع الأعداء كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ (الصف:4)

"هذا حث من الله لعباده على الجهاد في سبيله، وتعليم لهم كيف يصنعون، وأنه ينبغي لهم أن يصفوا في الجهاد صفا متراصا متساويا، من غير خلل يقع في الصفوف، وتكون صفوفهم على نظام وترتيب، به تحصل المساواة بين المجاهدين، والتعاضد، وإرهاب العدو، وتنشيط بعضهم بعضا، ولهذا كان النبي ﷺ إذا حضر القتال، صف أصحابه، ورتبهم في مواقفهم، بحيث لا يحصل اتكال بعضهم على بعض، بل تكون كل طائفة منهم مهتمة بمركزها وقائمة بوظيفتها، وبهذه الطريقة تتم الأعمال ويحصل الكمال".[1]

وإذا كان اتحاد المسلمين جماعات وأفرادا في صف واحد واجباً في العموم، فإن اتحادهم أوجب على وجه الخصوص زمن المعارك والحروب، والتهديدات المتواصلة، لأنها تؤثر في مصير الأمم والشعوب، وهي أوجب عندما تصاب الأمة بالشلل الذي يفقدها القدرة على مواجهة الشعوب الأخرى، التي تستغل ضعفها لتجهز عليها، لذا فقد أمر الله تبارك وتعالى المجاهدين وقت المعركة أن يجتمعوا في صف واحد ضد عدوهم، صافين أنفسهم ومصفوفين، وشبههم في تراصهم من غير فرجة وخلل بقوله: ﴿كأنهم بنيان مرصوص﴾ "أي مثبت لا يزول، ملصق بعضه ببعض" [2] فهو سبحانه يريد منا هبة شاملة متحدة لقتال الأعداء، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة:36) أي " قاتلوا المشركين أيها المؤمنون جميعاً غير متخلفين مؤتلفين غير متفرقين كما يقاتلكم المشركون جميعاً مجتمعين غير متفرقين"[3]

ثانياً: الطاعة

([1]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص858.

([2]) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج4، ص359.

([3]) جامع البيان في تأويل القرآن، ج6، ص128.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(الأنفال: 46) الاتحاد قوة، والقوة تفضي إلى النصر، كما أن الاختلاف ضعف، والضعف يفضي إلى الهزيمة، وقد نبه الله سبحانه وتعالى في هاتين الآيتين إلى جملة من أسباب النصر والهزيمة، منها اتحاد المجاهدين، ونبه إلى هذا التحذير من الاختلاف والفرقة، مع بيان أنه سبب للهزيمة ﴿ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ فذكر الله سبحانه وتعالى ما يترتب على التنازع وهو: "الفشل: وهو الجبن في الحرب"[1] وهو سبب من أسباب الهزيمة. وذهاب الريح: والريح هي القوة والنصر، "وقيل الريح بمعنى الدولة، شبهت في نفوذ أمرها بالريح في هبوبها"[2] ومن هنا يتبين أن التنازع والفرقة يؤدي إلى الضعف والهزيمة.

رابعاً: نبذ الفرقة والتنازع والخلاف

قال تعالى:﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾(آل عمران:152)

" نزلت لما قال بعض المسلمين من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله بالنصر، وذلك أنه كان الظفر لهم في الابتداء، حتى قتلوا صاحب لواء المشركين وتسعة نفر بعده، فلما اشتغلوا بالغنيمة وترك الرماة مركزهم طلباً للغنيمة، كان ذلك سبب انهزامهم"[3]

تشكل قصة معركة أحد انعكاساً واضحاً لمعنى الآية السابقة ففي البدء كان وعد الله متحقق حينما بدأ المسلمون يحسون رقاب الكفار وهو وعد قطعه الله على نفسه أن الثلة المؤمنة إذا كانت مؤمنة صادقة الإيمان موحدة متماسكة فإن النصر حليفها حتى لو بدا الخلاف والشقاق والتنازع والتنافر فإن معية الله سترتفع عن تلك الثلة ولقد بقي ذلك درساً ظل قائماً على مر التاريخ في أن الوحدة والتماسك قرينة النصر والتمكين وأن التنافر والتنازع قرين الفشل والهزيمة .

وحينما نطل على واقع الأمة اليوم وما آلت إليه أحوالها من ضعف وهوان وتمزق وانكسار وانقسام وتنازع ندرك جيداً عظم المسئولية الملقاة على عاتقنا في توحيد الأمة ورص صفوفها وتماسكها.

([1]) انظر: فتح القدير للشوكاني، ج2، ص315، وانظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ج4، ص25.

([2]) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج2، ص316.

([3]) فتح القدير الشوكاني، ج1، ص389

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد علمنا التاريخ أن الأمة ما دخلت حرباً وهي مفرقة ومفككة ومتنازعة إلا وكان الفشل والانهزام حليفها، وأنها ما دخلت معركة وهي موحدة متماسكة إلا وشقت طريقها نحو الانتصار تلك سنة التاريخ. وهذا وحي القصص القرآني يظل قائماً على مر الزمان هداية للمسلمين.

ولقد تأكد أن الإستراتيجية التي يعتمدها العدو ضدنا هي تمزيق جسد الأمة الإسلامية إلى كيانات مختلفة، وذلك لتفتيت قوة المسلمين، وخلاصة هذه السياسة في العبارة المشهورة، (فرق تسد). ويشهد على ذلك تقرير الكولونيل لورنس، المرفوع إلى المخابرات البريطانية في كانون الثاني 1916م، والذي جاء فيه: "بأن أهدافنا الرئيسية تفتيت الوحدة الإسلامية بدحر الإمبراطورية العثمانية، وتدميرها، وإذا عرفنا كيف نعامل العرب فسيبقون في دوامة السياسة داخل دويلات صغيرة حاقدة غير قابلة للتماسك"[1] ويشهد لذلك حديثاً ما قاله اليهودي يهارون باريف، مدير المعهد المالي للدراسات الإستراتيجية في تل أبيب، والرئيس السابق للمخابرات العسكرية الإسرائيلية، قال: " أن جيشنا الإسرائيلي لا يزال أقوى جيش في الشرق الأوسط ولكنني أعتقد جازماً أن العدد الحالي لهذا الجيش لا يكفي لمواجهة أي خطر إلا إذا تحقق شرطان، أولهما: استمرار النزاعات وأسباب الخلاف بين العرب أنفسهم ، وثانيها: ألا يتحقق أي ائتلاف وألا يقوم أي تحالف بين عدة دول عربية ضد إسرائيل " [2] وهنا لا بد أن نذكر أن من أبرز أسباب انتصار القائد المظفر صلاح الدين الأيوبي على الصليبين وظفره باسترداد بيت المقدس هو توحيده للدويلات الإسلامية المتناحرة فيما بينها[3]

المطلب الثالث: انفتاح الجماعة ومرونتها

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران:64).

"هذه الآية عظيمة الدلالة على انفتاح الإسلام، فقد جاء متضمناً وملخصاً حقائق عظيمة، معتمداً على وقائع القصص في تقرير الحقائق التي يقررها، فيتناول حقيقة عيسى عليه السلام، وطبيعة الخلق والإرادة الإلهية، والوحدانية الخالصة، ودعوة أهل الكتاب إليها، ودعوتهم إلى المباهلة ".[4]

([1]) أجنحة المكر الثلاثة، عبد الرحمن حبتكه الميداني، ص199

([2]) انظر: مجلة الأمة القطرية عدد62، السنة السادسة.

([3]) انظر: كتاب صلاح الدين الأيوبي، عبد الله ناصح علوان، ص106-107

([4]) انظر: في ظلال القرآن، ج1، ص361.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الآية السابقة تضع مبدأ عريضاً وواعياً في انفتاح الجماعة وإدارة علاقتها مع الآخرين، وإن مما يستوقف في هذه الآية أن العلاقة مع الأخرين قائمة على التقاط عوامل الاتفاق الأولية مهما صغرت وتضاءلت والبناء عليها في تأسيس العلاقة وليس العكس كما يحدث اليوم في عصرنا الحاضر من البحث عن التقاط نقاط الخلاف والتأسيس عليها في إدارة العلاقة مع الأخرين.

فإن الكلمة السواء في العلاقة مع أهل الكتاب هي الإقرار بالوحدانية لله وعدم الشرك به وعدم تنصيب أرباب من دونه، وهي في مجملها نقاط اتفاق مع المسلمين يمكن البناء عليها. وإن الجماعة المؤمنة اليوم في عصرنا هذا عليها أن تلتمس مواطن الاتفاق مع الآخر وتؤسس العلاقة عليها وترجئ مواطن الخلاف.

ويتميز الإسلام بأنه جمع بين إصلاح النفوس، بالتزكية، وبين إصلاح نظام الحياة، بالتشريع، في حين كان معظم الأديان لا يتطرّق إلى نظام الحياة بشيء، وبعضها وإن تطرّق إليه إلاّ أنّه لم يوفه حقه، بل كان معظم اهتمامها منصرفاً إلى المواعظ والعبادات وذلك مراعاة لمراتب نفوس المخاطبين، فمنهم العالم الحكيم الذي لا يقتنع إلاّ بالحجة والدليل، ومنهم المكابر الذي لا يرعوي إلاّ بالجدل والخطابة، ومنهم المترهّب الذي اعتاد الرغبة فيما عند الله، ومنهم المكابر المعاند، الذي لا يقلعه عن شغبه إلاّ القوارع والزواجر.[1]

شواهد المرونة في القرآن الكريم

1- التأكيد على مبدأ الشورى

قال تعالى:﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(آل عمران:159) وقال تعالى:﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾(الشورى:38)

" قررت هاتان الآيتان مبدأ الشورى دون أن تحددا أو إحداهما المسائل التي تجرى فيها الشورى وجوباً أو جوازاً ومن هم أهل الشورى وما هي إجراءاتها وهل نتيجتها ملزمة أو لا "[2] وتتمثل المرونة أيضا في عدم تحديد شكل معين للشورى يلتزم به الناس في كل زمان وكل مكان، فيتضرر المجتمع بهذا التقيد الأبدي إذا تغيرت الظروف بتغير البيئات أو الإعصار، أو الأحوال، وعلى ضوء ما سبق فإن الجماعة المسلمة مطالبة بالأخذ بمبدأ الشورى، وبترسيخ مبدأ الشورى يتم فتح باب الحوار الإيجابي مع الجماعات، والأحزاب الأخرى، مما يثبت العلاقة ويمتن الجبهة الداخلية [3]

([1]) انظر: التحرير والتنوير، ج3 ، ص194.

([2]) مرونة الفقه الإسلامي، على جاد الحق، ص37

([3]) انظر: الخصائص العامة للإسلام، يوسف القرضاوي، ص180

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- اللين والملاطفة في القول

قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾(طه:44) وقال تعالى ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ (الإسراء:28). وتتمثل المرونة هنا في القول اللين الميسور حتى مع من بلغ معه الاستكبار أعلى درجاته وهو فرعون الذي هو غاية العتو والاستكبار وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين،[1] والملاطفة واللين أوقع في النفوس وأدعى للقبول الأمر الذي يتطلب أن تكون الجماعة المسلمة صاحبة قول لين ميسور مع باقي الجماعات ومع أفرادها وأبنائها حتى تكون أبلغ وأنجع في تحقيق أهدافها التي تسعى إليها.[(2)]

3- ارتكاب أخف الضررين

قال تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ (الكهف:79- 81) "وتتمثل المرونة هنا في أن الخضر عليه السلام اختار أخف الضررين والشرين فتبقى السفينة معيبة خير من أن يأخذها الملك وقتل نفس واحدة خير من قتل نفسين، وقد علمنا الخضر عليه السلام كيف نوازن بين الإبقاء على السفينة معيبة وبين ذهابها بالكلية ولا ريب أن بقاءها معيبة أخف شراً كما علمنا أن موت نفس واحدة أخف شراً من هلاك نفسين، وهنا مسألة دفع الشرين تحتاج إلى علم واسع وفهم دقيق وحكمة بالغة ولا تكون مبذولة لكل أحد لذلك فالجماعة المسلمة تدرس الأضرار التي تقع عليها وعلى أبنائها وتدفع الأخف شراً وضرراً وذلك لتحقيق مصلحة ما".[(3)]

4- الرحمة ولين الجانب القائد:

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾(آل عمران:159)

إنها رحمة الله التي نالته ونالتهم؛ فجعلته ﷺ رحيماً بهم ليناً معهم. ولو كان فظاً غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب، ولا تجمعت حوله المشاعر فالناس في حاجة إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم، وحلم لا يضيق بجهلهم، وضعفهم ونقصهم في

([1]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن ،ج18 ، ص313

([2]) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج3،ص161

([3]) انظر: التحرير والتنوير، ج16 ، ص11 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حاجة إلى قلب كبير يعطيهم، ولا يحتاج منهم إلى عطاء؛ ويحمل همومهم، ولا يعنيهم بهمه؛ ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية، والعطف والسماحة والود والرضاء، وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ وهكذا كانت حياته مع الناس ما غضب لنفسه قط، ولا ضاق صدره بضعفهم البشري، ولا احتجز لنفسه شيئاً من أعراض هذه الحياة؛ بل أعطاهم كل ما ملكت يداه في سماحة ندية، ووسعهم حلمه وبره وعطفه ووده الكريم، وما من واحد منهم عاشره، أو رآه، إلا امتلأ قلبه بحبه؛ نتيجة لما أفاض عليه ﷺ من نفسه الكبيرة الرحيبة، وكان هذا كله رحمة من الله به وبأمته، يذكرهم بها في هذا الموقف، ليرتب عليها ما يريده سبحانه؛ لحياة هذه الأمة من تنظيم.[1]

وتتمثل مرونته ﷺ في تقديره لكل وجهة نظر يبديها ذو رأي من أصحابه، فتجده ﷺ يأخذ برأي الحباب بن المنذر بن الجموح في يوم بدر، في مكان نزول الجيش، عندما قال: "يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: " بل هو الرأي والحرب والمكيدة " قال: يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماءً من القوم فننزله، ثم نعور ما وراءه من القلب، ثم فنبني عليه حوضاً من ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فقام رسول الله ﷺ ومن معه من الناس، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء القوم نزل عليه، ثم أمر بالقُلب فعورت، وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عليه، فمليء ماء ثم قذفوا فيه الآنية" [2]. وها هو ﷺ يأخذ برأي سلمان الفارسي رضي الله عنه في حفر الخندق كذلك.

([1]) في ظلال القرآن، ج1 ، ص477 بتصرف.

([2]) سيرة ابن هشام، ج2، ص259، 260 بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمـــــــــة

مثلما أتاح لنا القصص القرآني التقاط عوامل النصر والتمكين التي تتمثل في كل فرد فإن القصص القرآني أتاح لنا فرصة التقاط العوامل الجماعية التي تتعلق بالجماعة من حيث قوتها وانفتاحها ومرونتها.

تبين من القصص أن قوة الجماعة تكون في قوة تماسكها وقوة أفرادها وأن قوة تماسك الجماعة في اللحظات الصعبة هو ضمان لبقاء مصدر القوة، فقوة الكل تنبع من قوة الجزء فالأجزاء حينما تكون متماسكة قوية تعطي شكلاً متماسكاً ذات القوة والصلابة.

أشار القصص القرآني إلى أن الجماعة المؤمنة في رحلتها اتسمت بالمرونة والانفتاح مع الآخر، سواء كان هذا الآخر من أهل الكتاب أو غيره، وهذا يجعلنا أحوج ما نحتاج إلى هذه الروح المرنة السموحة في التعامل مع الآخر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

عوامل تربوية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإدارة والتخطيط.

المطلب الثاني: الدعوة والحوار.

المطلب الثالث: الإعلام المقاوم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

عوامل تربوية

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾(الإسراء:9)

هكذا على وجه الإطلاق فيمن يهديهم وفيما يهديهم، فيشمل الهدى أقواماً وأجيالاً، بلا حدود من زمان أو مكان؛ ويشمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق، وكل خير يهتدي إليه البشر في كل زمان ومكان، يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور، بالعقيدة الواضحة البسيطة، التي لا تعقيد فيها ولا غموض، والتي تطلق الروح من أثقال الوهم والخرافة، وتطلق الطاقات البشرية الصالحة للعمل والبناء، وتربط بين نواميس الكون الطبيعية ونواميس الفطرة البشرية في تناسق واتساق، ويهدي للتي هي أقوم في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه، وبين مشاعره وسلوكه، وبين عقيدته وعمله، فإذا هي كلها مشدودة إلى العروة الوثقى التي لا تنفصم، متطلعة إلى أعلى وهي مستقرة على الأرض، وإذا العمل عبادة متى توجه الإنسان به إلى الله، ولو كان هذا العمل متاعا واستمتاعاً بالحياة، ويهدي للتي هي أقوم في عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة، فلا تشق التكاليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء، ولا تسهل وتترخص حتى تشيع في النفس الرخاوة والاستهتار، ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال، ويهدي للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض، أفراداً وأزواجاً، وحكومات وشعوباً، ودولاً وأجناساً، ويقيم هذه العلاقات على الأسس الوطيدة الثابتة، التي لا تتأثر بالرأي والهوى؛ ولا تميل مع المودة والشنآن؛ ولا تصرفها المصالح والأغراض، الأسس التي أقامها العليم الخبير لخلقه، وهو أعلم بمن خلق، وأعرف بما يصلح لهم في كل أرض وفي كل جيل، فيهديهم للتي هي أقوم في نظام الحكم ونظام المال، ونظام الاجتماع ونظام التعامل الدولي اللائق بعالم الإنسان، ويهدي للتي هي أقوم في تبني الديانات السماوية جميعها، والربط بينها كلها، وتعظيم مقدساتها وصيانة حرماتها، فإذا البشرية كلها بجميع عقائدها السماوية في سلام ووئام.[1]

وهذه الآية جاءت بعد سياق ما قصه الله علينا مما حدث مع بني إسرائيل، وبين لنا أن القرآن هو المنهج التربوي الذي يشمل كل مبتغى الإنسان، فلا يترك علما إلا ويتناوله بمنهج تربوي أصيل، ولهذا رأى الباحث أن يقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب على النحو التالي:

([1]) في ظلال القرآن، ج5، ص8 بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: الإدارة والتخطيط:

تظل قضية الإدارة والتخطيط واحدة من القضايا المهمة التي تدفع الأمة على مدار تاريخها ثمنا باهظا بسبب غيابها، وهو غياب لا يؤدي إلى إيجاد حالة من الفراغ وإنما بالقطع يمكن للفوضى والاتكالية أن تستفحل في الأمة، فتقضي علي مقومات النهضة فيها، وتجعلها عالقة في تلافيف مشكلاتها المعقدة لا تبرحها.

وما هو مستقر في الأذهان أن الإدارة والتخطيط واحدة من أهم عوامل النجاح، وأسباب التفوق والتميز، بل يعزي كثير من المفكرين وأصحاب الرأي أن من أهم أسباب مشكلات الأمة في ماضيها وحاضرها هو غياب المقدرة على التخطيط الجيد، والإدارة الفاعلة.

إنهما قرينا النظام الدقيق، والقانون المحكم، والاستفادة من كافة القدرات في الأمة، بحيث لا يهمل أي مكون فيها مهما صغر، وهي التي تؤدي إلى التكامل بين مكونات الأمة بدلا من التناحر والتفرق.

إن نظرة متأنية لمظاهر الكون ونظامه الدقيق المحكم، وتلك الكتل البشرية التي خلقها المولى، -سبحانه وتعالى- من لدن آدم عليه السلام وحتى قيام الساعة، وما وزع الله عليهم من رزق بحيث يشملهم جميعاً، بقدر وتناسب، وما أنزل من السماء من ماء بقدر-يدفعنا إلى فهم معاني الإدارة والتخطيط. قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر 49).

وقال سبحانه ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (الحجر 21). وقال سبحانه ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (الشورى27) بل الأعجب من هذا كله أن المولى سبحانه وتعالى أحصى الخلائق إحصاء محكما دقيقاً، ليس ذلك فحسب بل عدهم عداً، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً﴾ (مريم94). ولنا أن نلاحظ أن الإحصاء له علاقة بالإحاطة بالمجموع أي بمجموعهم، والعد له علاقة بالفرد المفرد، أي فرداً فرداً ، وهو ما يسمى اليوم بالإحصاء التخطيطي.

أولاً: الإدارة والتخطيط في القصص القرآني

1- إدارة سيدنا يوسف للأزمة الاقتصادية

قال تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ (يوسف:47-49) وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ * قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف:54-55)

تشكل قصة يوسف عليه السلام معيناً لا ينضب لهذا المعنى، (الإدارة والتخطيط) وفي قدرته عليه السلام على إدارة الأزمة والتخطيط المتقن للظهور عليها والخروج منها منتصراً في مرحلة من أسوأ المراحل التي تعصف بمصر "فالأزمة القادمة في مصر، وسنوات الرخاء

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التي تسبقها، في حاجة إلى الحفظ والصيانة، والقدرة على إدارة الأمور بالدقة، وضبط الزراعة والمحاصيل وصيانتها، وفي حاجة إلى الخبرة وحسن التصرف، والعلم بكافة فروعه الضرورية لتلك المهمة في سنوات الخصب وفي سني الجدب على السواء، ومن ثم ذكر يوسف من صفاته ما تحتاج إليه المهمة التي يرى أنه أقدر عليها ، وأن وراءها خيراً كبيراً لشعب مصر وللشعوب المجاورة".[1]

وتجربة سيدنا يوسف عليه السلام تقدم نموذجاً رائعاً في الحكم المجزوء، والقيام على خزائن الأرض لما يمتلك من مؤهلات تجعله قادراً على النجاح في ذلك" **إني حفيظ عليم**" .

ثم إن هذه القصة تنتصب هادية لنا في أن نستفيد من كل عوامل القوة وأصحاب القدرات في النهوض بمجتمعنا وإقامة حضارتنا.

"وتظهر الإدارة واضحة في هذه الآية حيث يجري التخطيط والبرمجة على مراحل حسب الظروف الزمانية والمكانية مع استشراف المستقبل وبقدر الإمكانات المتوفرة البشرية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والمادية والفنية والنفسية"[2]

والواضح أن كثيراً من المؤرخين الإداريين استفادوا من القرآن الكريم في إثبات قدم وجود الإدارة وقد ذكر القرآن ووصف معيشة وحياة أهل سبأ بقوله ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ (سورة سبأ: 15) حيث أن اليمن مارست الإدارة والسيادة المستقلة في أزمنة كثيرة منها حقبة بني تبع وبني حمير[3]

إن الملاحظ في الآيات المذكورة سواء في قصة يوسف أو قصة سبأ وحتى أقوال المفسرين في ذلك نجد أن هناك وجود للإدارة في القصص القرآني وإن لم يستخدم مصطلح الإدارة واليوم في واقعنا المعاصر نجد أن الإدارة الحديثة لها دور كبير جداً في تحقيق أكبر النتائج.

ثانياً: التخطيط العسكري في جهاد النبي ﷺ

قال تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران:121)

"والغدو هاهنا مطلق الخروج، وليس المراد به الخروج في أول النهار، لأن النبي ﷺ وأصحابه لم يخرجوا إلا بعدما صلوا الجمعة ﴿تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال﴾ أي: تنزلهم وترتبهم كل في مقعده اللائق به، وفيها أعظم مدح للنبي ﷺ حيث هو الذي يباشر تدبيرهم وإقامتهم في مقاعد القتال، وما ذاك إلا لكمال علمه ورأيه، وسداد نظره وعلو همته، حيث يباشر هذه الأمور بنفسه وشجاعته الكاملة ﷺ "[4]

([1]) في ظلال القرآن، ج4، ص317.

(2) انظر: قطوف إدارية في القرآن الكريم، ص18 .

(3) انظر: تفسير القرطبي، ج14، ص256 بتصرف.

(4) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص145.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الإدارة السليمة عنصر هام له دوره الرئيس الذي ينعكس على المسلمين، سلباً وإيجاباً، وتزداد أهميتها وشدة الحاجة إليها في عصرنا، بعد أن اتسعت الجيوش وتعددت قطاعاتها، ونشاطاتها العسكرية، وبعد أن تطورت الأسلحة القتالية، لذا فإن الإدارة تعد ركناً أساسياً من أركان هذه الجيوش وضرورة لازمة من أجل التخطيط للمعركة وحسن تنظيم القوات. " فإدارة الجيش أمر خطير، فالجيش يتوقف نصره إلى حد بعيد على حسن نظامه وتجهيزه وإدارته وكفاءة قادته" [1] وقد استمر النبي كذلك يخطط لكل أمر ويدبره، ويشرف بنفسه، واقتدى الصحابة به من بعده، والمسلمون بعد ذلك.

والخطط تنقسم إلى قسمين باعتبار الأهداف: [2]

القسم الأول: الخطة العامة وهي المرتبطة بالهدف العام ويطلق عليها (الإستراتيجية)

القسم الثاني: والخطة الخاصة: وتكون متعلقة بأهداف خاصة تندرج كلها تحت الهدف العام.

وتطبيق ذلك في جهاد الرسول ﷺ تكون كما يلي :

أ- الهدف العام : إعلاء كلمة الله في الأرض.

ب- الأهداف الخاصة : مثل:

1- الجهاد لإقامة دولة إسلامية تكون نقطة انطلاق؛ لإعلاء كلمة الله في الأرض وانتهت بقيام الدولة بالمدينة المنورة

2- الجهاد لتامين استقرار المدينة (الدولة الجديدة) من خلال طرد اليهود.

3- تأديب القبائل العربية وفرض هيبة المسلمين عليها.

4- فرض الحصار الاقتصادي على قريش.

5- فتح مكة واسترداد بيت الله الحرام في حمى دين الإسلام والدولة الإسلامية إلى غير ذلك من الأهداف.

6- اتخاذ الوسائل اللازمة لتحقيق ذلك: حيث استعمل الرسول ﷺ لتحقيق هذه الأغراض وسائل كثيرة منها: الدعوة والتبليغ بين الناس، إرسال الرسائل والوفود إلى القبائل والملوك، القتال وتوجيه السرايا والبعوث، الضغط الاقتصادي، والضغط المعنوي والنفسي.[3]

وهذه بعض ملامح التخطيط العسكري في جهاد الرسول ﷺ

لقد كان الرسول القائد ﷺ يحسب للمعركة الحسابات العسكرية اللازمة، ويعد لها ما تقتضيه من أمور، ويتخذ من التدابير العسكرية ما يدل على تخطيطه للمعركة، وهذه بعض ملامح خطة المعركة لدى الرسول ﷺ:

([1]) القتال في الإسلام، أحمد نار، ص109.

([2]) انظر: إستراتيجية الفتوحات الإسلامية، للرائد وليد جرادات ص27-35.

([3]) انظر: إستراتيجية الفتوحات الإسلامية، للرائد وليد جرادات ص27-35

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1- تحديد الهدف من العملية العسكرية:

فمثلاً غزوة بني المصطلق كان الهدف منها القضاء على تجمعات وحشود بني المصطلق التي كانت تنوي التحرش بالمسلمين في المدينة[1]

2- استنفار المسلمين للقتال:

وهذه الخطوط تعني إعلان النفير العام للمسلمين للخروج إلى القتال كما حدث في فتح مكة حيث خرج معه عشرة آلاف مجاهد[2] وفي حنين اثنا عشر ألفاً[3] وفي تبوك ثلاثون ألفاً [4] أو النفير الخاص بخروج بعض المقاتلين كما كان في غزوة بدر. وثبت أن الرسول ﷺ أمر بإحصاء المقاتلين وكتابة أسمائهم وذلك في مرحلة مبكرة من مراحل نمو عدد الجيش الإسلامي. وهذا يدل على اهتمام الرسول ﷺ بالتخطيط البشري للاستفادة من هذه الإعداد والطاقات البشرية في معاركه مع العدو، قال : قال النبي ﷺ [اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس فكتبنا له ألفاً وخمسمائة رجل، فقلنا نخاف ونحن ألف وخمسمائة؟ فلقد رأيتنا ابتلينا حتى أن الرجل ليصلي وحده وهو خائف] [5]

3- تقدير قوات العدو وجمع ما يمكن الحصول عليه من خلال عيونه.

4- استطلاع أرض المعركة للاطلاع على الموارد الطبيعية والطبيعة التضاريسية للاستفادة منها في المعركة. ومثال ذلك غزوة أحد إذ استفاد الرسول صلى الله عليه وسلم من جبل صغير في أرض المعركة فوضع عليه فرقة الرماة لحماية المسلمين من حركة التفاف قد يقوم بها العدو واستفاد كذلك من جبل أحد، فجعل ظهور المسلمين إلى الجبل[6] ليحميهم من تلك الجهة إذ لا يستطيع العدو مقاتلة المسلمين من جهة الجبل لأنه مانع طبيعي يمنع العدو من القدوم من تلك الجهة.

5- تقدير الجانب المعنوي في المعركة وممارسة الحرب النفسية على العدو جنباً إلى جنب مع المواجهة العسكرية.

7- تنظيم القوات وتعبئتها للمعركة

([1]) انظر: سيرة ابن هشام، ج3، ص290.

([2]) انظر: المرجع السابق ، ج3، ص400.

([3]) انظر: المرجع السابق، ج3، ص440.

([4]) انظر: المغازي للواقدي،ج3، ص966.

([5]) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب كتابة الإمام الناس، ح2895.

([6]) انظر: سيرة ابن هشام، ج3، ص65.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: الدعوة والحوار

تعريف الحوار لغة واصطلاحا:

الحوار لغة: أصله من الحور بفتح الحاء وسكون الواو، وهو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، قال تعالى:﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ (الانشقاق:14) أي: يرجع على ربه. والمحاورة : مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، ويقال: هم يتحاورون. أي : يتراجعون الكلام.[1]

والمحاورة: المجاوبة، والتحاور: التجاوب، ويقال كلمته فما أحار إلى جواباً، وما رجع إلى حويرا، ولا حويرة، ولا محورة، ولا حوارا ، أي ما رد جواباً، واستحاره، أي : استنطقه [2]

الحوار اصطلاحا: والحوار هو تراجع الكلام والتجاوب فيه بالمخاطبة والرد.[3] أو هو: نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب،[4]

قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾(الكهف:37) " **والمحاورة:** مراجعة الكلام بين متكلميْن. ويحاوره: عائد على صاحب ذي الجنتين، وربُّ الجنتين يحاور صاحبَه. ودل فعل المحاورة على أن صاحبه قد وعظه في الإيمان والعمل الصالح، فراجعه الكلام بالفخر عليه، والتطاول شأن أهل الغَطْرسة والنقائص أن يعدلوا عن المجادلة بالتي هي أحسن إلى إظهار العظمة والكبرياء".[5]

وقد قال المؤمن لصاحبه، ناصحا له، ومذكرا له حاله الأولى، التي أوجده الله فيها في الدنيا، فهو الذي أنعم عليك بنعمة الإيجاد والإمداد، وواصل عليك النعم، ونقلك من طور إلى طور، حتى سواك رجلا كامل الأعضاء والجوارح المحسوسة، والمعقولة، وبذلك يسر لك الأسباب، وهيأ لك ما هيأ من نعم الدنيا، فلم تحصل لك الدنيا بحولك وقوتك، بل بفضل الله تعالى عليك، فكيف يليق بك أن تكفر بالله الذي خلقك من تراب، ثم من نطفة ثم سواك رجلا وتجحد نعمته، وتزعم أنه لا يبعثك، وإن بعثك أنه يعطيك خيرا من جنتك؟! هذا مما لا ينبغي ولا يليق. ولهذا لما رأى صاحبه المؤمن حاله واستمراره على كفره وطغيانه، قال مخبرا عن نفسه، على وجه الشكر لربه، والإعلان بدينه، عند ورود المجادلات والشبه: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي

([1]) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ج4، ص217-219.

([2]) انظر: الصحاح للجوهري، ج2، ص638-640.

([3]) انظر: التحرير والتنوير، ج15، ص320.

([4]) أصول الحوار ، إصدار الندوة العالمية للشباب ص6

([5]) التحرير والتنوير، ج15، ص320.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ فأقر بربوبيته لربه، وانفراده فيها، والتزم طاعته وعبادته، وأنه لا يشرك به أحداً من المخلوقين. [1]

الحوار في القرآن الكريم:

ورد الحوار في القرآن الكريم في موضعين فقط وهي:

- قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ (الكهف:37)
- وقوله تعالى : ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ (الكهف:37)
- وقوله عز وجل : ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة:1)

ويظهر من هذين الموضعين أن الحوار فيها هو مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين، والأخذ والرد فيه ، فقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ بمعنى يخاطبه ويكلمه [2] وقيل:﴿يُحَاوِرُهُ﴾أي: يراجعه الكلام، من حار يحور إذا رجع، وسألته فما أحار كلمة [3] .

وقوله تعالى:﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾(المجادلة:1) أي: إن الله سميع لما يتجاوبانه ويتجاورانه [4]، وقوله:﴿تُجَادِلُكَ﴾(المجادلة:1)، وقرئ تحاورك: أي تراجعك الكلام، وتجادلك: أي تساؤلك [5] فتبين من ذلك أن الحوار في القرآن أطلق على تراجع الكلام والمخاطبة والمجاوبة فيه.

هذه المواضع ورد الحوار فيها مذكوراً باللفظ أو بمادة الاشتقاق ولكن الحوار من حيث المعنى ورد متناثراً على طول القرآن، وعبر قصصه فمنه مثلاً حوار الأنبياء أقوامهم، ومنه مثلاً محاورة المولى سبحانه وتعالى ملائكته في قصة خلق أدم واستخلافه، ومنها مثلاً محاورة المولى إبليس حينما رفض السجود لآدم وهكذا يظهر لنا أن الحوار سمة من سمات القصص القرآني وهو مبدأ هام من المبادئ التي ينبغي أن نقف عندها طويلاً.

([1]) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص477 بتصرف.

([2]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ج15، ص246-247.

([3]) انظر: الكشاف ، ج2، ص 484.

([4]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ج28، ص6.

([5]) انظر: الكشاف ، ج4، ص69.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أهداف الحوار وأهميته:

قال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (طه:44) "أي: سهلا لطيفا، برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف، ولا غلظة في المقال، أو فظاظة في الأفعال، ﴿ لَعَلَّهُ ﴾ بسبب القول اللين ﴿ يَتَذَكَّرُ ﴾ ما ينفعه فيأتيه، ﴿ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ ما يضره فيتركه، فإن القول اللين داع لذلك، والقول الغليظ منفر عن صاحبه، وقد فسر القول اللين في قوله: ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ۝ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ (النازعات:19) فإن في هذا الكلام من لطف القول وسهولته وعدم بشاعته ما لا يخفى على المتأمل أن الهدف والغاية هي: أن يرجع فرعون عن غيه، فيتذكر عاقبة أمره ويخشى الله تعالى[1] ومن خلال إطلاع الباحث على القصص القرآني ونصوص القرآن الكريم وما تضمنه من حوار يمكن استنتاج مجموعة من الأهداف للحوار منها مثلاً :

1- **التّعارف بالمعنى القرآني:** باعتباره الأصل الأوّل في تعامل الشعوب و الأمم بعضها مع بعض و تعاونها على ما فيه الخير و على العدل و الأمن والسلام قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(الحجرات: 13)، والتعارف المشار إليه في الآية يشمل كلّ ما يؤدّى إلى حصول التعاون والتعايش، و كل ما فيه الخير للبشر.

2- **الدعوة إلى الله :** وتعني دعوة الآخرين وإقناعهم سواء دعوة الكفار إلى الإسلام وهو هدف وغاية مطلوبة، أو دعوة المبتدعين إلى السنة، أو دعوة غيرهم إلى الحق قال **تعالى:** ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(النحل:125) ، "أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب"[2]

3- **إشاعة قيم التّسامح:** التي أجمع عليها المؤمنون. باللّه و المؤمنون بوحدة الأصل الإنساني و كرامته. ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾(آل عمران:134)

4- **الإنصاف والعدل:** إذا اعتبرنا أنّ التّسامح لا يشكّل قيمة كافية لإعادة بناء الأخلاقيات المناسبة لتحقيق السلام والتعايش بين البشر يقول تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾(المائدة: 8).

([1]) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص506

([2]) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج2، ص591.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5- **الوصول إلى الحق:** وذلك بتضييق هوة الخلاف، وتقريب وجهات النظر، فإننا نعيش في عصر كثرت فيه الخلافات مصداقاً لقوله تعالى:﴿ . . .وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾(هود:118-119) ولكن المشكلة فيما يؤدي إليه الخلاف من فرقة وتباغض وتناحر وتضارب ، عندما يعجز المختلفين عن التفاهم بالمحاورة أو يغفلون عن ضرورة الالتقاء لتقريب وجهات النظر، أو يقللون من قيمة الحوار، ولا يريدون الفائدة منه أصلاً ، وهو خطأ يقع فيه كثير من المختصمين والمختلفين، ذلك هو أن يتصور كل واحد منهم أنه لابد من إقناع الخصم بالرأي الذي يتبناه ، أو لابد من ترجيح رأيه وتخطئة رأي محاوره ، وإلا فلا جدوى من الحوار ولا داعي له ، ولا يتصور الحوار إذا لم يحسم قضية الخلاف ويحصره في حيز ضيق .

6- بيان الباطل الذي عليه الخصم، والرد على الشبهات: وذلك لإقامة الحجة على المخالف، ولإظهار الباطل على حقيقته حتى يحذره الآخرون ، ولتستبين طرق الضلالة كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾(الأنعام:55) وحتى يختار كل واحد أحد الطريقتين على بينة ووضوح : ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ﴾(الأنفال:42).

نماذج من حوارات القرآن الكريم:

1- حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه:

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ مريم(41- 47)

هذا المشهد القصصي والحوار الرائع الذي أداره إبراهيم عليه السلام مع أبيه حيث كان لطيفاً مع أبيه وحسن الخلق ينصحه ويدعوه إلى طاعة فيبدأ في كل نصيحة من نصائحه الأربع بقوله: (يا أبت) لنيل رضاه ليضرب مثلاً عظيماً في حسن الخلق والأدب وفن الحوار، ولكن للأسف لم يكن رد أبيه إيجابياً ،ولم يمتنع عن عبادة الأصنام، بل هدده أن يبتعد عنه ولا ينصحه مرة ثانية، ويهجره ولا يعود له وقد سمع إبراهيم عليه السلام ردّ أبيه، ولم يعارضه بسوء الرد ولم يستمر معه في الجدال، وإنما قال له: ﴿ سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيّا ﴾.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يستفاد من هذا الحوار ضرورة التركيز في محاورة الضالين وإرشاد الغافلين على الهدف من خلق الإنسان في هذا الوجود، بكل حكمة ولين ورفق حيث إن المهمة الرئيسة للرسل والأنبياء هي دعوة الناس لعبادة الله لذا قد ارتكز إبراهيم في حواره مع أبية إقناعه بالعلم : ﴿ يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً ﴾ مما يؤكد على ضرورة امتلاك المحاور للعلم والمعرفة في الحوار.

2- حوار رب العالمين مع إبليس

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الأعراف (12-18)

إن الله تبارك وتعالى في هذا المشهد رسم لنا أهمية الحوار والصبر والتأني في محاورة الخصم وخاصة إن كان على باطل فنجد أن الله تبارك وتعالى قد أعطي إبليس الفرصة الكافية في التعبير عن نفسه وتقديم ما لديه، ويبدي رأيه فإذا كان ابليس قد حاور الله سبحانه وتعالى واعطاه الفرصة الكاملة للمحاورة رغم أنه على باطل ويمثل الشر كل الشر فمن باب أولى أن يكون الحوار بين المسلمين وغيرهم لتقريب وجهات النظر وأن يعتمدوا لغة الحوار هي اللغة التي توفق وتقرب وتجمع.

إن الإسلام يجعل للحوار اهمية كبيرة في حياة الداعية وعليه أن يمارسه كلما كان لذلك مقتضى، و حذر من سلبية الإنسان وانعزاليته ، وعدم مساهمته بالحوار الفعّال والبنّاء والإيجابي في شئون المجتمع.

"إن إجابة إبليس وتعذره عن السجود حينما قال: إني أنا خير منه، خلقتني من النار، وخلقته من الطين، والنار بما فيها من خاصية الارتفاع والعلو والنور أشرف من الطين الذي يتسم بالركود والخمود والذبول، والشريف لا يعظّم من دونه، وإن خالف أمر ربه هذا قياس إبليس، وهو أول قياس، لكنه باطل، إذ لا يستدل على الخيرية بالطبيعة المادية، وإنما تكون الخيرية بالمعاني والخصائص المفيدة فائدة أكثر، وقد حبا اللّه آدم من العلوم والمعارف والتكريم ما لا يجهله إبليس نفسه"[1].

(1) انظر: التفسير المنير، للزحيلي، ج8، ص155 بتصرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن هذا النموذج من الحوارات في القرآن الكريم هو أهم النماذج حيث أن الله تبارك وتعالى يمثل الحق المطلق والخير المطلق وابليس يمثل رمز الشر المطلق والباطل المطلق وكأن الله تبارك وتعالى أراد يضع منهجاً مهماً للبشر يقضى إلى إمكانية التحاور والتفاهم بالطريقة المثلى. ولعل هذا الحوار هو الأطول بين الله سبحانه وتعالى وإبليس ويتكرر نفسه في مواطن مختلفة من القرآن الكريم لكنه يكون بصورة أقل واصغر مما هو في المشهد القرآني السابق.

3- حوار الله مع الملائكة

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:30)

في هذه الآيات في حوار المولى مع الملائكه تتجلى لنا ملامحه، ويستوقفنا أولاً هذا الإخبار من المولى للملائكة عن جعله في الأرض خليفة، وكان من الممكن ألا يكون هذا الإخبار لأن المولى يقضي ويقدر، وليس من شأن الملائكة إلا الطاعة والتسليم وهو أمر عجيب، والأعجب منه أن الملائكة تعبر عما في دواخلها في جملة استفهامية تعجبية واضحة " أتجعل فيها.." وأعجب مما سبق أن الله سبحانه وتعالى لم يعنف الملائكة على ردهم ولم يتهمهم بالجهل ولم يسفه رأيهم بل قال لهم "إني أعلم ما لا تعلمون" وهو رد نزعم أنه لا يهتدي إليه عقل بشري.

ومن عجائب هذا الحوار أن المولى لم يشأ أن يقهر الملائكة بأمره بل قدم لهم ما يقنعهم " قال أنبئوني بأسماء هؤلاء ..." "قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم..." فما زالت الأدلة تترى حتى استسلمت الملائكة عن قناعة" قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم" وفي هذا الحوار معان جليلة عظيمة في أن أساسه الوصول إلى الهدف وتحقيق المبتغى وأن وسيلته الأدلة والبراهين وأنه يساق في أرق العبارات وألطفها وانه بعيد عن إصدار الأحكام عن الآخرين.

ومن خلال هذا النموذج من الحوار نجد أن للحوار فوائد منها:

1- التعبير عن الرأي

أهم فوائد الحوار بين القيادة وأبناء الأمة هو إعطاؤهم حق إبداء الرأي والمجاهرة به، وهذا أمر يتميز به الإنسان ، فهو في الغالب يرغب في التعبير عن رأيه وهذا حق له لأن "الإنسان مفطور بطبعه على التعبير عن ذات نفسه بحرية وأصالة ولكن إذا استشرى خطر هذا التعبير، وأنحرف عن جادة الصواب إلى الأكاذيب والمفتريات سادت الفوضى، ووقعت الشحناء والبغضاء"[1] والتعبير عن الرأي وإن كان حقاً لكل إنسان إلا أنه لا بد أن يكون مقيداً بأن لا يكون في هذا الرأي ما يخالف الإسلام، فقواعد الإسلام وأصوله ثابتة لا يمكن لنا تغييرها أو

([1]) المجتمع الإسلامي وأصول الحكم ، محمد الصادق عفيفي ، ص91،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تبديلها ، ولذا عندما يبين رأيه في أمر ما لا بد أن "يكون الرأي ملتزماً بالمبادئ الإسلامية المستقاة من كتاب الله وسنة رسوله ، بعيداً عن إلحاق الضرر بمصالح الآخرين وأمن المجتمع واستقراه ، وسمعة الأفراد والجماعات وإلا كانت حرية الرأي ضرباً من الفوضى.

2.الدعوة إلى الإسلام

ومن فوائد الحوار الدعوة إلى الإسلام خصوصاً في عصرنا هذا الذي كثرت فيه وسائل الإعلام " وفي وقتنا اليوم قد يسّر الله عز وجل أمر الدعوة أكثر بطرق لم تحصل لمن قبلنا فأمور الدعوة اليوم متيسرة من طرق كثيرة وإقامة الحجة على الناس ممكنة بطرق متنوعة عن طريق الإذاعة ، وعن طرق التفلزة وعن طريق الصحافة من طرق شتى"[1] فالدعوة إلى الله تيسرت بشكل واضح خصوصاً مع ظهور البث المباشر وشبكة المعلومات(الإنترنت) وهما طريقان لا يمكن إنكارهما أو تجاهلهما .والإعلام وسيلة معاصرة من وسائل التبليغ بل أن غيرها لا يغني عنها ، وعلينا الاستفادة من الإعلام في التعريف بالإسلام والدعوة إلى الإسلام من خلال الحوار تكون موجهة لكل من خفيت عليه حقيقة الإسلام وروحه، والدعوة إليه من خلال الحوار لها أهميتها الواضحة وذلك في :

أ. توضيح محاسن الإسلام، وترغيب الناس فيه .

ب. يستطيع المحاور المسلم الرد على الشبه التي توجه ضد الإسلام.

ج. تثبيت المؤمن لأنه من خلال الحوار يمكن إظهار " علو الإسلام وقوة حجته وضعف حجج خصومه للمسلمين فيزدادوا إيماناً ويقيناً." [2]

د. بيان الباطل الذي عند غير المسلمين والتركيز على ذلك كي ينتبهوا لما هم فيه من فساد .

3- التقريب بين المسلمين:

والحوار بقرب وجهات النظر تحقيقا لقوله تعالى : ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(آل عمران:103) " تعلقوا بأسباب الله جميعاً يريد بذلك تعالى ذكره وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله " [3]

المطلب الثالث: الإعلام المقاوم:

قال تعالى: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾(النمل:37)

([1]) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاء ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ص 14 .

([2]) الحوار مع أهل الكتاب، خالد القاسم، ص116 بتصرف .

([3]) جامع البيان في تأويل القرآن ، ج3ص378 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا قول سليمان لرسول الملكة، حيث بين أنه لا طاقة لهم بجيشه، ولا قدرة لهم على دفعه عما أراد منهم، وهي وسيلة من وسائل إعلام الخصم عما يريد المُعْلِم، لتخويفه، وإرباكه ليذعن.[1]

وقد هددها بجنود لم تسخر للبشر في أي مكان، ولا طاقة للملكة وقومها بهم في نضال، وتوعدها ببيان شديد اللهجة ﴿ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون﴾ مدحورون مهزومون، ويسدل الستار على هذا المشهد العنيف، وينصرف رسول الملكة، والسياق بعدها لا يذكر كيف عاد رسلها إليها، ولا ماذا قالوا لها، ولا ماذا اعتزمت بعدها، إنما يترك فجوة نعلم مما بعدها أنها قادمة مذعنة لأمر سليمان وهو في ذلك يستخدم حرباً إعلامية من شأنها أن تحسم جزءاً كبيراً من المعركة حيث ذكر الجنود ووصفهم وأعلن ما سيعزم على القيام به وهذا يدل على ثقة عجيبة تجعل الملكة تفكر ألف مرة في مواجهة سليمان.[2]

أولاً: تعريف الإعلام لغة واصطلاحاً :

الإعلام لغة: الإعلام مشتق من الجذر الثلاثي "علم" وهي صفة من صفات الله سبحانه وتعالى فهو العليم والعالم والعلام: قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾(يس:81) والعلم نقيض الجهل، ويقال علمت الشيء أعلمه علماً: أي عرفته. كما يقال علام وعلامة من باب المبالغة في الوصف بالعلم، فالهاء للمبالغة [3]والإعلام مصدر للفعل أعلم وتعني النشر بواسطة الإذاعة والتلفزيون والصحافة. [4]

الإعلام اصطلاحاً : "تلك العملية التي يترتب عليها نشر الأخبار، والمعلومات، التي ترتكز على الصدق، والصراحة، ومخاطبة عقول الجماهير وعواطفهم السامية، والارتقاء بمستوى الرأي"[5]

وقيل: إن الإعلام هو: التعريف بقضايا العصر، ومشاكله، وكيفية معالجة هذه القضايا، في ضوء النظريات والمبادئ التي اعتمدت لدى كل نظام، أو دولة، من خلال وسائل الإعلام المتاحة داخلياً وخارجياً، وبالأساليب المشروعة أيضاً لدى كل نظام وكل دولة" [6]

ويتضح من خلال التعريفات السابقة أن الإعلام يرتكز على محاور منها:

([1]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ج19، ص459.

([2]) انظر: في ظلال القرآن، ج5 ص382 بتصرف.

([3]) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ج12، ص416.

([4]) انظر: المعجم العربي الأساسي، جماعة من اللغويين العرب، ص860.

([5]) إستراتيجية الإعلام العربي، د. سيد عليوة، ص 159،

([6]) الإعلام في ضوء الإسلام، دعمارة نجيب ، ص16

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1- نشر المعلومات.

2- معالجة قضايا.

3- تحقيق أهداف معينة من خلال هذه العملية .

وإذا طبقنا ذلك على مفهوم الإعلام الإسلامي نجد أنه "بيان الحق، وتزيينه للناس بكل الطرق، والأساليب، والوسائل العلمية المشروعة، مع كشف وجوه الباطل، وتقبيحه، بالطرق المشروعة، بقصد جلب العقول إلى الحق، وإشراك الناس في نيل خير الإسلام وهدية، وإبعادهم عن الباطل، وإقامة الحجة عليهم"[1]

ثانياً: القرآن أساس الإعلام

سبق وأن قلنا أن الإعلام يشتمل على ثلاثة محاور أساسية نشر المعلومات، معالجة القضايا، تحقيق أهداف معينة من خلال هذه العملية وهذه المحاور الثلاثة قد شملتها نصوص القرآن الكريم فمن جهة هو بيان للناس ونشر لحقائق الأقوام الغابرة وهو من جهة أخرى يعالج قضايا مهمة جداً للإنسان على هذه الأرض لقد قال تعالى: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران:138) وقال تعالى: ﴿ هَذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾ (إبراهيم:52) "هذا بيان للناس كافة، فهو نقلة بشرية بعيدة ما كان الناس ببالغيها لولا هذا البيان الهادي، ولكن طائفة خاصة هي التي تجد فيه الهدى، وتجد فيه الموعظة، وتنتفع به، وتصل على هداه. إن الكلمة الهادية لا ينتفع بها إلا القلب التقي الذي يخفق لها ويتحرك بها، والناس قلما ينقصهم العلم بالحق والباطل، وبالهدى والضلال".[2]

إن الإعلام عملية اتصالية تتكون من خمسة مكونات وهي مرسل، ومستقبل، ورسالة، ووسيلة إعلامية، وتأثير، وبالنظر إلى القران الكريم نجده لم يغفل أياً من هذه المكونات، فكان بحق أساس الإعلام الذي ينبغي الرجوع إليه في أي وسيلة تريد أن يكتب لها النجاح، فلو تحدثنا عن القائم بالاتصال نجده ممثلاً في الرسل والأنبياء؛ الذين تمثلت وظيفتهم في هداية البشر، وإرشادهم إلى الصواب، قال تعالى: ﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ (النساء :165) والقرآن جاء مخاطباً لكل ما في الإنسان، عقله وروحه وجوارحه وقلبه، والإعلام عندما يسير على هذا النهج، فإنه يقدر عقل الإنسان وحريته في الاختيار، ويدين الجمود والوقوف عند مألوف المادة وما ترك السلف، دون تفكير أو تدبير ولو

([1]) الإعلام في العالم الإسلامي الواقع والمستقبل، سهيلة زين العابدين حماد، ص13.

([2]) انظر: في ظلال القرآن، ج1 ، ص452.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نظرنا الرسالة فهي واضحة الدلالة جاءت في نصوص القرآن الكريم وعلى ألسنة الأنبياء والرسل وأما الوسيلة الإعلامية فتتمثل في هذا التنوع في أسلوب القرآن الكريم في القصة والحوار والإخبار والأمر والنهي [1]

لذلك فإن القرآن الكريم، كتاب إعلامي، استعان باللغة الفصيحة، والعبارة الواقعية القادرة على غزو القلوب والعقول، وهو ما ينقل الحقيقة الإعلامية الخالدة، فهو يضع بين أيدينا منهجاً علمياً وحضارياً لحمل الدعوة، يقوم على أسس عقلية ونفسية وأخلاقية سامية.

ثالثاً: وسائل الحرب النفسية لكسب المعركة:

قال تعالى: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾(الأنفال:57)

إن الحرب النفسية في تصور الفئة المؤمنة هي حرب شريفة طاهرة لا تكون إلا لمضامين الخير ويدل على هذا المعنى قوله تعالى" **لعلهم يذكرون**" فالهدف من قوله "فشرد بهم خلفهم" هو المحاولة إلى دفعهم إلى جادة الحق.

"إنه لتعبير عجيب، يرسم صورة للأخذ المفزع، والهول المرعب، الذي يكفي السماع به للهرب والشرود. فما بال من يحل به هذا العذاب الرهيب؟ إنها الضربة المروّعة، يأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يأخذ بها هؤلاء الذين مردوا على نقض العهد، وانطلقوا من ضوابط الإنسان، ليؤمن المعسكر الإسلامي أولاً، وليدمر هيبة الخارجين عليه أخيراً؛ وليمنع كائناً من كان أن يجرؤ على التفكير في الوقوف في وجه المد الإسلامي من قريب أو من بعيد".[2]

إن للحرب النفسية عدة وسائل يتم استخدامها لكسب المعركة ومن أهمها:

1. إظهار التفوق الحربي، وإشعار العدو بقهره وغلبته وضعفه، عن طريق بث اليأس من نصره، والمبالغة في قوة الجانب المعادي له، وإذاعة الهزائم التي تلحق بأفراده ومجتمعاته، وتوضيح ذلك، وبيان التفوق عليه في العدد والعتاد.

2. استخدام الدعاية المضادة وإثبات العجز الحسي والمعنوي في الجانب المعادي، وقطع الطمع عن نصره، وضرورة استسلامه، وتستخدم لذلك أساليب خاصة لا بد منها، وفي ذلك لا تقتصر إمكانات الدول على تحسين الوسائل التقنية فقط؛ بل إن جانباً كبيراً يكرس في الوقت نفسه لقضايا التأثير في عقول الناس، باستخدام وسائل خفية وأساليب معدة بعناية لتقوية الإيحاء، بهدف شل قدرة العدو على التفكير المستقل، أمام شمولية التخطيط للدعاية المضادة.

([1]) الإعلام في القرآن الكريم ، محمد عبد القادر حاتم ، ص 221 بتصرف.

([2]) في ظلال القرآن، ج3، ص429.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3. إضعاف الروح المعنوية للعدو، وتقليل أهميته، وإظهار المبالغة في عدم إمكانية نصره، أو تحقيق أهدافه أو إظهار التفوق

4. التأثير على الجبهة الداخلية للعدو، وإحداث الفرقة بين صفوفه، بما يثير الشحناء والنزاع والعصبيات، وذلك عن طريق استغلال نقاط الضعف في صفوفه، وإيجاد المداخل والسبل المختلفة، التي غفل عنها العدو، والتي لا يحتسب أنه سوف يؤتي من قبلها.

5. كسب الرأي العام العالمي، وهو من أهم ما تسعى إليه الحرب النفسية لكسب تعاطف بقية الشعوب معنا، ولفت الأنظار إلى عدالة قضايانا بكل ما يمكن أن يؤدي لكسب ود تلك الشعوب[1].

([1]) من مقال للدكتور عبد المجيد سيد أحمد منصور عن الحرب النفسية ،منشور في مجلة الدفاع السعودية ،العدد 58 ص 23 بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمـــة:

بدا عنصر الإدارة والتخطيط واضحاً في إدارة المواجهة بين الحق والباطل في القصص القرآني، وقد انعكس ذلك بشكل إيجابي في تلك النهايات التي شملت النصر والتمكين .

كان الحوار من أكثر الأشياء وضوحاً في القصص القرآني ذلك لأنه محور مهم في العلاقة القائمة بين أهل الحق وأهل الباطل، وبدا الحوار بالرفق موزعاً على مدار القصص، وهو يؤكد على أن الحوار وليس غير الحوار هو الوسيلة الأولى للثلة المؤمنة في علاقتها بالآخر.

الإعلام في القصص القرآني كان وسيلة نزيهة شريفة سامية وصادقة في نفس الوقت حيث بدا ذلك في التعبير عن مكامن القوة في الجماعة المؤمنة ليتم حسم المعركة بأقل الخسائر وهو أيضاً أداة مهمة للرد على أهل الباطل ومزاعمهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

إن من أهم أسباب تراجع الأمة الإسلامية في واقعنا المعاصر أنها تعاني من قضايا في العقيدة والسياسة والحياة الاجتماعية لذلك كان لا بد أن أتناول هذه القضايا وأعالجها في ضوء القصص القرآني ومن خلال دراستي وبحثي في هذه الرسالة توصلت إلى مجموعة من النتائج أهمها:

1- أبرز البحث أن هناك دعوة واحدة اتفق الأنبياء والرسل في خطابهم أقوامهم عليها وهي (التوحيد) وهي حجر الأساس الأول لبناء الفرد الأسرة والمجتمع والأمة .

2- كشف البحث أن هناك أساليب مختلفة للشرك ومتعددة، وتختلف في كل زمان ومكان وهي على اختلافها إلا أن مواجهتها تظل مرسومة في القصص القرآني على نسق واحد وهي الدعوة إلى التوحيد وتصحيح المفاهيم والوعي تجاه قضية التوحيد.

3- وضح البحث طبيعة المنافقين القائمة على المخادعة والإفساد في الأرض وادعاء الإصلاح كما كشف عن حالة العلو والاستكبار في نظرة المنافقين إلى المؤمنين وهي طبيعة تظل لصيقة بهم على مر الزمان.

4- أماط البحث اللثام عن خطورة قضية التكفير وأنها ينبغي أن تظل محاطة بحدود وضوابط.

5- تجلى مبدأ الحرية واضحاً في ثنايا القصص القرآني الكريم ولقد كشفت السياقات المختلفة في النصوص القرآنية التي تضمنها القصص عن مستويات متقدمة جداً في مسألة الحرية والتحرر.

6- حظيت القضايا الاجتماعية في القصص القرآني بنصيب وافر لتشكل بذلك نموذجاً لضبط العلاقات الاجتماعية وتوجيهها بما يخدم تطور المجتمع وتماسكه ورفعته.

7- يثبت القصص القرآني في عمومه وقصص الأنبياء والرسل على وجه الخصوص أن العدل هو المبدأ الأساس الذي أرسل الله الرسل من أجله وأنزل الكتاب.

8- أكدت سياقات القصص القرآني المختلفة أن العنف مبدأ هدّام يعصف بالفرد والمجتمع و السياق القرآني يكشف في ثناياه عن الدعوة إلى الحلم ودفع السيئة بالحسنة.

9- يقدم لنا القصص القرآني المبادئ التي ينبغي أن نواجه بها الإشاعة ويصف لنا قبح هذه الظاهرة، ويربط سبحانه وتعالى مسألة الإشاعة بقضية الإيمان ليؤكد أن السلوك البشري نابع من حسن الإيمان وسلامة القلب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

10- إن تعامل القصص القرآني مع قضية المرأة بكافة تجلياتها يشير إلى العدل الإلهي في ذلك وإلى حضارية التعامل مع هذه القضية الحساسة التي تأخذ في حاضرنا بعداً مهماً في التدليل على البعد الحضاري فيما يطرح حول المرأة.

11- ثبت من خلال القصص القرآني أن الإخراج من الديار وسيلة يتبعها أعداء الله في محاربة الأنبياء والرسل والدعاة إلى الحق وهو سنة إلهية من سنن الابتلاء في هذا الكون.

12- بدا الحصار واضحاً بأسلوب من أساليب الكفر في مواجهة أهل الإيمان وبدأت طريقة الأنبياء في تعاملهم مع هذه الوسيلة القاسية واضحة أيضاً وفي كل الأحوال يمكن القول إن الصور المختلفة للحصار كانت دائماً تبوء بالفشل على المحاصرين وتحقق الخير والنصر لأهل الحق.

13- أكدت آيات القصص القرآني أن قوة الإيمان بالله هي حجر الأساس في الصراع مع أهل الباطل وهي السر في ثبات الفئة المؤمنة في مواجهة أعدائها.

14- أبرز القصص القرآني دور العلم كعامل مهم من عوامل النصر والتمكين والعلم ليس المقصود به العلم الشرعي فقط وإنما المقصود بمفهومة الشامل الذي يشمل وجوه المنافع المختلفة في تحقيق مصالح الخلق .

15- أوضح لنا القصص القرآني عوامل النصر والتمكين التي تتمثل في كل فرد وفرصة التقاط العوامل الجماعية التي تتعلق بالجماعة من حيث قوتها وانفتاحها ومرونتها.

16- تبين من القصص أن قوة الجماعة تكون في قوة تماسكها وقوة أفرادها وأن الجماعة المؤمنة في رحلتها اتسمت بالمرونة والانفتاح على الآخر.

17- كان الحوار من أكثر الأشياء وضوحاً في القصص القرآني ذلك لأنه محور مهم في العلاقة القائمة بين أهل الحق وأهل الباطل، وبدا الحوار بالرفق موزعاً على مدار القصص، وهو يؤكد على أن الحوار وليس غير الحوار هو الوسيلة الأولى للثلة المؤمنة في علاقتها بالآخر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس الآيات

سورة الفاتحة			
م	الآية	رقمها	الصفحة
	اهدِنا الصِّراطَ المُستقيمَ	6	60
سورة البقرة			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.1	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ	8	49
.2	وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ	14	9
.3	اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ	15	54
.4	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً	30	106،203
.5	فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ	36	117
.6	وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ	49	152
.7	وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ	50	155
.8	وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ	72	91
.9	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ	84	126
.10	وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ	101	37
.11	وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ	103	205
.12	وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً	109	35
.13	وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً	109	161
.14	وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا	117	161
.15	وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ	120	35
.16	صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ	138	17
.17	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ	143	66،62
.18	وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ	163	29
.19	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ	165	46

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.20	لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ	177	177
.21	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ	178	79
.22	فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ	194	84
.23	وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ	195	142
.24	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ	204	110
.25	وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا	217	35
.26	وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا	217	138
.27	وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ	222	108
.28	وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ	228	117
.29	وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ	231	117
.30	فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا	233	73
.31	أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ	246	85
.32	وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا	247	175،87
.33	وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ	251	180
.34	لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ	256	66
.35	لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ	273	137،1338
سورة آل عمران			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.36	وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا	7	171
.37	شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ	18	171
.38	لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ	28	54
.39	إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا	35	78،79
.40	وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ	39	138
.41	وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ	42	118

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.42	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ	64	190
.43	وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ	69	35
.44	وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا	72	35
.45	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ	100	35
.46	وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	101	57
.47	وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ	103	187
.48	وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ	104	82،109
.49	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ	110	88،168
.50	وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	121	197
.51	الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ	134	202
.52	هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ	138	207
.53	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ	149	79
.54	وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ	152	189
.55	فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ	159	61،69، 192
.56	وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ	159	191
.57	الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ	173	151
.58	الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ	173	186
.59	الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ	191	170
.60	فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى	195	116،117
.61	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ	200	117
سورة النساء			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.62	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا	1	115،117
.63	وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً	4	117

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.64	وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً	5	110
.65	لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ	32	118
.66	إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ	40	95
.67	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ	44	35
.68	إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء	48	41
.69	وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ	57	99
.70	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا	58	94،95
.71	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ	61	52
.72	وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ	66	127
.73	أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ	82	170
.74	وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ	83	114،111
.75	اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ	87	8
.76	أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ	90	138
.77	وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً	92	79
.78	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا	94	59
.79	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا	94	101
.80	لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ	95	87
.81	وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً	100	135
.82	مَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ	115	36
.83	وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى	115	56
.84	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ	135	86
.85	لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ	148	105
.86	وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ	164	23
.87	رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ	165	207

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.88	يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق	171	63
.89	فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ	175	57
	سورة المائدة		
م	الآية	رقمها	الصفحة
.90	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ	8	202،91،93
.91	وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا	8	96،94
.92	وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا	27	23
.93	وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا	27	105
.94	مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ	32	107
.95	وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا	38	86
.96	فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ	42	95
.97	وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ	44	89
.98	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ	51	53
.99	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ	54	178
.100	لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ	72	33

	سورة الأنعام		
م	الآية	رقمها	الصفحة
.101	وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ	55	203
.102	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً	74	149
.103	وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ	75	149
.104	الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ	82	53

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.105	أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ	90	8
.106	وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ	116	79
.107	وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ	121	79
.108	يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي	130	8
.109	وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى	152	95
.110	وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ	153	36
.111	وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل	158	95

سورة الأعراف

م	الآية	رقمها	الصفحة
.112	فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا	20	117
.113	وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ	37	33
.114	لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ	59	104،31
.115	قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ	60	114،32
.116	وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ	65	104،33
.117	قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ	66	114
.118	فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ	78	131
.119	وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ	84	133
.120	وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ	85	104،33
.121	وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ	85	98
.122	رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ	89	131
.123	ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ	103	158
.124	قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ	109	156
.125	قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ	111	156
.126	يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين	115	156

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.127	وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ	142	86
.128	وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ	145	77
.129	فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ	157	60
.130	فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ	176	19،16،13،7
.131	هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا	189	40

سورة الأنفال

م	الآية	رقمها	الصفحة
.132	وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ	16	145
.133	وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ	30	134،135،164
.134	لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ	42	203
.135	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً	45	145
.136	وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ	46	188
.137	فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ	57	207
.138	وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ	60	185
.139	وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ	60	208
.140	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ	64	145

سورة التوبة

م	الآية	رقمها	الصفحة
.141	فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ	5	138
.142	وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً	8	35
.143	لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً	10	35
.144	قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ	24	47
.145	اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ	31	45،30
.146	يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ	32	161

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.147	وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً	36	188
.148	إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ	40	165،134
.149	إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ	40	164
.150	إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ	50	58
.151	وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ	54	51
.152	وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا	58	55
.153	وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ	65	52
.154	وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ	71	58،86
.155	وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ	71	178
.156	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ	73	64
.157	وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ	97	55
.158	لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ	108	178
.159	إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ	111	180
.160	وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا	124	21
	سورة يونس		
م	الآية	رقمها	الصفحة
.161	وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ	18	46
.162	إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ	44	95
.163	أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ	59	89
.164	فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ	83	157
.165	وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا	88	159
.166	الْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً	92	160
.167	وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ	106	43
.168	وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ	107	48

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سورة هود			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.169	وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ	114	171
.170	وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ	118	202
.171	وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ	120	22،23،30
.172	مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا	15	44
.173	قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ	82	10
.174	فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا	28	133
.175	وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ	42	32
.176	وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي	44	32
.177	قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ	53	114
.178	وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ	67	131
.179	وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ	70	133
.180	فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ	74	133
.181	قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ	80	183
.182	قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ	81	131
.183	قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ * قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ	95،96	10
سورة يوسف			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.184	نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ	3	9،8
.185	قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ	14	183
.186	وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ	23	32،121
.187	يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ	29	122
.188	وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ	33	122

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.189	قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ	54	196
.190	وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ	99	83
.191	لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ	111	1،5،8،13، 16
	سورة الرعد		
م	الآية	رقمها	الصفحة
.192	وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ	6	30
.193	أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى	19	37
	سورة إبراهيم		
م	الآية	رقمها	الصفحة
.194	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا	13	103،127
.195	وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ	14	127
.196	رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا	35	83
.197	وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ	45	13
.198	هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ	55	207
	سورة الحجر		
م	الآية	رقمها	الصفحة
.199	ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ	46	83
.200	وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا	51	133
.201	فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا	53	133
.202	فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ	65	131
.203	وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ	88	61
	سورة النحل		
م	الآية	رقمها	الصفحة
.204	وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ	36	29،31
.205	وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم	58	117،116

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.206	وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً	68	109
.207	وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ	76	95
.208	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ	90	92
.209	مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً	97	117
.210	مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ	106	162
.211	وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً	112	17،85،100
.212	ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ	125	،103،83 202
.213	وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به	126	67،85،105
.214	وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللَّهِ	127	67
سورة الإسراء			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.215	فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ	5	183
.216	ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ	6	182
.217	إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا	7	182
.218	وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً	8	138
.219	إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ	9	195
.220	وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا	28	191
.221	لاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ	31	116
.222	وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ	53	104
.223	وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا	76	135
.224	لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ	101	158
سورة الكهف			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.225	وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ	32	10،16

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.226	قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ	37	200،201
.227	وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ	49	95
.228	أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا	79	192
.229	قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ	94	176
.230	قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ	110	48،52

سورة مريم

م	الآية	رقمها	الصفحة
.231	إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ	41	104

سورة طه

م	الآية	رقمها	الصفحة
.232	اذهب إلى فرعون إنه طغى	24	99
.233	وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً	40	153
.234	اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي	42	104
.235	اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً	43	152
.236	فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى	44	191،201
.237	فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى	66	157
.238	فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى	67	156
.239	قلنا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى	68	157
.240	تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ	69	157
.241	فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ	70	157
.242	وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا	77	159
.243	قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ	85	86
.244	إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً	98	29
.245	وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً	111	99

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.246	قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ	132	33
سورة الأنبياء			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.247	بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ	5	207
.248	وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ	57	150
.249	ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ	65	150
.250	أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ	66	148
.251	أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ	67	148،150
.252	قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ	68	148،150
.253	وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ	71	151
.254	وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ	76	32
.255	وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ	78	96
.256	وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ	79	97
.257	وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ	87	14
.258	وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا	91	119
.259	وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ	105	168
سورة الحج			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.260	الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ	41	178
.261	وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ	72	15
.262	وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ	78	177
سورة المؤمنون			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.263	إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ	57	172
.264	أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون	115	38

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سورة النور			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.265	إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ	11	113،60
.266	وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ	15	112
.267	إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا	19	112،55
.268	وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ	47	52
.269	وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ	55	83، 168،172،193
سورة الفرقان			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.270	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ	4	207
.271	وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا	19	99
.272	وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ	27	35
.273	وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا	29	36
.274	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ	31	135
.275	والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما	67	64
.276	وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ	68	148
سورة الشعراء			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.277	قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ	29	156
.278	قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ	34	115،73
.279	فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ* فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ	60	160
.280	إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ	61	160
.281	وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ* ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ	65	160
.282	وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ	120	133
.283	رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ	169	133

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.284	وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ	215	61
سورة النمل			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.285	وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا	14	73
.286	يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ	32	72
.287	قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ	33	72
.288	ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً	37	205
.289	وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ	40	4
.290	وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ	53	165
.291	فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ	56	131
.292	إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ	76	23،8
سورة القصص			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.293	وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ	7	122
.294	وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ	10	123
.295	وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ	15	152
.296	فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ	18	154
.297	إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ	20	128،73
.298	وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى	20	153
.299	قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ	33	153
.300	وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ	59	100
.301	وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا	77	62
سورة العنكبوت			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.302	أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ	2	173

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.303	وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً	8	79
.304	فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ	15	32
.305	وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ	16	33
.306	فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ	24	152
.307	قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ	30	133
.308	وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ	31	133
.309	وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ	36	38
.310	فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ	37	131
.311	يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ	56	163
.312	فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ	65	43

سورة الروم

م	الآية	رقمها	الصفحة
.313	وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ	47	165

سورة لقمان

م	الآية	رقمها	الصفحة
.314	وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ	13	38
.315	يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ	13	40،53

سورة الأحزاب

م	الآية	رقمها	الصفحة
.316	إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ	10	143،144
.317	وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ	12	144
.318	إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ	15	111
.319	وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ	22	144
.320	وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا	67	82

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سورة فاطر			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.321	مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا	4	43
.322	إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ	28	37
سورة الصافات			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.323	وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ	75	32
.324	وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ	171	168
سورة ص			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.325	خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ	22	92
.326	يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ	26	94،86،96
.327	كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ	29	170
.328	فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي	32	169

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سورة الزمر			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.329	قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ	9	37
.330	أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ	46	42،48،45
.331	وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ	65	53
سورة غافر			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.332	وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ	26	152،157
.333	وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا	28	157،119
.334	وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ	36	158
.335	لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ	36	158
.336	وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ	37	158
.337	أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ	68	162
سورة فصلت			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.338	فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ	15	14
.339	وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ	34	104
سورة الشورى			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.340	شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ	13	65
.341	فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ	15	95
.342	وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ	15	98
.343	وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ	38	70،69،68،87
.344	فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ	40	111
سورة الزخرف			

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	الآية	رقمها	الصفحة
.345	وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ	36	57
.346	فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ	54	79
	سورة الدخان		
م	الآية	رقمها	الصفحة
.347	واترك البحر رهواً إنهم جند مغرقون	24	160
	سورة الأحقاف		
م	الآية	رقمها	الصفحة
.348	وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ	5	43
	سورة محمد		
م	الآية	رقمها	الصفحة
.349	هَاأَنتُمْ هَؤُلَاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ	38	178
	سورة الفتح		
م	الآية	رقمها	الصفحة
.350	وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً	23	131
.351	لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ	27	84
	سورة الحجرات		
م	الآية	رقمها	الصفحة
.352	وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ	9	110،92،95
.353	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ	13	202،77
	سورة الذاريات		
م	الآية	رقمها	الصفحة
.354	قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ	32	121
	سورة القمر		
م	الآية	رقمها	الصفحة
.355	كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ	9	114
.356	إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ	34	133

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.357	وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ	51	101
سورة الحديد			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.358	وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	10	87
.359	كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ	20	57
.360	لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ	25	184،93،98
سورة المجادلة			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.361	قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ	1	201
سورة الحشر			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.362	كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ	16	37
سورة الممتحنة			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.363	إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ	2	34
.364	لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ	6	39
.365	إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ	9	53
سورة الصف			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.366	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا	4	178
سورة الجمعة			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.367	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ	9	63
سورة المنافقون			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.368	ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ	3	50

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.369	هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا	7	141
	سورة الطلاق		
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
.370	وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله	2	95
	سورة التحريم		
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
.371	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ	6	38
.372	ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ	10	120
.373	وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ	11	11،119
.374	وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا	12	118
	سورة القلم		
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
.375	إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ	17	11
	سورة الحاقة		
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
.376	الْحَاقَّةُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ، كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ	4،1	20
	سورة نوح		
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
.377	وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا	23	46
	سورة الجن		
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
.378	وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا	15	92
	سورة النازعات		
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
.379	فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى	24	155
	سورة الانشقاق		
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.380	إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ	14	200
سورة الشمس			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.381	وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا	7	64
سورة البينة			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.382	وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ	5	48
سورة الفيل			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.383	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ	1	26
سورة قريش			
م	الآية	رقمها	الصفحة
.384	فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ	3	83

فهـــرس الأحاديـــث النبويـــة

م	الحديـــــث	رقم الصفحة
.1	إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما	58
.2	أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً	56
.3	اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس فكتبنا له ألفاً	199
.4	ألاَ إنّ القوة الرمي	185
.5	إن إخوانكم هؤلاء جاؤوا تائبين، وإني قد رأيت أن أرد إليهم أموالهم	78
.6	إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر	49
.7	إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب	172
.8	إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً	187
.9	إن الله يرضى لكم ثلاثا، ويكره لكم ثلاثا	36

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	الحديـــــث	رقم الصفحة
.10	إن النبي ﷺكان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس	161
.11	إن أنتم اتبعتم أذناب البقر وتبايعتم بالعينة وتركتم الجهاد	47
.12	إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده	163
.13	أن ناقة له كانت ضارية دخلت على حائط قوم فأفسدته	97
.14	الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير إليهم	146
.15	أنا زعيم بيت في ربض الجنة	82
.16	أي الذنب أعظم فقال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك	53
.17	أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً. قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ	173
.18	إياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة	41
.19	آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف	56
.20	أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية	145
.21	بعثنا النبي ﷺ إلى النجاشي ونحن نحوا من ثمانين رجلا	163
.22	بعثنا رسول الله ﷺ سرية إلى الحرقات	102
.23	بينا النبي ﷺ يقسم جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي	51
.24	بينما امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما	98
.25	ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان	47
.26	جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية	165
.27	جعل رزقي تحت ظل رمحي	143
.28	خطبنا عمر بالجابية فقال: يا أيها الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله	187
.29	الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم	37
.30	الدين النصحية ، قالوا : لمن ؟ قال : لله ورسوله	203
.31	ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً	47
.32	سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله	99
.33	سيد الشهداء حمزة ، ورجل قام إلى إمام جائر	83
.34	فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ: قوموا إلى جنة عرضها السماوات	39
.35	كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي يقول	141

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	الحديـــــث	رقم الصفحة
.36	كنت مع النبي ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين	164
.37	لا تكونوا إمعة، تقولون : إن أحسن الناس أحسنا	82
.38	لا يا بنت الصديق! ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق	172
.39	لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم لسانه، ولا يستقيم لسانه	57
.40	لقد أخفت في الله عز وجل وما يخاف أحد	163
.41	لما رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل	146
.42	لما نزل قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ}	57
.43	المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف	183
.44	مُرُوا أَوْلاَدَكُمْ بِالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ	109
.45	من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم	187
.46	من أصبح آمناً ف سربه ، معافى في جسده ، عنده طعام يومه	83
.47	من رد عن عرض أخيه المسلم كان حقا على الله أن يرد عن وجهه النار	55
.48	من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهّل الله له به طريقًا إلى الجنة	37
.49	من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم	58
.50	من لا يشكر الله لا يشكر الناس	4
.51	هذا الناموس الذي أنزل على موسى	160
.52	هم القوم لا يشقى بهم جليسهم	56
.53	والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر	82
.54	والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله	127
.55	وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق	99
.56	وحق العباد على الله أن لا يعذب من جاء لا يشرك به شيئا	53
.57	وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا وَكِنَانَةَ تَحَالَفَتْ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ	139
.58	وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله وسنتي	46
.59	يا أم المؤمنين، ما تصنعين بهذا ؟ قالت: نقتل به هذه الأوزاغ	151
.60	يا عدي اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرأ في سورة براءة	30
.61	يَلْقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة	149

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المراجع والمصادر

مرتبـــــة حســـب حـــــروف الهجـــــاء

أولا: كتب التفسيـــر

1. أحكام القرآن: أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، 1405هـ ، 5 أجزاء.
2. أضواء البيان إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الجَكَنِيُ الشنقيطي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ط1425هـ -2004م.
3. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، ومعه حاشيته المسماة نهر الخير على أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5 ، 1424هـ - 2003م .
4. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي- بيروت .
5. البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط1 ، 1422هـ ، 2001م، 8 مجلدات
6. البيضاوي: المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف ناصر الدين أبي سعيد بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار الفكر- بيروت،1996- 5 أجزاء.
7. التحرير والتنوير: تأليف الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
8. تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي حول القرآن الكريم، الإخراج الفني: أشرف حسين محمد.
9. جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر،:عبد السند حسن يمامة، ط1، 1422هـ - 2001م.
10. تفسير القرآن الحكيم: المشتهر باسم تفسير المنار، محمد رشيد رضا، على طريقة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، دار المنار، القاهرة، ط2 ، 1366هـ - 1947م .
11. تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار النشر: دار الفكر - بيروت - 1401.
12. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: الشيخ محمد بيومي، والأستاذ: عبد الله المنشاوي، مكتبة جزيرة الورد ومكتبة الإيمان .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

13. تفسير النسفى: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق: الشيخ مروان محمد الشعار، دار النفائس، بيروت 2005 .
14. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة – ط1 – 1420هـ –2000 م – جزء 1.
15. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الألوسي، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث، بيروت – لبنان
16. زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3 ، 1404هـ – 1984م.
17. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة ، دار الوفاء، 1415هـ – 1994م
18. في ظلال القرآن: سيد قطب، دار إحياء التراث العربي– بيروت– لبنان، الطبعة الخامسة 1967م
19. لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، خرج أحاديثه أبو عبد الله محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، ط1، 1423هـ – 2002م
20. محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي ، دار إحياء الكتب العربية، 1377 هـ .
21. التبيان في تفسير غريب القرآن: شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، تحقيق: فتحي أنور الدابولي، دار الصحابة للتراث، القاهرة، ط1، 1992م.
22. التفسير الواضح: محمد محمود حجازي، دار الجيل الجديد، 3 مجلدات
23. أحمد مصطفى المراغي، أستاذ الشريعة واللغة العربية بكلية دار العلوم، شركة ومطبعة الباقي الحلبي، ط1 ، 1365 ، 1946م .
24. التفسير الوسيط: وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق– سورية، ط1 ، 1422هـ – 2001م.
25. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .
26. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية، لبنان ط1، 1413هـ ـ 1993م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا: كتب علوم القرآن

1. أسباب النزول: جلال الدين السيوطي، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى،1423هـ/2002م.
2. مباحث في علوم القرآن الكريم: مناع القطان، مؤسسة الرسالة ، بيروت- لبنان، الطبعة الخامسة والثلاثون، 1419هـ/1998.
3. مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، مكتبة المدينة ، الطبعة الثالثة.
4. الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، خرج أحاديثه: أحمد بن شعبان بن أحمد، مكتبة الصفا، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى،1427هـ/2006م.
5. البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد الزركشي، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة-مصر.
6. الفن القصصي في القرآن الكريم: محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة، 1972م
7. القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: عبد الكريم الخطيب، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1964م.
8. القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث: صلاح الخالدي، دار القلم- دمشق، الطبعة الأولى1998.

ثالثا: كتب الحديث

1- سنن ابن ماجة، تصنيف: أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، الشهير بابن ماجة، حكم على أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني ، واعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض. عليها حكم الألباني.
2- سنن أبي داود، تصنيف : أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، حكم على أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، ط 1. عليها حكم الألباني.
3- سنن البيهقي الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ، 1414 – 1994.
4- سنن الترمذي: وهو الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ، ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل المعروف بجامع الترمذي، للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، ط1 عليها حكم الألباني.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5- سنن النسائي: أبي عبد الرحمن بن شعيب بن علي الشهير بالنسائي، حكم على أحاديثه وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1 عليها حكم الألباني.
6- صحيح ابن حبان: محمد بن حبان البستي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، والأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرناؤوط، ط2 ،1414هـ ،1993م ، 18 جزء.
7- صحيح الإمام البخاري المسمى الجامع ال الصحيح المختصر: للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المغيرة الجعفي البخاري، قام على نشره علي بن حسن ابن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، الزهراء للإعلام العربي.
8- صحيح مسلم الإمام: الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية.
9- صحيح مسلم بشرح النووي: محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، راجع ضبطه وخرج أحاديثه وعلق عليه الأستاذ محمد محمد تامر، دار الفجر للتراث القاهرة، ط1 ، 1420هـ - 1999م.
10- فتح الباري شرح صحيح البخاري: للإمام الحافظ: أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، مكتبة مصر ، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز، ومحمد فؤاد عبد الباقي، ط 1 ، 1421هـ - 2001م.
11- فيض القدير شرح الجامع الصغير: للعلامة المناوي ، وهو شرح نفيس للعلامة المحدث: محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي ، على كتاب الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير للحافظ السيوطي، علق عليها نخبة من العلماء الأجلاء ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، ط 2 ، 1391هـ - 1972م .
12- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، الحكم على الأحاديث لشعيب الأرناؤوط، توفي 241هـ ، مؤسسة قرطبة ، مصر.
13- الموطأ: مالك بن أنس، ويليه إسعاف المبطأ برجال الموطأ بمراجعة نخبة من العلماء، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الجيل بيروت ، ودار الآفاق الجديدة المغرب، ط2، 1414هـ - 1993م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعا: كتب التوحيد

1. تيسير العزيز الحميد: في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب
2. شرح العقيدة الطحاوية ، تأليف : العلامة صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ، حققه وخرج أحاديثه : أبو عبد الله مصطفى بن العدوي، دار ابن رجب، ط1، 1423هـ – 2002م.
3. شرح منظومة الإيمان المسماة: "قلائد العقيان بنظم مسائل الإيمان"، أبي محمد عصام البشير المراكشي.
4. الصارم المسلول على شاتم الرسول: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني.

خامسا: كتب السيرة والتاريخ

1. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، دار الكتب العلمية– بيروت، ط1 ، 1414هـ ، 1993م.

2. صحيح قصص الأنبياء: تأليف: الحافظ المفسر المحدث الفقيه المؤرخ الإمام: أبي الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، بقلم: أبي أسامة سليم عيد الهلالي السلفي الأثري – مؤسسة غراس للنشر والتوزيع ، ط10 – 1426هـ 2005م.

3. فقه السيرة: محمد الغزالي– دار الكتب الحديثة لصاحبها توفيق عفيفي خرج أحاديثه الألباني ، ط7 1976م.

4. قصص الأنبياء: الإمام أبي الفداء إسماعيل ابن كثير، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة، ط1 ، 1388هـ ، 1968م.

5. نور اليقين في سيرة سيد المرسلين: تأليف الشيخ محمد الخضري ، حققه سمير أحمد العطار – دار الحديث ط1 1422هـ 2001م.

6. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء: أبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، تحقيق محمد كمال عز الدين علي، دار النشر، ط1 ، 1417هـ ، 4 أجزاء.

7. البداية والنهاية: أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة 774هـ ، دقق أصوله وحققه د. أحمد أبو مسلم ، د. علي نجيب ، وغيرهم ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط1 1405هـ 1985م.

8. الرحيق المختوم: بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، تأليف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فضيلة الشيخ، صفي الرحمن المباركفوري، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، دار المستقبل ، ط1 1426هـ 2005م.

9. السيرة النبوية: ابي محمد عبد الملك بن هشام ، دار الفجر للتراث، ط2 1425هـ 2004م.

10. السيرة النبوية دروس وعبر: د. مصطفى السباعي رحمه الله ،دار التوزيع والنشر الإسلامية 1988م.

سادسا: كتب الأخلاق

1- إحياء علوم الدين: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعرفة، بيروت- لبنان.

2- أعمال القلوب: الشيخ: محمد صالح المنجد ، اعتنى به قسم التحقيق بمركز الدكتور عبد الوارث الحداد للبحث العلمي، دار الفجر للتراث ، ط1 ، 1426هـ - 2005م.

3- مدارج السالكين: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط2 1393هـ ، 1973م ، تحقيق محمد حامد الفقي ، 3 مجلدات.

4- الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي : ابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، مكتبة القرآن- القاهرة.

سابعاً: كتب المعاجم

1. جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، لبنان، الطبعة الأولى،1987م
2. لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور، دار الكتب العلمية 1424هـ ، الطبعة الأولى.
3. الفروق اللغوية : أبي هلال العسكري ، أحد أعلام القرن الرابع الهجري - حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم - دار العلم والثقافة.
4. القاموس المحيط: مجد محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان.
5. مختار الصحاح: للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، طبعة جديدة ومنقحة ومميزة المواد، دار الحديث القاهرة، ط1 ، 1421هـ - 2000م.
6. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م .
7. المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت- لبنان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

8. مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مكتبة لبنان – بيروت.
9. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث– القاهرة– الطبعة الثالثة 1991م.

سابعا: كتب أخرى

1. أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي ، عبد الله أحمد قادري
2. أجنحة المكر الثلاثة: عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق– سوريا، الطبعة الثامنة،1420هـ/2000م.
3. إستراتيجية الفتوحات الإسلامية: وليد محمد جرادات، مديرية المطابع العسكرية.
4. استراتيجية الإعلام العربي: د. سيد عليوة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1978م.
5. أصول التربية الإسلامية واساليبها: عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، سوريا– دمشق، دار الفكر– الطبعة الثالثة.
6. خصائص القصة الإسلامية: مأمون فريز جرار، دار المنارة للنشر، الطبعة الأولى.
7. زاد المعاد: محمد بن أبي بكر الشهير بابن القيم الجوزية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر– الكويت– الطبعة الثانية.
8. كتاب الأم: محمد بن ادريس الشافعي، دار المعرفة– بيروت– الطبعة الثانية، 1393هـ/1973.
9. كتاب التعريفات: علي بن حمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان– بيروت– الطبعة الأولى
10. مجموع الفتاوى ، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، أبو العباس ، تحقيق : أنور الباز – عامر الجزار ، دار الوفاء ، ط1 ، 1426هـ – 2005م ، 37 مجلد
11. فقه التمكين في القرآن الكريم انواعه، شروطه، وأسبابه، مراحله وأهدافه، د. علي محمد الصلابي، الطبعة الأولى، 1421هـ–2001م. دار الوفاء.
12. منهج الفن الإسلامي: محمد قطب، دار الشروق، بيروت، الطبعة السادسة، 1403هـ/1983م.
13. الإعلام في ضوء الإسلام: د. عمارة نجيب، مكتبة المعارف، الرياض– السعودية، الطبعة الأولى، 1400هـ/1980م.
14. الإعلام في القرآن الكريم: محمد عبد القادر حاتم ، مكتبة الأسرة، مصر، 2003م.
15. الإعلام في العالم الإسلامي الواقع والمستقبل: سهيلة زين العابدين حماد، مكتبة العبيكات، الرياض– السعودية، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م.
16. التجديد الاجتماعي. تأملات في التأهيل المجتمعي ، الشيخ محمد حسن العليوات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

17. التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، دار الشروق، بيروت، الطبعة السابعة، 1403هـ/1982م.
18. الحوار مع أهل الكتاب: خالد عبد الله القاسم، جامعة الملك سعود- السعودية، 1411هـ.
19. الخصائص العامة للإسلام: يوسف القرضاوي، الدار البيضاء، دار المعرفة.
20. القتال في الإسلام: أحمد نار، المكتبة الإسلامية- حمص، الطبعة الثانية، 1388هـ، 1968م.
21. القيم التربوية في القصص القرآني: سيد أحمد السيد طنطاوي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أسيوط، 1985.

ثامنا: الشاملة الحديثة

دروس للشيخ أبو إسحاق الحويني الأثري حجازي محمد شريف، مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، موسوعة شاملة للخطب التي تم تفريغها في موقع شبكة المنبر حتى تاريخ 2007/6/15م، ويبلغ عددها أكثر من 5000 خطبة، معظمها مخرجة الأحاديث، والعديد منها بأحكام الشيخ الألباني – طيب الله ثراه – وهي مفهرسة بعنوان الخطبة واسم الخطيب حتى يسهل الوصول إلى موضوع معين.

تاسعا : شبكة النت

1. الموسوعة الحرة ويكيبيديا، قراءة نفسية اجتماعية لظاهرة العنف، (النت).
2. موقع القرضاوي، الإسلام والعنف نظرات تأصيلية . www.qaradawi.net

عاشرا: أبحاث ومجلات

1. بحث محكم بعنوان " آثار الإخراج من الديار بين الإيجاب والسلب" أ. د عبد السلام اللوح والشيخ عماد حمتو
2. مجلة كلية الملك خالد العسكرية، دور وسائل الإعلام في الحرب الحديثة، مقال منشور العدد
3. مجلة الدفاع السعودية ،العدد 58 ص 23 من مقال للدكتور عبد المجيد سيد أحمد منصور عن الحرب النفسية ،
4. مجلة النور " حوار النور مع الزحيلي" د. وهبة الزحيلي
5. مجلة الأمة القطرية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملخص البحث

تدور فكرة هذا البحث حول قضايا الأمة وعلاجها في القصص القرآني، فقد حاول الباحث جاهداً أن يقوم بدراسة موضوعية تحليلية للقصص القرآني محاولاً التماس سبل علاج قضايا الأمة من خلال هذا القصص، فإن كثيراً من مشكلات الأمة في هذا العصر تتشابه إلى حد كبير مع تلك المحاور التي تناولها القصص القرآني والتي هي انعكاس لمشكلات وقضايا الأمم في أزمان غابرة.

لقد جاء هذا البحث في فصل تمهيدي وثلاثة فصول أخرى، ففي الفصل الأول تناول الباحث أبرز قضايا الأمة وسبل علاجها، حيث قسمها إلى قضايا عقائدية شملت: التوحيد، الشرك، النفاق، التكفير.

ثم قضايا سياسية شملت قضايا: الشورى، الحرية، حق الأمة في اختيار الحاكم.

ثم قضايا اجتماعية شملت: العدل، العنف، الإشاعة، المرأة.

ولقد جاء الفصل الثاني يتحدث عن نماذج من ابتلاءات ومحن الأنبياء في القصص، حيث اشتمل على مباحث: الإخراج من الأوطان، الحصار، التهديد بالقتل.

أما الفصل الثالث فقد قدم رؤيةً لعوامل النصر والتمكين في القصص القرآني، حيث قسم الباحث تلك العوامل إلى: فردية، جماعية، تربوية.

ولقد خلص الباحث إلى أن القصص القرآني يمكن أن يشكل منظومة علاجية زاخرة لما يكتنز من دلالات وقيم تصلح لعلاج قضايا الأمة في هذا العصر على اعتبار أن صفحات التاريخ تتشابه إلى حد كبير.

وقد قدم الباحث عرضاً لأهم ما توصل إليه من نتائج لكل فصل على حدة، وقدم مقترحات متواضعة يأمل أن ترى طريقها إلى النور.

فإن قدم الباحث شيئاً ذا قيمة، فهو بفضل من الله ومنته، وإن كان غير ذلك، فهو من عند نفسه المقصرة.

والله الموفق وله الفضل والمنة في كل الأحوال.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Abstract

This research revolves around the idea of the nation's causes and treatment of stories in the Quran, the researcher tried to Hard to study an objective analysis of the Qur'anic stories of trying to seek ways to address issues of nation
During the stories, many of the problems the nation in this day and age are similar to a large extent with those themes that Dealt with Quranic stories that are a reflection of the problems and issues of nations in times immemorial.

The research was an introductory chapter and three other chapters, in the first chapter dealt with the most prominent researcher
The nation's causes and remedies, as dividing them into ideological issues, including: monotheism, polytheism, hypocrisy,
Atonement.

Then political issues, including issues of: SC, freedom, the right of the nation in the selection of Governor.

And social issues, including: justice, violence, rumor, and women.

We came second chapter talks about the models of the trials and tribulations in the stories of the prophets, where included On the topics: the output from the homelands, the blockade, the threat of murder.

The third chapter has presented a vision for the factors of victory and empowerment in the Quranic stories, where the Department
Researcher these factors: individual, collective, educational.

The researcher concluded that the Quranic stories can be a therapeutic system for the rich treasure of
Connotations and values suitable for the treatment of issues of the nation in this era on the grounds that the pages of history are similar to some extent
Large.

The researcher gave a presentation of the most important findings for each chapter separately, and made proposals Modest hopes to see its way into the light.

The researcher presented something of value, it is the grace of God and the infinite, although it is not so, because it came from Shortened the same.
God bless with thanks and gratitude in all circumstances

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهـــرس المحتـــويـات	
الموضوع	**رقم الصفحة**
الاهداء	أ
شكر وتقدير	ب
المقدمة	ت
الفصل التمهيدي: القصة القرآنية أهدافها ،بناؤها ،وسماتها	
المبحث الأول : تعريف القصة واهميتها	
المطلب الأول: القصة لغة واصطلاحاً	7
المطلب الثاني: أهمية القصة القرآنية	8
المطلب الثالث: أـــنواع القصص القرآني	9
المبحث الثاني: أهداف القصة القرآنية وسماتها	12
المطلب الأول: أهداف القصة القرآنية	13
المطلب الثاني: السمات البارزة في القصة القرآنية	17
المطلب الثالث: التكرار في القصة القرآنية	19
المبحث الثالث: تركيب القصص القرآني	22
المطلب الأول: البناء الفني للقصة القرآنية	23
المطلب الثاني: بين القصة الأدبية والقصة القرآنية	24
الفصل الأول: أبرز قضايا الأمة وسبل علاجها	
المبحث الأول: قضايا عقائدية	
المطلب الأول: التوحيد	29
أولاً: قصص الأنبياء والرسل جوهرها الدعوة إلى التوحيد	31
1- الأمر بعبادته	31
2- الحياة مع المنهج القرآني وحده وترك ما سواه	33
3- التعلق باليوم الآخر	38
المطلب الثاني: الشرك	40
أولاً: تعريف الشرك لغة واصطلاحاً	41

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: الشرك الأكبر	**42**
1- شرك الدعاء	**43**
2- شرك النية والإرادة والقصد	**44**
3- شرك العبادة والتقرب	**45**
4- شرك الطاعة والاتباع	**45**
5- شرك المحبة	**46**
ثالثاً: الشرك الأصغر	**48**
- الحلف بغير الله	**49**
- الرياء	**49**
المطلب الثالث: النفاق	**49**
أولاً: تعريف النفاق لغة واصطلاحاً	**50**
ثانياً: أقسام النفاق	**50**
القسم الأول: النفاق الأكبر وصوره	**50**
1- إيذاء النبي حتى ولو باللمز	**51**
2- التولي والإعراض عن حكم الله ورسوله	**52**
3- مظاهرة الكافرين على المؤمنين ومظاهرتهم	**53**
4- السرور لتراجع أهل الإسلام وكراهية انتصاره	**54**
القسم الثاني: النفاق الأصغر	**56**
المطلب الرابع: التكفير	**57**
أولاً: تعريف التكفير لغة واصطلاحاً	**57**
ثانياً: قصة سيدنا نوح مع قومه	**58**
ثالثاً : ضوابط التكفير	**60**
- المعاصي من الكبائر والبدع لا تفكر صاحبها	**60**
- لا يتصدى للتكفير إلى علماء المسلمين المشهود لهم بالصلاح	**61**
رابعاً: الوسطية هي الخلاص	**62**
1- وسطية الإسلام في العقيدة	**63**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2-وسطية الإسلام في العبادات والشعائر	63
3-وسطية الإسلام ي الأخلاق	64
4-وسطية الإسلام في التشريع	65
5-وسطية الإسلام في الدعوة إلى الله	66
المبحث الثاني: قضايا سياسية	
المطلب الأول: قضية الشورى	68
أولاً: تعريف الشورى لغة واصطلاحا	68
ثانياً: أدلة مشروعية الشورى من القرآن	69
ثالثاً: حاجة المجتمع المسلم للشورى	70
رابعاً: وجوه الشورى في القصص	72
- قصة ملكة سبأ مع سليمان	72
- مشاورة فرعون للملأ من قومه في أمر موسى	73
خامساً: وجوه الشورى في السنة	74
سادساً: فوائد الشورى للمجامع المسلم	76
المطلب الثاني: الحرية	77
أولاً: تعريف الحرية لغة واصطلاحاً	78
ثانياً: الحرية في القرآن	79
ثالثاً: حرية الرأي	80
1- قصة حرية الملائكة في الحوار مع الله سبحانه وتعالى	80
2- قصة حرية إبليس في الحوار مع رب العالمين	81
3- ضوابط حرية الرأي وقيودها	82
رابعاً: حرية التمتع بالأمن	83
المطلب الثالث: حق الأمة في اختيار الحاكم	85
أولاً: صور اختيار الحاكم من القرآن	86
- الطريق الإلهي	86
- الطريق البشري	86

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- الاختيار بالشورى	87
ثانياً: حق الأمة في مراقبة الحاكم	87
ثالثاً: حق الأمة في عزل الحاكم	88
المبحث الثالث: قضايا اجتماعية	90
المطلب الأول: العدل	91
أولاً: تعريف العدل ومشتقاته	91
ثانياً: أدلة العدل من القرآن	92
ثالثاً: قصة عدل سليمان وداود	96
رابعاً: الآثار السلبية لفقدان العدل	99
المطلب الثاني: العنف	101
أولاً: تعريف العنف لغة واصطلاحاً	102
ثانياً: العنف في القرآن	103
ثالثاً: قصة أول حالة عنف في تاريخ البشرية	105
رابعاً: قصة شدة موقف موسى عليه السلام مع أخيه هارون	106
خامساً: دور الإسلام في مواجهة العنف	107
المطلب الثالث: الإشاعة	110
أولاً: تعريف الإشاعة لغة واصطلاحاً	110
ثانياً: الإشاعة في القرآن	111
ثالثاً: قصة حادثة الإفك في القصص القرآني	112
رابعاً: قصة حادثة النسوة مع امرأة العزيز في القصص القرآني	113
خامساً: نماذج من قصص الأنبياء وهم يواجهون الإشاعة	114
سادساً: المنهج الإسلامي في التعامل مع الإشاعة	114
المطلب الرابع: المرأة	115
أولاً: نظرة تاريخية حول المرأة قبل الإسلام	116
ثانياً: تكريم الإسلام للمرأة	116
ثالثاً: نماذج إيجابية للمرأة في القصص القرآني	117

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1- قصة مريم بنت عمران	117
2- قصة امرأة فرعون	118
3- قصة حكم بلقيس	119
رابعاً: نماذج سلبية للمرأة في القصص القرآني	120
1- قصة امرأة لوط وامرأة نوح	120
2- قصة امرأة العزيز	121
خامساً: القدرة العقلية للمرأة	122
سادساً: سادساً: اهتمام القصص القرآني بمعنويات المرأة وأحاسيسها	122
الفصل الثاني: نماذج من ابتلاءات ومحن الأنبياء في القصص القرآني	
المبحث الأول: الإخراج من الأوطان	125
المطلب الأول: وقفات مع الإخراج	126
المطلب الثاني: نماذج من قصص الأنبياء المخرجين	127
أولاً: قصة إخراج موسى عليه السلام	128
ثانياً: قصة إخراج شعيب عليه السلام	129
ثالثاً: قصة إخراج لوط عليه السلام	131
رابعاً: قصة إخراج النبي صلى الله عليه وسلم	134
المبحث الثاني: الحصار	136
المطلب الأول: الحصار لغة واصطلاحاً	137
المطلب الثاني: نماذج من الحصار	138
أولاً: الحصار الاجتماعي في شعب أبي طالب	138
ثانياً: الحصار الاقتصادي	141
ثالثاً: الحصار العسكري يوم غزوة الأحزاب	143
المبحث الثالث: التهديد بالقتل	147
المطلب الأول: قصة تهديد إبراهيم عليه السلام بالقتل	148
المطلب الثاني: قصة تهديد فرعون لموسى عليه السلام بالقتل	152
أولاً: قصة محاولة قتل موسى عليه السلام قبل النبوة	153

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: قصة محاولة قتل موسى عليه السلام بعد النبوة	**155**
المطلب الثالث: قصة محاولة قتل النبي صلى الله عليه وسلم	**160**
الفصل الثالث: عوامل النصر والتمكين في القصص القرآني	
المبحث الأول: عوامل فردية	**167**
المطلب الأول: قوة الإيمان بالله	**169**
المطلب الثاني: سعة العلم	**175**
أولاً: سعة العلم عند طالوت	**175**
ثانياً: سعة العلم عند ذو القرنين	**176**
المطلب الثالث: مواصفات المجاهد	**177**
المبحث الثاني: عوامل جماعية	**181**
المطلب الأول: قوة الجماعة	**182**
أولاً: مشهد من قصة لوط وقومه	**182**
ثانياً: مشهد من قصة شعيب وقومه	**182**
ثالثاً: قوة الجماعة من الرجال	**183**
المطلب الثاني: استقلال الجماعة وعدم التبعية	**186**
أولاً: الاتحاد فريضة شرعية	**187**
ثانياً: واجب الاتحاد في المعركة	**188**
ثالثاً: الطاعة وعدم التنازع يضعف قوة المجاهدين	**188**
المطلب الثالث: انفتاح الجماعة ومرونتها	**190**
أولاً: شواهد المرونة من القران	**191**
المبحث الثالث: عوامل تربوية	**195**
المطلب الأول: الإدارة والتخطيط	196
أولاً: الادارة في القصص القرآني	196
1- **إدارة سيدنا يوسف**	196
ثانياً: التخطيط في جهاد النبي صلى الله عليه وسلم	197
المطلب الثاني: الدعوة والحوار	199

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً: أهدف الحوار وأهميته	201
ثانياً: نماذج من الحوارات في القصص القرآني	203
1- قصة حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه	203
2- قصة حوار الملائكة مع آدم عليه السلام	203
3- فوائد الحوار	204
المطلب الثالث: الإعلام المقاومة	205
أولاً: تعريف الإعلام لغة واصطلاحاً	206
ثانياً: القرآن أساس الإعلام	206
ثالثاً: وسائل الحرب النفسية لكسب المعركة	207
الخاتمة	209
النتائج	209
التوصيات	211
الفهارس	214
أولاً: فهارس الآيات القرآنية	238
ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية	259
ثالثاً: فهرس المصادر والمراجع	262
رابعاً: فهرس الموضوعات	272

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com